أدب الوفود ورسالة الإعلام بين الجاهلية والإسلام

2020

درجة الماجستير

قسم العلوم الإسلامية الأساسية

إعداد الطالب: سعد الدين العلي

المشرف:

د. سهل الديرشوي

أدب الوفود ورسالة الإعلام بين الجاهلية والإسلام
دراسة مقارنة للخطاب الإعلامي في أدب الوفود
بين العصر الجاهلي والإسلام

إعداد الطالب: سعد الدين العلي

المشرف: د. سهل الديرشوي

الجمهورية التركية
جامعة كارابوك
معهد التعليم العالي
قسم العلوم الإسلامية الأساسية
درجة الماجستير

كارابوك
آب/ أغسطس 2020

المحتويات

المحتويات 1
تعهد 5
DOĞRULUK BEYANI 6
كلمة شكر 7
إهداء 8
ÖZ 10
ABSTRACT 11
معلومات تسجيل الأرشيف 12
ARŞİV KAYIT BİLGİLERİ 13
ARCHIVE RECORD INFORMATION 14
الاستهلال: 16
المقدمة: 17
أهمية البحث: 18
أسباب اختيار البحث: 18
الدراسات السابقة: 18
مشكلة البحث: 19
منهج البحث: 19
خطة البحث 20
المدخل: 21
الوفد لغة واصطلاحاً: 21
الإعلام لغة واصطلاحا: 23
ومن قواعد الخطاب الإعلامي للوفد: 24

النطاق الزمني للبحث: 25
الفصل الأول: أغراض الوفود بين الجاهلية والإسلام، وأثرها في الخطاب الإعلامي 26
المبحث الأول: أغراض الوفود في الجاهلية، وخطابها الإعلامي 27
المطلب الأول: الوفود على ملوك (العجم) لخطب الودّ، ورغبة الجوار 27
المطلب الثاني: الوفود على ملوك (العرب) للتهنئة: 29
المطلب الثالث: الوفود على الكهان لكشف سُجُفِ الغيب، واستجلاء غوامض المجهول: 32
المبحث الثاني: أغراض الوفود في عهد النبوة 35
المطلب الأول: وفود النبي - صلى الله عليه وسلم – على قبائل العرب، طلبًا للنصرة، ولتبليغ الرسالة: 35
وفود النبي - صلى الله عليه وسلم- على بني شيبان برفقة علي وأبي بكر رضي الله عنهما: 36
المطلب الثاني: وفود الرعيل الأول من الصحابة الكرام على النجاشي ملك الحبشة طلبًا لجواره وحمايته .. 42
المطلب الثالث: وفود القبائل على النبي - صلى الله عليه وسلم- رغبة في الإسلام والصحبة: 45
المبحث الثالث: أغراض الوفود في عهد الخلافة الراشد وأثرها الإعلامي 48
المطلب الأول: وفود الصحابة على كسرى قبل القادسية 48
المطلب الثاني: وفود الصحابي الجليل ربعي بن عامر على رستم قائد جيش الفرس 53
المطلب الثالث: فطنة الوافد وأدبه يرفع مكانته: 56
الفصل الثاني: تنوع الخطاب الإعلامي للوفود بين الشعر والنثر، في الجاهلية والإسلام 58
المبحث الأول: الشعر في أدب الوفود الجاهلية والإسلامية، وأثره في الخطاب الإعلامي 58
المطلب الأول: شعر الوفود في الجاهلية، وأثره في الخطاب الإعلامي 64
المطلب الثاني: شعر الوفود في الإسلام، وأثره في الخطاب الإعلامي 71
المبحث الثاني: النثر في أدب وفود الجاهلية والإسلام، وأثره في الخطاب الإعلامي 83
المطلب الأول: نثر الوفود في الجاهلية مفاخرة الوفود ومنافرتهم عند الملوك 84
المطلب الثاني: نثر الوفود في الإسلام 98
المبحث الثالث: موازنة بين الأثر الإعلامي لكل من الشعر والنثر في أدب الوفود 106
المطلب الأول: وافد النثر وخطاب العقل بالإقناع والحجة والبرهان: 108
المطلب الثاني: وافد الشعر وخطاب العاطفة والشعور 112

المطلب الثالث: أي الوافدين أعلى رتبة، الشاعر أم الناثر؟ 116
الفصل الثالث: سمات التعبير في الخطاب الإعلامي لأدب الوفود. 122
المبحث الأول: الدلالات اللفظية في الخطاب الإعلامي لأدب الوفود. 122
المطلب الأول: الدلالات اللفظية في نثر الوفود الجاهلية. 122
المطلب الثاني: الدلالات اللفظية في نثر الوفود الإسلامية. 126
المطلب الثالث: الدلالات اللفظية في شعر الوفود الجاهلية. 130
المطلب الرابع: الدلالات اللفظية في شعر الوفود الإسلامية. 134
المبحث الثاني: الأساليب التعبيرية في الخطاب الإعلامي لأدب الوفود. 138
المطلب الأول: الأساليب التعبيرية في نثر الوفود الجاهلية: 138
المطلب الثاني: الأساليب التعبيرية في نثر الوفود الإسلامية: 143
المطلب الثالث: الأساليب التعبيرية في شعر الوفود الجاهلية: 146
المطلب الرابع: الأساليب التعبيرية في شعر الوفود الإسلامية 149
المبحث الثالث: الخيال التعبيري في الخطاب الإعلامي لأدب الوفود. 152
المطلب الأول: الخيال التعبيري في نثر الوفود الجاهلية: 152
المطلب الثاني: الخيال التعبيري في نثر الوفود الإسلامية. 155
المطلب الثالث: الخيال التعبيري في شعر الوفود الجاهلية 161
المطلب الرابع: الخيال التعبيري في شعر الوفود الإسلامية: 164
الخاتمة: 169
المصادر والمراجع: 171
الفهارس 177
فهرس الأعلام 177
فهرس الأماكن والبلدان 178
فهرس الكلمات الغريبة 179
السيرة الذاتية 181
ÖZGEÇMİŞ 182

صفحة الحكم على الرسالة

اصادق على أن هذه الأطروحة التي أعدت من قبل الطالب سعد الدين العلي بعنوان **" أدب الوفود ورسالة الإعلام بين الجاهلية والإسلام"** في برنامج الدراسات العليا في جامعة كارابوك، هي مناسبة كرسالة ماجستير.

Dr. Öğr. Üyesi **Sehil DERŞEVİ** .....

مشرف الرسالة

قبول

تم الحكم على رسالة الماجستير هذه بالقبول من قبل لجنة المناقشة بالإجماع

بالقبول بتاريخ 2020/09/08

أعضاء لجنة المناقشة	**التوقيع**
Dr.Öğr. Üyesi Sehil DERŞEVİ رئيس اللجنة	.....
Doç. Dr. Aladdin GÜLTEKİN عضواً	.....
Dr. Öğr. Üyesi İbrahim İBRAHİMOĞLU عضواً	.....

من قبل مجلس إدارة معهد .....تم منح الطالب بهذه الأطروحة درجة الماجستير في قسم الدراسات العليا في جامعة كارابوك.

Prof. Dr. Hasan SOLMAZ .....

مدير معهد الدراسات العليا

تعهد

أتعهد لكم بأن هذا البحث الذي قمت بإعداده كأطروحة ماجستير، قد اتبعت في كتابته الضوابط العلمية والأخلاقية المعهودة، وقد وثقت كل ما اقتبسته من المصادر والمراجع التي أفدت منها في الحواشي السفلية

وأتحمل المسؤولية الأخلاقية والقانونية الناتجة عن أية مخالفة لتعهدي هذا

الاسم: سعد الدين العلي

التوقيع:

DOĞRULUK BEYANI

Yüksek lisans/Doktora tezi olarak sunduğum bu çalışmayı bilimsel ahlak ve geleneklere aykırı herhangi bir yola tevessül etmeden yazdığımı, araştırmamı yaparken hangi tür alıntıların intihal kusuru sayılacağını bildiğimi, intihal kusuru sayılabilecek herhangi bir bölüme araştırmamda yer vermediğimi, yararlandığım eserlerin kaynakçada gösterilenlerden oluştuğunu ve bu eserlere metin içerisinde uygun şekilde atıf yapıldığını beyan ederim.

Enstitü tarafından belli bir zamana bağlı olmaksızın, tezimle ilgili yaptığım bu beyana aykırı bir durumun saptanması durumunda, ortaya çıkacak ahlaki ve hukuki tüm sonuçlara katlanmayı kabul ederim.

Adı Soyadı: SAD ALDIN ALALI
İmza :

كلمة شكر

إلى الله أولاً وآخرًا أتوجه بالشكر على ما أولاني به من نعم لا تعد، وما حباني من فهم به أعتد، ورزقني حب العربية والأدب.

ثم إلى والدي الذي حبب إلى اللغة وصنوف الأدب، وأمي التي رضعت من لبانها حسن الأدب وإلى زوجتي التي صبرت على طويلاً حتى أنجزت هذه الرسالة.

وأخص بالشكر أستاذي الفاضل الدكتور سهل الديرشوي، لحسن توجيهه وتقويمه لكل ميل من سوانح فكري وتعبيري.

ولا يفوتني شكر اللجنة التي دأبت على مطالعة رسالتي ووجهتني إلى ما تخللها من عوار أو عوج، فأصلحت وصوبت.

إهداء

إلى الوفود الإعلامية الغيورة في شتى مجالاتها، والتي غايتها إعلاء شأن العربية، لغة القرآن الكريم، والحفاظ على وجهها السمح النضير، في زمن تتكالب الأعداء فيه، وتتظافر جهودهم لطمس معالم الفصيحة، وتعزيز اللحن والعامية الدارجة، لتسود لغة العصر.

ملخص

يمثل أدب الوفود جانبًا مهمًا في مجال الأدب العربي، لأن الوافد يتخير أحسن الكلام وأعذب النظام، ليقنع من وفد عليه، ولقد عرف التوافد بين القبائل قبل الإسلام، وكثرت الوفود على الملوك والأمراء، والسحرة والكهان. أغراضها نيل العطاء، أو اتقاء البغضاء؛ وأما في الإسلام، فقد تتابعت الوفود على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وعلى خلفائه من بعده رغبة باعتناق الدين الجديد، وتَعَرُّفِ شرائعه، كما انطلقت وفود الإسلام إلى الملوك والأمراء تبلغ رسالة الدين الحق. وتدعو للدخول فيه.

وتنوعت خطابات الوفود ما بين الشعر والنثر، وتفنن الوافدون في اختيار الكلمات المعبرة، والأساليب المتنوعة، وابتكروا الصور والأخيلة البديعة، لتعزيز مطالبهم، وتحقيق مقاصدهم.

وأفلح الكثير منهم بتحقيق آمالهم، وبلوغ غاياتهم ببراعة استهلالهم، وحسن عرضهم لخطابهم.

وخاب آخرون لسوء حظهم، ولإخفاقهم في عرض رسائلهم وعدم توفيقهم.

ومازالت الوفود تترا؛ بعضهم يجود ويفيد، ويحقق ما يريد، وآخرون، يفشلون ولا يفلحون، وينقلبون خاسرين.

الكلمات المفتاحية: أدب، وفود، خطاب، رسالة.

ÖZ

Elçiler edebiyatı, Arap edebiyatında önemli bir konumu haizdir. Elçiler gönderildikleri kişileri ikna edebilmek için sözün en güzelini ve kelimelerin en etkilisini seçmektedirler. İslamiyet öncesi elçilik kabileler arasında oldukça yaygındır. Krallar, emirler, sihirbaz ve kâhinlere gönderilen elçilerin sayıları zamanla artmıştır. Nitekim bu elçilerin başlıca niyetleri yöneticilerden hediyeler almak yahut onların öfkesinden kaçınmaktır. Ancak İslamiyet ile birlikte elçiler, Rasulullah (sav) efendimize ve sonrasında halifelerine yeni dine girmek ve bu dinin şeriatını tanımak için gönderilmeye devam etmişlerdir. Buna ilaveten zamanla Müslüman olan elçiler, kral ve yöneticilere hak din İslam'ı tebliğ etmek ve onları dine girmeye davet etmek amacıyla başka coğrafyalara gönderilmeye devam etmişlerdir.

Elçilerin hitap biçimleri şiir ile nesir arasında çeşitlik göstermektedir. Teşbih ve bedi sanatlarında mahir olan elçiler ibret veren ifadeleri seçme konusunda oldukça yeteneklidirler. Taleplerini gönderildikleri yöneticileri taziz etmek amacıyla bedi sanatını kullanarak ve bolca teşbihlerle maksatlarına ulaşmaktadırlar.

Elçilerin pek çoğu maharetleri ve mükemmel hitabetleri ile emellerini gerçekleştirmiş ve gayelerine ulaşmışlardır. Ancak bazıları ise şanssız olup mesajlarını sunma konusunda yeteneklerini sergileyemedikleri için muvaffak olamamışlardır. Elçiler günümüzde dahi arka arkaya gönderilmektedirler. Bazıları kaliteli ve faydalı söz söyleyerek istediklerini yerine getirebilirken diğerleri başarısızlığa ve hüsrana uğramaktadır.

Anahtar Kelimeler: Edebiyat, Elçiler, Hitap, Mesaj.

ABSTRACT

The comers literature represents an important aspect in the field of Arabic literature, because the comer chooses the best speech and most pleasant compositions, to convince a comer on it, and the comers are known between the tribes before Islam, and the groups getting bigger numbers to visit kings and princes, magicians and priests. Its purposes are to attain giving, or to prevent hatred; As for Islam, the comers continued to follow the Messenger of God - may God bless him and grant him peace - and his successors after him a desire to convert to the new religion, and to know his laws, just as the comers of Islam were launched to kings and princes reaching the message of true religion. And invites to enter it.

The speeches of the comers varied between poetry and prose, and the expatriates mastered in choosing expressive words and various styles, and they created pictures and exquisite imagination to enhance their demands and achieve their goals

Many of them succeeded in fulfilling their hopes, reaching their goals brilliantly, their initiation, and improving their presentation of their speech

Others were disappointed by their misfortune, for their failure to present their messages and their lack of success

Comers are still trying; Some of them find good and benefit, and achieve what they want, and others, fail and do not succeed, and turn over losers

Key Words: Literature, Delegations, Speech, Message.

معلومات تسجيل الأرشيف

اسم الرسالة	أدب الوفود ورسالة الإعلام بين الجاهلية والإسلام
مؤلف الأطروحة	سعد الدين العلي
المشرف	د. سهل الديرشوي
درجة الأطروحة	الماجستير
تاريخ الرسالة	8-9-2020
مجال الرسالة	اللغة العربية
مكان الرسالة	جامعة كارابوك
صفحات الأطروحة	183
كلمات مفتاحية	أدب – وفود – خطاب – رسالة

ARŞİV KAYIT BİLGİLERİ

Tezin Adı	Cahiliye ve İslam döneminde temsil ve iletişim edebiyatı
Tezin Yazarı	Sad Aldın ALALI
Tezin Danışmanı	Dr.Öğ.Üyesi Sehil DERŞEVİ
Tezin Derecesi	Yüksek Lisans
Tezin Tarihi	8.9.2020
Tezin Alanı	Temel İslam Bilimleri
Tezin Yeri	KBÜ/LEE
Tezin Sayfa Sayısı	183
Anahtar Kelimeler	Edebiyat, Elçiler, Hitap, Mesaj

ARCHIVE RECORD INFORMATION

Name of the Thesis	The literature of delegations and The media message between ignorance and Islam
Author of the Thesis	Sad Aldin ALALI
Advisorof the Thesis	Dr.Öğ.Üyesi.Sehil DERŞEVİ
Status of the Thesis	Master
Date of the Thesis	8-09-2020
Field of the Thesis	Basic Islamic sciences
Place of the Thesis	KBU/LEE
Total Page Number	183
Keywords	Literature, Delegations, Speech, Message

الاختصارات

د.ت:	بدون تاريخ
م:	للتقويم الميلادي
ه:	للتقويم الهجري
جـ:	الجزء
ص:	الصفحة

الاستهلال:

(فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ) " يوسف: 88

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم، على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد وثق لنا التاريخ، والقرآن الكريم، وكتب السنة، حوارات الوفود وأشعارهم وخطبهم، وحمل لنا موروثًا غنيًا من الأدب الرفيع.

والتواصل بين الناس أصل التعامل في الحياة، والكلمة محور التواصل، وكلما كانت الكلمة طيبة أثمرت تواصلا طيبا، والأدب ثمرة الكلمة الطيبة، وأدب الوفود من أسمى درجات الأدب؛ وأينع ثماره؛ لأن الوافد يختار الكلمة الأمثل، وينمنمها ويزخرفها، ليقنع الموفود عليه بمطلوبه. ولربما يخفق في عرض رسالته، فيخرج مطرودًا خاوي الوفاض؛ أو ربما يدخل خائفًا ذليلًا، فيحسن عرض رسالته، فيخرج عزيزًا مكرمًا.

ومن قبل الإسلام عرف التوافد بين القبائل، وكثرت الوفود على الملوك والأمراء، والسحرة والكهان. أما في الإسلام، وفي زمن النبوة فقد تتابعت الوفود على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- من قبائل العرب, تعلن الإسلام والولاء، بحيث يقف أمير الوفد أمام رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يلقي قصيدة شعرية، او خطبة نثرية، أو يحاور النبي - صلى الله عليه وسلم- بلسان ذلق، ومنطق فصيح، ويرد عليه النبي- عليه السلام-، أو يوكل من يرد عليه، من شاعر أو خطيب؛ كما أرسل النبي الكريم الوفود إلى الملوك يدعوهم إلى الدين الحق.

وفي زمن الخلافة الراشدة تتالت الوفود على الخلفاء الراشدين، خليفة بعد خليفة معلنة الولاء والانضواء تحت راية الإسلام. كما أرسل الخلفاء الوفود إلى القبائل والأمم المجاورة يحملون إليهم رسالة الإسلام ويبلغونهم تعاليمها.

وهكذا نقف على موروث واسع مترامي الأطراف من أدب الوفود؛ الذي لازالت صوره ماثلة في ذاكرة الأمة من خلال مطالعة تاريخ العرب وأيامهم، ومن تلاوة آيات الذكر الحكيم، أو قراءة السيرة النبوية المطهرة، وحياة الصحابة والتابعين.

أهمية البحث:

- إثراء المكتبة الإسلامية ببحث أدبي، يُجَلِّي أساليب الوفود وأغراضهم.
- مقارنة بين أغراض الوفود، وأساليب التواصل للوافد والموفود عليه، في الجاهلية والإسلام.
- الاستفادة من أدب الوفود في ترقية الخطاب الإعلامي، والتواصل الاجتماعي.

أسباب اختيار البحث:

- لقد اخترت هذا البحث، لما فيه من سمو أدب الكلمة وبلاغتها في التواصل الاجتماعي، بين الوافد والموفود عليه.
- ولعلاقتي بالإعلام، حيث إن مهنتي - كصحفي - تتطلب التواصل مع الناس بحكمة واتزان، واختيار الكلمة المناسبة لكل موقف.

الدراسات السابقة:

لقد وردت أخبار الوفود منثورة في ثنايا كتب التراث القديمة، التاريخية منها والأدبية من غير تخصيص ولا تفصيل، إلا أن ابن عبد ربه سمَّى فصلاً مستقلاً من فصول كتابه العقد الفريد بـ " الجمانة في الوفود " أورد فيه محاورات الوفود وخطبهم وأشعارهم.

وحديثًا أعد يوسف إبراهيم قطريب بحثاً بعنوان " أدب الوفادة لدى أدباء الأندلس" (داخل وخارج الأندلس). تناول فيه أشعار الوفود وخطبهم داخل الأندلس وخارجها.

كما أعد علي رضوان الأسطل، دراسة باسم " الوفود في العهد المكي وأثرها الإعلامي". تناول فيه الجانب الإعلامي للوفود في الفترة المكية.

لقد اقتصر يوسف إبراهيم قطريب على أدب الوفادة الخاص بالأندلس، داخلها وخارجها، ولم يتطرق لأدب الوفود العربية الأخرى.

كما اقتصر علي رضوان الأسطل على الوفود في العهد المكي، تناول من خلالها الجانب الإعلامي فقط.

أما هذا البحث فقد طاف في فضاءات الوفود العربية من الجاهلية إلى الإسلام، مسلطًا الضوء على أغراض الوفود، وتنوع الفنون لدى الوافدين، ما بين شعر ونثر وحوارات، ما يؤمل أن يثري المخزون اللغوي والأدبي في مجال العلاقات الإنسانية، ويضيف إلى المكتبة العربية رافدًا جديدًا.

مشكلة البحث:

جاء البحث ليجيب عن التساؤلات الآتية:

هل أدى أدب الوفود الرسالة الإعلامية المنشودة في الزمان والمكان الذي يمثله؟

هل غيَّر الإسلام من صبغة الرسالة الإعلامية؟ وإلى أي حد؟

هل يمثل أدب الوفود صورة الحياة الاجتماعية والسياسية للعصور المتعاقبة؟

منهج البحث:

لقد اعتمدت في هذا البحث المنهج التحليلي، إلى جانب المنهج التاريخي، واعتمدت في التوثيق المصادر والمراجع الأصلية، من القرآن الكريم، والسنة المطهرة، وكتب التاريخ: كالطبري وابن كثير والمسعودي وغيرها من كتب الأدب: كالعقد الفريد، وخزانة الأدب، ودمية القصر؛ وما وصتله يدي من مصادر ومراجع ومعجمات.

خطة البحث

المدخل، وثلاثة فصول، في كل فصل ثلاثة مباحث في كل مبحث مطالب متعددة: أما الفصل الأول فقد تناولت فيه أغراض الوفود بين الجاهلية والإسلام، وأثرها في الخطاب الإعلامي.، وأما الفصل الثاني فقد بينت فيه تنوع الخطاب الإعلامي للوفود بين الشعر والنثر، في الجاهلية والإسلام، وأما الفصل الثالث قد تناولت فيه سمات التعبير في الخطاب الإعلامي لأدب الوفود بين الجاهلية والإسلام. فناقشت دلالات الألفاظ وأساليب التعبير والصور الخيالية التي امتازت بها الوفود الجاهلية والوفود الإسلامية.

وختمت البحث بتلخيص مركز لأهم مافيه، وعقبت بالنتائج التي استخلصتها منه، وعرضت التوصيات التي اقترحتها للباحثين في هذا الباب من الأدب.

المدخل:

قال الله تعالي:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1].

في الآية السابقة حث على التعارف والتواصل بين القبائل والشعوب، ولايتم ذلك إلا بوفود بعضهم على بعض، حيث يَقْدُمُ الوافد بأحسن ما لديه من حكمة وبلاغة في القول، ولباقة ولياقة في التصرف. وما نقل إلينا من كلام الوفود، وما أُثر من حوارات دارت بين الوافد والموفود عليه، كان ثمرة أدب رفيع، يوثق لمراحل تاريخية مهمة من الحياة العربية في الجاهلية والإسلام.

الوفد لغة واصطلاحاً:

أولاً- الوفد في اللغة: وَفَدَ إليه وعَلَيْهِ يَفِدُ وَفْداً، بِفَتْح فَسُكُون، ووُفُوداً بالضَّمّ، ووِفَادَةً بِالْكَسْر، وإِفَادَةً، على البَدَلِ: قَدِمَ، فَهُوَ وافِدٌ،

وَقَالَ الأَصْمَعِيُّ: وَفَدَ فُلاَنٌ يَفِدُ وِفَادَةً، إِذَا خَرَج إِلى مَلِكٍ أَو أَميرٍ. وفِي الصّحاح والأَساس: وَفَدَ فُلانٌ علَى الأَمِيرِ، أَي وَرَدَ رَسُولاً، فَهُوَ وَافِدٌ، هُوَ اسمٌ للجَمْعِ، وَقيل جمْع وافِدٍ، كصَحْبٍ وصَاحبٍ، وأَوْفَادٌ، كأَصحاب، ووُفَّدٌ، كرُكَّع، وَزَاد الزَّمخشريُّ فَقَالَ: ووُفَّادٌ[2].

ثانياً- والوَفْد في الاصطلاح:

لا يختلف كثيراً عن اللغة، فهم الجماعة المختارة من القبيلة للقاء غيرهم لأمر مهم، وقد عرفه البركتي في التعريفات الفقهية بقوله:

" الوَفد: القومُ يَفِدُون على المَلك أو الرئيس، أي يأتون في أمر فتح أو تهيئة، أو نحو ذلك"[3].

---

[1] سورة الحجرات: 49/13.

[2] محمّد بن محمد بن عبد الرزاق الزَّبيدي، *تاج العروس من جواهر القاموس*، (الكويت: دار الهداية، 1965م)، مادة (وفد).

[3] محمد عميم البركتي، الإحسان *التعريفات الفقهية*، (باكستان: دار الكتب العلمية، 2003م)، ص238.

وقد وردت كلمة الوفد في قول الله تعالى: ﴿**يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا**﴾[4] بمعنى الركبان المكرمون[5] : فعن النعمان بن سعد قال: **كنا جلوسًا عند علي - رضي الله عنه- فقرأ هذه الآية: ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدًا﴾** ، فقال: «**والله ما على أرجلهم يحشرون، ولا يحشر الوفد على أرجلهم، ولكن بنوق لم ير الخلائق مثلها، عليها رحائل من ذهب، فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة**»[6].

وفي الحديث: « **وفد الله ثلاثة...**»[7] .وفي **حديث الشهيد: «فإذا قتل فهو وافد لسبعين يشهد لهم»**[8] وقوله: «**أجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم**»[9] .

ويمثل أدب الوفود في المراحل الزمنية المختلفة وثيقة تاريخية مهمة؛ لأنها ترسم ملامح الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للعصر الذي وردت فيه؛ فضلاً عن التعرف إلى العادات والتقاليد السائدة في ذلك العصر.

كما يعكس أدب الوفود الملامح الثقافية للشعراء والخطباء، وأغراض كل وفادة: من طلب العون والصلة، أو طلب الغوث والنصرة، إلى الرغبة في الصفح والمعذرة، إلى المفاخرة والمنافرة، إلى ما سوى ذلك من وفادات، وماتحمل من أغراض ومقاصد وحاجات. وظاهرة الاتصال بين الأفراد والأمم والشعوب ظاهرة قديمة قدم الانسان.

وهدف الاتصال الذي يؤديه الوافد تبليغ الرسالة ممن أوفده، وكشف المعلومات والأخبار، وطلب الحاجات التي قدم لأجلها.

لذلك نراه - صلى الله تعالى عليه وسلم- وفد شخصيا على الأفراد والجماعات، وهو يدعو إلى الله – سبحانه -، فاتصل بالرعيل الأول الذي آمن من الصحابة - رضوان الله عليهم، وأبلغ جماعات قريش بالحق المبين، وعرض نفسه على القبائل، وعلى الحُجاج الوافدين في المواسم، والأسواق العامة، بل وأمر صحابته بالهجرة إلى الحبشة ومعهم أنوار الدين الجديد، وبعث مصعب بن عمير - رضي

---

[4] سورة مريم: 19/85.
[5] محمد بن مكرم بن منظور، *لسان العرب*، (بيروت: دار صادر، 1414هـ)، مادة (وفد).
[6] أحمد بن محمد بن حنبل، *مسند أحمد*، (القاهرة: دار الحديث، 1995م)، رقم الحديث1333، ج2، ص447.
[7] محمد بن حبان البستي، *صحيح ابن حبان*، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1988 م)، رقم 3692، ج9، ص5.
[7] *المبارك بن محمد* بن الأثير، *النهاية في غريب الحديث*، (بيروت: المكتبة العلمية، 1979م)، ج5، ص210.
[9] ابن الأثير، *النهاية في غريب الحديث*، ج5، ص210.

الله تعالى عنه- معلمًا وهاديًا لجموع يثرب، وفيما بعد أرسل الوفود إلى ملوك وأمراء ذلك الزمان، لعرض الإسلام عليهم، ودعوتهم لتلبيته والاستجابة إليه.[10]

كما قدمت الوفود عليه تخطب وده، وتدين له بالولاء؛ ومن بعدهم تتابعت الوفود على الخلفاء الراشدين ومن تلاهم، ولا تنقطع الوفود إلى يوم الدين، حيث يفد العباد على رب العالمين.

الإعلام لغة واصطلاحا:

- **الإعلام لغة:** أَعلَمَه إِيَّاه فَتَعَلَّمَه، وَهُوَ صَرِيحٌ فِي أَنَّ التَّعْلِيمَ والإِعْلامَ شَيءٌ واحِدٌ، وفَرَّقَ سِيبَوَيْهِ بيْنَهُما فَقَالَ: عَلَّمْتُ كَأَذَّنْتُ، وأَعْلَمْتُ كَآذَنْتُ.

- وقالَ الرَّاغِبُ: " إِلَّا أَنَّ الإِعلامَ اخْتَصَّ بِمَا كَانَ بِإِخْبارٍ سَرِيعٍ، والتَّعْلِيمَ اخْتَصَّ بِما يَكون بِتَكْرِيرٍ وتَكْثِيرٍ، حِينَ يَحْصُلُ مِنْهُ أَثَرٌ فِي نَفْسِ المتَعَلِّم.[11]. جاء في معجم محيط المحيط لبطرس البستاني: الإعلام في اللغة مصدر أَعلم، يقال: استعلم فلان وأعلمنيه حتى أُعلمه واستعلمني الخبر، وأعلم الفارس جعل لنفسه علامة الشجعان [12]

- **وفي الاصطلاح المعاصر:** إحاطة الرأي العام علما بما يجري من أمور وحوادث في الشؤون الداخلية والخارجية.[13]وهو: نشر الأخبار والآراء على الجماهير[14].

- ولعل الخطاب الإعلامي للوفود هو: مجمل القول الذي يقوم به الوافد بأسلوب الإقناع، من خلال الحوار والمخاطبة، لكي يتمكن من تحقيق الأهداف المُترتبة عليه، ويُعنى بإيصال الرسالة بطريقة دقيقة وصحيحة إلى المخاطَب، ويُركزّ على طرح المعلومات معززة بالبراهين والإثباتات الداعمة له، حتى يكون مُقنعًا، فيعتمد على التواصل المباشر وغير المباشر حسب الظروف المحيطة به.

- ويتناول الوافد القضية بطريقة منطقية، ويقوم بعرض الأفكار بشكل مرتب ومنظم، مع اختيار الكلمات الدقيقة والواضحة.

---

[10] عبد الملك بن هشام الحميري المعافري، *السيرة النبوية*،(مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1955 م) ج2، ص606.

[11] انظر:الزبيدي، *تاج العروس*، مادة(علم).

[12] ابن منظور، *لسان العرب*، مادة (علم).

[13] جمال عفيفي، *جريدة الصحافة* (القاهرة: 1971م)، ص26.

[14] إبراهيم إمام، *العلاقات العامة والمجتمع* (القاهرة: مكتبة الأنجلو، 1981م)، ص316.

- ويكون المتحدث عن الوفد ملماً بكل جوانب الموضوع الذي سيتحدث عنه، ولديه القدرة على ترتيب الأفكار وتنظيمها، وإيصال الرسالة التي جاء بها بأوضح سبيل وأوجزه.

ومن قواعد الخطاب الإعلامي للوفد:

1. الوضوح: فيكون الخطاب واضحاً لفظاً ومعنى، وذلك من حيث سهولة الكلمات والجمل والعبارات، ليسهل فهمها لدى المتلقي، ويتحقق ذلك بالتركيز على الأفكار والحقائق والمعلومات المهمة والأساسية، التي يعرفها المتحدث باسم الوفد كما يعرفها الموفود عليه.
2. الحيوية: وهي اختيار الكلمات المشوقة الجاذبة البعيدة عن الجمود، لجذب المتلقي للخطاب.
3. التنوع: وهو تنوع الجمل والفقرات والعبارات، بحيث تتضمن كل فقرة فكرة جديدة، ومعلومة جديدة.
4. الاختصار: وهو الإيجاز غير المخل بالخطاب، ويجعل المتلقي متابعاً ومنجذباً للخطاب من أفكار ومعلومات ومعانٍ بسهولة ويسر، وخير الكلام ما قل ودل، وأفضل القول ما يعبّر عن معنى كثير بلفظ وجيز.
5. تحديد الهدف من الخطاب، وتحديد المخاطب.
6. تحديد لغة الخطاب والأسلوب المناسب لمستوى ثقافة الموفود عليه.
7. التركيز على جوانب القضية بكل شفافية ووضوح.
8. تحديد الوقت الذي ينبغي أن يستغرقه الخطاب، من غير إسهاب وإطناب.
9. مراعاة الآداب والذوق العام في لغة الخطاب.[15]

[15] انظر: شومان محمد، *تحليل الخطاب الإعلامي أطر نظرية ونماذج تطبيقية* (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية 2012م)، المقدمة.

النطاق الزمني للبحث:

العصر الجاهلي

اختلف العلماء في تحديد العصر الجاهلي؛ فذهب بعضهم إلى أن الجاهلية كانت فيما بين نوح وإدريس. وذهب آخرون إلى أنها كانت بين آدم ونوح، أو أنها بين موسى وعيسى، أو الفترة التي كانت ما بين عيسى ومحمد. صلى الله وسلم عليهم أجمعين.

وأما منتهاها، فظهور الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم- ونزول الوحي عند الأكثرين، أو فتح مكة عند جماعة، والراجح أن هذه الفترة أطلقت في الإسلام على الزمن الذي كان قبل البعثة.[16]

العصر الإسلامي:

فيمتد هذا العصر من بعثة الرسول - صلى الله عليه وسلم- إلى سقوط الدولة الأموية، سنة مئة واثنتين وثلاثين هجرية، وهو العصر الذى تكونت فيه الدولة العربية، وتمت الفتوح الإسلامية ومن المؤرخين من يقسم هذا العصر قسمين، فهو إلى نهاية عصر الخلفاء الراشدين يسمى عصر صدر الإسلام، وما يليه إلى آخر الدولة الأموية يسمى العصر الأموى، والعصر الثالث هو عصر العباسيين.[17]

---

[16] انظر: محمد بن سعد البغدادي، *الطبقات الكبرى* (بيروت: دار الكتب العلمية 1990م، ج8، ص160. جواد علي، *المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام* (بيروت: دار الساقي، 2001م)، ج1، ص41.

[17] ضيف شوقي بن عبد السلام، *تاريخ الأدب العربي* (القاهرة: دار المعارف، 1960) ج1، ص14.

الفصل الأول: أغراض الوفود بين الجاهلية والإسلام، وأثرها في الخطاب الإعلامي

تتباين أغراض الوفود بين الجاهلية والإسلام؛ فبينما كانت الوفود في الجاهلية تقصد الملوك لخطب ودهم، وكسب نفعهم، وتقصد العرَّافين والكهان للتحاكم إليهم واستشفاف سجف الغيب عندهم، لمعرفة المجهول فيما يستقبلهم، وتطلباً للفأل الحسن، ولفض الصراعات والمنازعات، والحكم في المنافرات والمفاخرات.

كان للوفود في عهد النبوة وصدر الإسلام أغراض أخرى مختلفة، بدأت ببيان عقيدة التوحيد وتمكينها، وتبليغ تعاليم الدين ونشرها، ومن ثم تتابعت الوفود على الرسول - صلى الله عليه وسلم- تبتغي الدخول في السِّلم كافة، وكل غايتها مرضاة الله ورسوله.

وبعد ظهور الدين وانتشار نوره في جزيرة العرب، انطلقت وفود الصحابة إلى ملوك الأرض، يبلغون رسالة الإسلام، ويبشرون الأمم بالدين الحق، والرسالة الخالدة.

المبحث الأول: أغراض الوفود في الجاهلية، وخطابها الإعلامي

المطلب الأول: الوفود على ملوك (العجم) لخطب الودِّ، ورغبة الجوار

وفود حاجب بن زرارة على كسرى:

وفد حاجب بن زرارة[18] على كسرى، بعدما منع قومه بني تميم من ريف العراق؛ لقد حصرهم في صحرائهم، ومنعهم بسطوته وجبروته دخول الأرض الخصبة من العراق، وهي أرضهم، فهلكت مواشيهم لفقر مراعيهم، ومَحلِ بواديهم.

فاستأذن حاجب على كسرى، فأُوصل إليه فسأله: **أسيد العرب أنت؟ فقال: لا. قال: فسيد مضر؟ قال: لا.**

قال: فسيد بني أبيك أنت؟ قال: لا.

أراد كسرى التعرف على الوافد قبل لقائه، فنفسه تأبى أن يقف بين يديه ويخاطبه إلا سادة القوم، وكان حاجب يخفي في نفسه مفاجأة، لعلها تقع موقع القبول لدى الملك.

ثم أذن له، فلما دخل عليه قال له: **" من أنت؟ قال: سيد العرب!**

لقد تفاجأ الملك من إجابة الوافد؛ فقال: **" أليس قد أوصلت إليك أسيد العرب، فقلت: لا ؟، حتى اقتصرت بك على بني أبيك فقلت: لا؟**

وهنا يفصح حاجب عن المفاجأة السارة للملك فيقول: **" أيها الملك لم أكن كذلك حتى دخلت عليك، فلما دخلت عليك صرت سيد العرب"**

استنار وجه كسرى، وأعجب بالإطراء الذي تقدم به هذا الوافد، فقال:

" آه! املؤوا فاه دراً " [19]

في هذا الحوار تبدو فطنة حاجب بن زرارة ولباقته، ومدى ذكائه في استهلال خطابه الإعلامي، لكسب ودِّ كسرى.

---

[18] حاجب بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم الدارميّ التميميّ، ويكنى بذي القوس وهو والد عطارد الذي وفد على النبي صلى الله عليه وسلم. انظر: أحمد بن علي العسقلاني، *الإصابة في تمييز الصحابة* (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ)، ج1، ص656.

[19] أحمد بن محمد بن عبد ربه، *العقد الفريد* (بيروت: دار الكتب العلمية، 1404 هـ)، ج1، ص 287 - 288.

حيث سلك مسلكاً طريفاً ومشوقاً، جعل الملك يستطلع ماهية الوافد، ويتشوق لمعرفة شخصيته، فلما استنطقه كشف عن عقل حصيف وأدب لطيف، دعاه للاندهاش والإعجاب، ثم للمكافأة الجزلة والمجزية.

كما بعث الوافد برسالة إعلامية، تكشف عن ذكاء قومه العرب وفطنتهم.

ولما عرض حاجة قومه وطلبهم جوار كسرى في ريف العراق، تحفظ كسرى على إجابة الطلب، لما يعلم من طباع جيرانه العرب وعاداتهم، واشتهارهم بالسلب والنهب لبعضهم ولمن حولهم، فصمت برهة ثم قال: **" إنكم معشر العرب غُدْرٌ، فإن أذنت لكم أفسدتم البلاد، وأغرتم على العباد وآذيتموني".**

فيفصح الوافد عن مفاجأة أطرف وأعجب من الأولى! حيث يقول: **" فإني ضامن للملك أن لا يفعلوا"**.

ورغم علم كسرى بوفاء العربي إذا وعد، لكنه أراد أن يتثبت فقال: **" فمن لي بأن تفي أنت؟"** وهنا كانت المفاجأة المدهشة حيث قال: **" أرهنك قوسي!"**.

وقدم قوسه الخشبي عربوناً على الوفاء؛ فلما جاء بها ضحك من في مجلس كسرى، ساخرين ومندهشين ومتعجبين، فما قيمة هذه العصا؟! وقالوا: **"لِهذه العصا يفي؟!"**

قال كسرى -الخبير بعوائد العرب وتقاليدهم -:**" ما كان ليسلمها لي لشيء أبداً".**[20] قَبل كسرى القوس رهينة، فقبضها منه، وأذن لبني تميم بدخول ريف العراق.

يبدو لنا من خلال الحوار مدى اعتزاز العرب بسلاحهم وحفظهم للعهود، وتَفَهُمَ كسرى لقيم جيرانه العرب وأخلاقهم.

لقد أوصل الوافد إلى الملك رسالة إعلامية، تمثل صورة صادقة للبيئة العربية في الجاهلية، تظهر الأخلاق والقيم التي يؤمنون بها، ويحرصون عليها[21].

ونلاحظ في مادة هذا الوفد إلى جانب الذكاء الفطري للعرب، الوفاء بالوعد، وحفظ العهد، كما نلمس تملقهم الملوك، والتزلف لديهم، وخطب ودهم، طمعاً بما لديهم، وخوفاً من سطوتهم؛ وفي ذلك دلالة

---

[20] ابن عبد ربه، *العقد الفريد*، ج1، ص 287 - 288.

[20] ومات حاجب بن زرارة، فارتحل عطارد بن حاجب إلى كسرى يطلب قوس أبيه، فردها عليه وكساه حلة، فلما وفد عطارد بن حاجب إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- وهو رئيس تميم وأسلم على يديه أهداها للنبي– صلى الله عليه وسلم- فلم يقبله، فباعها من يهودي بأربعة آلاف درهم فصار ذلك فخراً ومنقبة لحاجب وعشيرته. (المصدر نفسه، الصفحة نفسها).

على ضعفهم أمام الأمم المجاورة لهم؛ فقد كان الفرس والروم يتحكمون بهم، ويصادرون مقدراتهم، ويحتلون بلادهم.

والسبب في ذلك أن العرب كانوا متفرقين متناحرين متحاربين، كل قبيلة تعتز بحسبها ورجالها وفرسانها، فلا تخضع قبيلة لأخرى؛ مفارشهم ظهور خيولهم ومطاياهم، وأوطانهم مرابع أنعامهم؛ فهم دائماً يرتحلون ولا يستقرون.

حتى جاء الإسلام فجمعهم ووحد صفهم، وجعل لهم دولة تضبط شؤونهم، وتنظم مقاليد حياتهم.

ولعل الله حكمة في تفرق العرب وتناحرهم، ودوام حروبهم، ليعدَّهم فيما بعد لحمل رسالة الإسلام، وتحمل عبئها، ومن ثَمَّ تبليغها إلى سائر الأمم.

المطلب الثاني: الوفود على ملوك (العرب) للتهنئة:

ولما كانت الفطنة والذكاء، والحكمة واللياقة سمة الوافد على ملوك العجم، حيث ظهر ذلك في أقوال حاجب بن زرارة، وأفعاله وتصرفاته، حين وفوده على كسرى ملك العجم، تتجلى البلاغة والفصاحة في اختيار الكلمات، وانتقاء العبارات في أدب الوفود على ملوك (العرب).

ويبدو ذلك في خطاب التهنئة، الذي قدم به وفد قريش على سيف بن ذي يزن ملك اليمن، بعد قتاله الحبشة وانتصاره عليهم:

حيث يقف عبد المطلب بن هاشم بين يدي الملك، ويختار الكلمات المناسبة لمقام الملك، ويعرب عن المناسبة التي قدم بها الوفد، ومقصده من الوفادة، بفصاحة قل نظيرها فيقول:

" إن الله تعالى - أيها الملك - أحلك محلاً رفيعاً صعباً منيعاً باذخاً شامخاً،[22] وأنبتك منبتاً طابت أرومته،[23] وعزت جرثومته،[24] ونبل أصله، وبسق[25] فرعه، في أكرم معدن وأطيب موطن، فأنت

---

[22] الشَّامِخُ: الرَّافِعُ أَنفه عِزّاً وَتَكَبُّرًا وَالْجَمْعُ شُمَّخٌ. وَقَدْ شَمَخَ أَنفه وبأَنفه يَشْمَخُ شُموخاً: تَكَبَّرَ وَتَعَظَّمَ. ابن منظور، *لسان العرب*، (مادة: شمخ).

[23] والأَرُومة، الأَصلُ: أَصل الشَّجَرَة واستعملت للحسب يُقَال هُوَ طيب الأرومة كريم الأَصْل. إبراهيم مصطفى، *المعجم الوسيط* (الكويت: دار الدعوة للنشر والتوزيع، 1989م)، (مادة: أرم).

[24] الجرثومة: أصل الشيء، ومصدره، ومجتمعُه. ابن منظور، *لسان العرب*، (مادة جرثم).

[25] بسق: بسَقَ الشَّيْءَ يَبْسُق بُسوقاً: تَمَّ طُولُهُ. وَفِي التَّنْزِيلِ: وَالنَّخْلَ باسِقاتٍ لَها طَلْعٌ نَضِيدٌ. ابن منظور، *لسان العرب*، (مادة بسق).

- أبيت اللعن - رأس العرب وربيعها الذي به تخصب، وملكها الذي له تنقاد، وعمودها الذي عليه العماد، ومعقلها الذي إليه يلجأ العباد، سلفك خير سلف، وأنت لنا بعدهم خير خلف، ولن يهلك من أنت خَلَفُه، ولن يخمل من أنت سلفه"[26].

ثم يبدأ عبد المطلب بالكشف عن هوية الوفد، فينتسب إلى حرم الله، الذي تعظمه العرب وتقدسه، وتحترم أهله وجيرانه، كما يبين الغرض من الوفادة فيقول:

" نحن أيها الملك أهل حرم الله وذمته وسدنة بيته، أشخصنا إليك الذي أبهجك، لكشفك الكرب الذي فدحنا؛ فنحن وفد التهنئة، لا وفد المرزئة "[27].

يتجلى في هذه الكلمة التي استهل بها عبد المطلب حديثه مع الملك، سمو العبارة، وجزالة الفكرة، والبلاغة والفصاحة في الخطاب، ويبدو ذلك في حسن التقسيم، وجمال الترادف وعفوية السجع في القول، إلى جانب عزة النفس وعفتها، وتمام المروءة.

لقد كان عبد المطلب يتكلم باسم وفد قريش، فأوصل إلى الملك رسالة تحمل في طياتها شرف قومه، ورفعة مكانتهم عند العرب، فهم أهل حرم الله، وسدنة بيته، كما ضَمَّن رسالته مقصدهم من الزيارة، فهم وفد التهنئة، والمباركة بالنصر والظفر، ليس لهم حاجة عند الملك ولا مطمع.

فعظم شأن الوفد عند الملك، وأعجب بالمتكلم، فسأله عن شخصه وعن حسبه.

فقال: **" من أنت أيها المتكلم؟ قال: أنا عبد المطلب بن هاشم !**

لقد فوجيء الملك بالمتكلم، فهو إذن ابن المرأة اليثربية التي بقيت من سلالة جده التبع اليماني[28] الذي أبقى في يثرب من ذريته من يبلغ تحيته للنبي المنتظر[29].

قال: **ابن أختنا؟** قال: **نعم.**

---

[26] ابن عبد ربه، *العقد الفريد*، ج1، ص 291.

[27] المَرْزِئَةُ: والرَّزِيئةُ: المُصِيبةُ، وَالْجَمْعُ أَرْزاءٌ ورَزايا. وَقَدْ رَزَأَتْهُ رَزِيئةٌ أَي أَصابته مُصِيبةٌ. وَقَدْ أَصَابَه رُزءٌ عَظِيمٌ. الرُّزْءُ. ابن منظور، *لسان العرب*، (مادة رزأ).

انظر: تفصيل الخبر في ابن عبد ربه، *العقد الفريد*، ج1، ص 290- 291.

[28] وتُبَّع هَذَا هُوَ تُبَّع الْأَوْسَطُ، وَاسْمُهُ أَسْعَدُ أَبُوكُرَيْب، وَذَكَرُوا أَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ لَهُ الْحَبْرَانِ مِنْ يَهُودِ الْمَدِينَةِ أَنَّ هَذِهِ الْبَلْدَةَ مُهَاجَرُ نَبِيٍّ آخِرِ فِي الزَّمَانِ، اسْمُهُ أَحْمَدُ، قَالَ فِي ذَلِكَ شِعْرًا يدل على إيمانه به وَاسْتَوْدَعَهُ عِنْدَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ. وَمنهَ قوله:

شَهِدْتُ عَلَى أَحْمَدَ أَنَّه رَسُولٌ مِنَ اللهِ بَارِي النَّسَمْ

انظر: إسماعيل بن عمر بن كثير، *تفسير ابن كثير* (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، 1999م)، ج7، 258.

[29] انظر: تفصيل الخبرفي: علي بن إبراهيم الحلبي، *السيرة الحلبية* (بيروت: دار الكتب العلمية، 1427هـ)، ج2 ص114.

وهنا يختلف الجو العام للوفد.

لقد تبين أن هناك صلة وشيجة بينهما، وقرابة رحم تجمعهما، فما كان من الملك إلا أن أدناه وقربه، ثم أقبل عليه وعلى القوم، وقال متبسطاً منشرحاً:

" مرحباً وأهلًا، وناقة ورحلاً، ومستناخاً سهلاً، ومَلِكاً ربحلاً[30]، يعطى عطاء جزلاً" فذهبت كلها أمثالاً.

ثم قال : **" قد سمع الملك مقالتكم، وعرف قرابتكم، وقبل وسيلتكم، فأهل الشرف والنباهة أنتم، ولكم القربى ما أقمتم، والحباء إذا ظعنتم**[31].

وتتجلى الفصاحة والبلاغة في إجابات الملك لوفد قريش؛ وليس ذلك غريبًا منه، فهو عربي، من أرومة عربية أصيلة، بضاعتهم البلاغة في القول، ورأس مالهم

الفصاحة في الخطاب، فقد اختار الكلمات بعناية فائقة، فاتسمت فكرته بالجزالة، وعبارته بالرصانة، واستعمل صورًا منتزعة من بيئته العربية وطبيعته البدوية.

حيث وظف الناقة والرحل، والمستناخ السهل، في التعبير عن الترحاب الجم بالوفد الكريم، كما اعتمد في خطابه السجع، وأكثر من مزاوجة العبارات، حتى شاعت كلماته في قبائل العرب أمثالاً سائرة، وحكماً خالدة، تتناقلها الألسن جيلاً بعد جيل.

---

[30] الرِّبَحْل: التارُّ في طول وقيل التامُّ الليث هو سِبَحْل رِبَحْل إذا وُصف بالنَّرارة والنَّعْمة وجارية سِبَحْلة رِبَحْلة ضخمة لَحِيمة جيّدة الخَلْق في طول أَيضاً وبعير رِبَحْل عظيم، وقيل لابْنَةِ الخُسِّ أَيُّ الإبل خير ؟ فقالت السِّبَحْل الرِّبَحْل الراحلةُ الفَحْل، ورجل رِبَحْل عظيم الشأْن ، ابن منظور، *لسان العرب*،(مادة: رحبل)

[31] إسماعيل بن عمربن كثير، *البداية والنهاية* (بيروت: دار إحياء التراث العربي 1988م)، انظر: ج 3، ص6 وما بعدها.

المطلب الثالث: الوفود على الكهان لكشف سُجُفِ الغيب، واستجلاء غوامض المجهول:

يعتبر الكهان عند العرب طائفة ذات قداسة دينية، وسلطان كبير لدى القبائل، شأنهم شأن الحكام في المنافرات[32]. فقد كانوا يشغلون الوظائف الدينية في أماكن العبادات، ويزعمون الاطلاع على الغيب، وإن لكل منهم رَئِيّاً - أي صاحباً من الجن - يعرف الكاهن عن طريقه ما سيكون من أمور. ولتحقيق هذه الغاية كانوا يعمدون إلى السجع في لغة غامضة، مؤلفة من ألفاظ غريبة، ومعان معقدة، وعبارات صعبة مبهمة؛ لإيهام السأمعين أنهم يتلقون ذلك من مصدر مجهول يرتبط بالغيب.

وقد ظهر في العرب عدد من هؤلاء الكهان، كسطيح الذئبي، وشق الأنماري، وعوف الأسدي، ومن النساء الكاهنات: فاطمة الخثعمية، وطريفة اليمنية، وزبراء، وعفيراء ...[33]

وكان الناس يتوافدون على هؤلاء الكُهّان من مختلف الجهات فيُحَكِّمُونَهُم في منازعاتهم، وفي منافراتهم، ويستشيرونهم في أمورهم الخاصة ويستخيرونهم فيما ينوونه من أعمال، أو ما يرونه في منامهم من أحلام..

ظنًّا منهم أن لوح الغيب مكشوف لديهم، يرون ما كان وما سيكون[34]

ومن **أمثلة الوفود على الكهان:**

- قدوم عبد المسيح بن نفيلة الغساني على الكاهن سَطيح الذئبي: [35].

وكان ذلك بعدما رأى الموبذان[36] الفارسي رؤيا أرعبته وهالته، وقصها على كسرى؛ فقال له: **" فما عهدك في تأويلها؟ قال: ما عندي فيها ولا في تأويلها شيء، ولكن أرسل إلى عاملك بالحيرة يوجه إليك رجلاً من علمائهم، فإنهم أصحاب علم بالحدثان"**[37].

---

[32] المنافرة: الْمُفَاخَرَةُ وَالْمُحَاكَمَةُ . ابن منظور، لسان العرب، (مادة: نفر)

[33] انظر: جواد علي، *المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام*، ج12، ص340، بتصرف.

[34] انظر:ضيف شوقي بن عبد السلام، *الفن ومذاهبه في النثر العربي* (القاهرة: دار المعارف، 1974)، ص38.

[35] أحمد بن عبد الوهاب النويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب* (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، 1423 هـ)، ج3، ص123.

[36] الموبذان: فَقيهُ الفُرْسِ كقاضي القُضَاة للمسلمينَ، والمُوبَذ :القاضي. ابن منظور، *لسان العرب*، (مادة: موبذ).

[37] الحدثان: حدثان الدهر أَي صروفه ونوائبه، ابن منظور، *لسان العرب*، (مادة: حدث).
انظر: أحمد بن محمد المرزوقي، *الأزمنة والأمكنة*(بيروت: دار الكتب العلمية، 1996م)، ص412.

كان يقصد العرب فقد عُرفوا لدى الأمم المجاورة بالقيافة والعيافة، والكهانة والتنجيم[38].

وفي الحوار الذي دار بين كسرى والموبذان دلالة على اهتمام الملوك السابقين بالرؤى وتأويلها، وقد وثق القرآن الكريم في سورة يوسف اهتمام من سبق من الملوك بالرؤى، وحرصوا على استجلاء تأويلها، وقد حرص كسرى على ذلك بعد أحداث مثيرة جرت له، مثل سقوط شرفات القصر، وخمود النيران المقدسة لديهم...

" فبعث إليه عبد المسيح بن نفيلة الغساني فلما قدم عليه أخبره كسرى الخبر، فقال له: أيها الملك والله ما عندي فيها ولا في تأويلها شيء، ولكن جَهِّزْ إلى خال لي بالشام يقال له سطيح، قال: جهزوه."

لقد كان الملك قلقاً خائفاً مما وقع له من أحداث الزمن، ثم رؤيا الموبذان المبهمة المرعبة.

فلما قدم عبد المسيح على سطيح وجده قد احتضر، فناداه فلم يجبه، وكلمه فلم يرد عليه، فأنشأ شعرًا يخاطبه به فقال:

أَصَمٌّ أَمْ يَسْمَعُ غِطَرِيفُ[39] اليَمَنْ يَا فَاصِلَ الخُطْةِ أَعْيَتْ مَنْ وَمَنْ

أَتَاكَ شَيْخُ الحَيِّ مِنْ آلِ سَنَنْ أَبْيَضَ فَضْفَاضَ الرِّدَاءِ وَالبَدَنْ

رَسُولُ قَيْلِ[40] العُجْمِ يَهْوِي لِلوَثَنْ لَا يَرْعَبُ الوَعْدَ وَلَا رَيْبَ الزَّمَنْ

وكأنه نبهه من غفلته، وأيقظه من رقدته؛ حيث خاطبه مبجلًا قدره، معظمًا شأنه، معرفًا بنفسه بالرمز والإشارة؛ وهنا يرفع سطيح إليه رأسه ويقول:

"عبد المسيح! على جمل مشيح[41] إلى سطيح، وقد أوفى على الضريح، بعثك ملك بني ساسان، لارتجاج الإيوان، وخمود النيران، ورؤيا الموبذان، رأى إبلاً صعاباً، تقود خيلاً عراباً، قد اقتحمت في الواد، وانتشرت في البلاد.

---

[38] وَهُي ضُرُوبٌ مِنَ التَّكَهُّن، انظر: ابن منظور، *لسان العرب*، (مادة: كهن).

[39] الغطريف: السيد، وجمعه الغطاريف، وقيل: الغطريف الفتى الجميل، وقيل: هو السخي السري الشاب، ومنه يقال: باز غطريف. ابن منظور، *لسان العرب*، (مادة: غطرف).

[40] قَالَ أَبو عُبَيْدَةَ: الأَقْيال ملوك باليمن دُونَ الْمَلِكِ الأَعظم، واحدُهم قَيْل يَكُونُ مَلِكًا عَلَى قَوْمِهِ ومِخْلافِه ومَحْجَره، وَقَالَ غَيْرُهُ :سُمِّيَ الْمَلِكُ قَيْلًا لأَنه إِذا قَالَ قَوْلًا نفَذ قولُه. ابن منظور، *لسان العرب*، (مادة:قول).

[41] المُشِيح أَي الجَادّ المُسْرِع؛قال الْفَرَّاءُ :المُشِيح عَلَى وَجْهَيْنِ: المُقْبِلُ إِليك، وَالْمَانِعُ لِمَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ. ابن منظور، لسان العرب، (مادة: شيح).

لقد كشف عن شخصية الوافد وعن الرسالة التي جاء بها، وفصل في سرد الرؤيا التي رآها الموبذان. ثم أخذ بالإفصاح عن تأويل هذه الرؤيا، وما سيحدث في قابل الزمان من خطوب وأحداث، فقال: **يا عبد المسيح، إذا ظهرت التلاوة، وفاض وادي السماوة، وغاضت بحيرة ساوة، وظهر صاحب الهراوة[42]، وخمدت نار فارس، فليست بابل للفرس مقاماً، ولا الشام لسطيح شامًا، يملك منهم ملوك وملكات، عدد سقوط الشرفات، وكل ما هو آت آت..."[43]**

لقد كان الحوار بين الوافد والكاهن طريفًا ومبهمًا، تزدحم فيه الأحاجي والألغاز، فالوافد يرتجر شعرًا، يخاطب سطيح بالتلميح، ويرمز دون تصريح؛ فيبتلي سمعه، ويختبر وعيه، فيُعَرِّف نفسه بأنه سيد قومه، وأنه رسول ملك العجم، وقد جاءه قاصدًا يبتغي تفسير المنام، الذي أقلق الموبذان، وأَهَمَّ ملك بني ساسان. لعله يرجع ببيان، وتفسير ما يقع في مستقبل الحدثان.

ويأتي الجواب الذي يبين فيه صفات الوافد، وغرضه من الوفادة، ثم يروي له الأحداث التي سبقت الرؤيا، ويفسر له تفاصيلها، مستشرفًا ما يجري في الزمان، كاشفًا سجف الغيب، عما سيؤول إليه الأمر بزوال ملك فارس، وارتفاع راية الإسلام.

ورغم ما يُعتقد من أن ما وصلنا عن سجع الكهان ليس صحيحًا كله، بل هو منحول في معظمه، وقد جرى نحله في عصور متأخرة لاغراض سياسية أو اجتماعية او دينية , ولكن ينبغي أن لا نسترسل بفكرة النحل والمنحول، كي لانغرق في الاستنتاج: ونظن أن الجاهليين لم يعرفوا السجع، بل المعتقد أنهم عرفوه حقًا.

وقد روي أن رجلا أتى النبي - صلى الله عليه وسلم- فخاطبه بكلام مسجوع فقال - صلى الله عليه وسلم-: « **إنَّما هذا مِن إخوان الكُهَّان**»[44] مِن أجل أنه وظف السجْع وتكلفه في حواره معه.

ويبقى سجع الكهان لوناً فريدًا من ألوان الأدب الذي لا يمكن أن يغفله باحث، أو يستغني عنه أديب.

---

[42] الهراوة: العَصا، وَقِيلَ :الْعَصَا الضَّخمةُ، وَالْجَمْعُ هَرَاوَى، بِفَتْحِ الْوَاوِ عَلَى الْقِيَاسِ مِثْلُ المَطايا. وصاحبُ الهِرَاوَةِ؛ أَراد بِهِ سيدَنا رسولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأَنه كَانَ يُمْسِكُ القَضِيب بِيَدِهِ كَثِيرًا، وَكَانَ يُمْشِى بالعَصا بَيْنَ يَدَيْهِ وتُغْرَزُ لَهُ فيُصَلِّي إِليها، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. انظر: ابن منظور، *لسان العرب*، (مادة: هرا).

[43] محمد بن موسى الدميري، *حياة الحيوان الكبرى* (بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ)، ج2، ص75.

[44] سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، *سنن أبي داود* (بيروت: دار الرسالة العالمية 2009 م)، رقم 4576، ج6، ص632، إسناده صحح.

المبحث الثاني: أغراض الوفود في عهد النبوة

المطلب الأول: وفود النبي - صلى الله عليه وسلم – على قبائل العرب، طلبًا للنصرة، ولتبليغ الرسالة:

بُعث النبي -عليه الصلاة والسلام- والعرب في جاهلية جهلاء، يغزو بعضهم بعضًا، يتفاخرون بالأنساب، ويتنافرون بالأحساب، ويعتزون بالظلم: قال حكيمهم وشاعرهم زهير بن أبي سلمى:

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لايظلم الناس يُظلم

ويتباهون بالجهل، قال فارسهم وشاعرهم عمرو بن كلثوم:

أَلاَ لاَ يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِيْنَا

والأعجب من هذا والأدهى أن يخجل أحدهم ويحرج إذا بشر بالأنثى، ويصفهم الله – تبارك وتعالى- بقوله:

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ* ﴾[45] .

وأخلاق ذميمة كثيرة، ورثها الأبناء عن الآباء، إلى جانب أخلاق كريمة حميدة تخلقوا بها، واشتهروا بها: كالكرم، والنجدة، والمروءة، وحفظ العهود، ورعاية الجار، أقرها رسول الله -عليه الصلاة والسلام- وتممها:[46] حيث قال: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»[47]. وفي بداية الدعوة الإسلامية

---

[45] سورة النحل: 58-59 .

[46] أحمد بن علي المقريزي، *إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع* (بيروت: دار الكتب العلمية، 1999 م)، ج3، ص 345.

[47] أحمد بن محمد بن حنبل، *مسند الإمام أحمد* (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2001م)، رقم: 8952، ج14، ص513.

تنكر جهلاء العرب لدعوة التوحيد التي دعا بها رسول الله -ﷺ- ونهض لتبليغها، فحاربوها وتظاهروا على إخمادها وإزهاقها، وأول من تنكر لحامل الرسالة قريش أهله وعشيرته، فراح يعرض نفسه على القبائل في مواسم الحج، يطلب النصرة والحماية، ليتمكن من تبليغ الرسالة.

قال الزهري: **" كان رسول الله -ﷺ- يعرض نفسه على قبائل العرب في كل موسم، ويكلم كل شريف قوم، لا يسألهم مع ذلك إلا أن يؤوه ويمنعوه، ويقول: «لا أُكره أحدا منكم على شيء، من رضي منكم بالذي أدعوه إليه فذلك، ومن كره لم أكرهه، إنما أريد أن تحرزوني[48] فيما يراد لي من القتل، حتى أبلغ رسالة ربي، وحتى يقضي الله لي ولمن صحبني بما شاء»**[49].

وفود النبي - صلى الله عليه وسلم- على بني شيبان برفقة علي وأبي بكر رضي الله عنهما[50]:

كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يطوف على القبائل العربية القادمة إلى مكة في موسم الحج، فيعرض نفسه عليهم، ليحملوه ويمنعوه، كي يستطيع تبليغ رسالة ربه التي كلف بتبليغها.

ووصل إلى مجلس يعلوه الوقار والسكينة، ويسأل أبو بكر الصديق عن القوم، فينتسبون إلى شيبان بن ثعلبة، فيسر الصديق ويأمل فيهم خيرًا، فيلتفت إلى رسول الله - ﷺ- ويقول له**: " بأبي أنت وأمي، ليس بعد هؤلاء من عزٍّ في قومهم".**

بهذا الوصف لهذا المجلس، تتجلى خبرة الصديق ومعرفته بقبائل العرب وأحسابهم وأنسابهم، كما يشير إلى مكانة النسب عند العرب، ومدى اهتمامهم به.

ويسألهم الصديق عن عددهم ومددهم، ومدى حمايتهم لجارهم، فجاءت إجابات سيدهم مفروق متزنة، تنم عن عقل رجيح، ولسان فصيح، تقنع السامع وتعجبه.

---

[48] أَحْرَزْت الشيء أُحْرِزُه إحْرازاً إذا حفظته وضممته إليك، وصُنْتَه عن الأَخذ، انظر: ابن منظور، *لسان العرب*، (مادة: حرز)

[49] ابن كثير، *البداية والنهاية*، ج3، ص171.

[50] عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، *الروض الأنف في شرح السيرة النبوية* (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1412 هـ)، ج4،ص51-62.

ولكن عندما يسأله الصديق عن الحرب بينهم وبين من عاداهم، وإمكاناتهم في الذود عن حماهم، يجيبه مفروق إجابة مدهشة، تنم عن حكمة بالغة، ودراية نافذة فيقول:

"إنَّا أشدُّ ما نكون لقاءً حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله، يدلنا مرة، ويديل علينا أخرى؛ لعلك أخو قريش؟"

يمثل مفروق الشيباني بهذه الإجابة الفطرة العربية الناضجة، التي تُنبئ عن صدق اللهجة، وحدة الطبع، وصفاء السريرة.

لقد أجاب السائل بصدق وثقة، مع جهله به، وبأسباب المساءلة، وكل عبارة نطق بها محسوبة بدقة، وتحمل مسؤولية نتائجها.

أما سؤاله عن النبي -عليه السلام - :" **لعلك أخو قريش؟"**

فيدل على ذيوع خبر الدعوة الجديدة التي أعلنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم- في جزيرة العرب ومدى استفاضة الحديث عنها.

وهنا يشير أبو بكر بإجلال إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- معرفا القوم به؛ ثم يقوم فيبسط ثوبه فوق رأسه النبي، يظلله من حر الشمس. تعظيماً له وتقديراً لمكانته، ولعله أراد بذلك أن يبعث في صدور القوم، هيبة الرسول الأعظم -ﷺ-، وجلال قدره.

ويتجه مفروق إلى النبي يسأله إلام يدعو فيجيبه -ﷺ-: «**أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأني رسول الله، وأن تؤوني وتنصروني، حتى أؤدي عن الله الذي أمرني به، فإن قريشًا قد تظاهرت على أمر الله، وكذبت رسوله، واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميد**»[51].

بعبارة موجزة مختصرة قدَّم رسول الله - صلى الله عليه وسلم- لبني شيبان ثمرة الدعوة، ولب الإسلام، حيث دعاهم للشهادة بوحدانية الله، والإقرار بربوبيته، ثم طلب العون لنصرته وتأييده، ليتمكن من تبليغ رسالته.

ويعجب القوم بالقيم التي يدعو إليها رسول الله ويريد تبليغها للناس، فيستزيده مفروق قائلًا: **"وإلام تدعو أيضا يا أخا قريش؟"**

---

[51] انظر: ابن كثير، *البداية والنهاية*، ج3، ص177.

فيتلو رسول الله -ﷺ- قوله - تعالى-: ﴿ **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا... ﴾ إلى قوله: ﴿ ...ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾**[52].

لقد اختار النبي الكريم آية تشمل قوام الحياة الإنسانية وضوابطها، مما أدهش سيد القوم، ودعاه للاستزادة من كلام السماء.

فقال له:**" وإلام تدعو أيضا يا أخا قريش؟ فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض! ولو كان من كلامهم لعرفناه ".**

فيتلو رسول الله -ﷺ- الآية المعجزة: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾.[53]

فزاده دهشة وإعجاباً وقناعة بدعوته، فعبر عن ذلك بقوله:

" دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ولقد أَفِك قوم كذبوك وظاهروا عليك".

وكأنه أحب أن يشركه في الكلام شيخ شيباني آخر يجله مفروق ويقدره بقوله:

" وهذا هانئ بن قبيصة، شيخنا وصاحب ديننا "

وهنا تتجلى مكارم الأخلاق لدى القوم في احترام بعضهم بعضًا؛ كما أن رصانة حديثهم ورزانته، تنبئ عن فضلهم، وعلو شأنهم.

ويتكلم هانئ بأدب واحترام مصدقًا قول النبي مثنيًا عليه ولكنه لا يريد أن يتخذ قرارًا، ويتسرع في الحكم على أمر له ما وراءه، قبل التريث والتشاور مع القوم

ومن جملة ما يقول: **" قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، وَصَدَّقْتُ قولك، وإني أرى أنَّ تَرْكَنا ديننا، واتِّباعنا إياك على دينك، لِمجلس جلستَهُ إلينا ليس له أول ولا آخر، لم نتفكر في أمرك، وننظر في عاقبة ما تدعو إليه، زلة في الرأي، وطيشة في العقل، وقلة نظر في العاقبة، وإنما تكون الزلة مع العجلة، وإن من ورائنا قومًا نكره أن نعقد عليهم عقدًا، ولكن ترجع ونرجع، وتنظر وننظر"**

لو قلت إن كل عبارة من عبارات هانئ تصلح أن تكون مثلاً سائراً، وحكمة خالدة، لصدقت؛ وذلك لما يتسم به من جزالة الفكرة، وسمو العبارة، وبلاغة التعبير.

---

[52] سورة الأنعام: 151 /6.

[53] سورة النحل: 90 / 16.

ثم يتجه هانئ إلى المثنى بن حارثة فارس القوم وقائد كتائبهم في الحرب فيقول:

" وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا ".

ويقوم المثنى فيتكلم ويثني على الدعوة الجديدة وصاحبها، ويصدق قوله، ولكنه -وهو القائد العسكري - له نظر بعيد في تحمل مسؤولية هذه الدعوة، فالأمر يحتاج إلى تريث وتفكر، ثم يقول:

" وإنَّا إنما نزلنا بين صِريين[54] أحدهما اليمامة، والآخر السماوة".

فيسأله رسول الله -ﷺ-: «**وما هذان الصريان؟**»

فيجيب: **" أما أحدهما: فطفوف البر وأرض العرب، وأما الآخر: فأرض فارس وأنهار كسرى".**

ولأنه يدرك مدى خطورة هذه الدعوة، ويعلم أن الملوك يكرهون من يخرج عن طاعتهم، ويدعو بغير دعوتهم، فيقول:

" ولعل هذا الأمر الذي تدعونا إليه مما تكرهه الملوك، فأما ما كان مما يلي بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور، وعذره مقبول، وأما ما كان يلي بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور، وعذره غير مقبول. فإن أردت أن ننصرك ونمنعك مما يلي العرب فعلنا"[55].

كان خطاب المثنى أكثر صراحة ووضوحاً من سابقيه، مما جعل النبي الكريم يجيبه بخطاب جامع مانع، يلخص حقيقة الدعوة ويحدد صفات المرشح لحملها وتبليغها، فيقول- ﷺ-: «**ما أسأتم الرد إذ أفصحتم بالصدق، إنه لا يقوم بدين الله إلا من حاطه من جميع جوانبه**»[56].

عبارة موجزة بليغة، يفهم منها أن الإسلام لا يتجزأ ولا يقبل أخذه من زاوية واحدة، فلابد من تناوله جملة.

وعند تطبيق الإسلام كاملاً تتجلى روعة التشريع، ويظهر حسنه للناس، فتسعد البشرية، وتدرك أن هذا التشريع من لدن حكيم عليم.

لكن النبي الكريم أراد قبل أن يفارقهم أن يُودِعَ في أسماعهم عبارة ظلت ماثلة في أذهانهم، حاضرة في ضمائرهم، لا تبرحهم ولا تفارقهم؛ وسيكون لها أثر بالغ فيما يستقبل من حياتهم.

---

[54]-مادة صَرَيَ: وصَرَيْتُ مَا بَيْنَهُمْ صَرْياً أَي فَصَلْتُ. «قَالَ لَهُ المُثَنَّى بْنُ حارِثة: إِنَّا نَزَلْنا بَيْن صِيرَيْنِ، الْيَمَامَةِ والسَّمَامَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه - صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: وَمَا هذَانِ الصّيرَانِ؟ فَقَالَ: مِيَاهُ العَرَب وأَنْهَارُ كِسْرى» الصِّيرُ: الْمَاءُ الَّذِي يحضُرُه الناسُ، وَقَدْ صَارَ الْقَوْمُ يَصِيرُونَ إِذَا حَضَرُوا الْمَاءَ. انظر: لابن الأثير، *النهاية في غريب الحديث والأثر*، ج3، ص66.

[55] انظر: ابن كثير، *البداية والنهاية*، ج3، ص 8 17.

[56] ابن كثير، *البداية والنهاية*، ج3، ص 144. المفضل بن سلمة بن عاصم، *الفاخر* (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي، الحلبي، 1380 هـ)، ص239.

حيث قال -ﷺ- لهم: «**أرأيتم إن لم تلبثوا إلا يسيرًا حتى يمنحكم الله بلادهم وأموالهم، ويفرشكم بناتهم، أتسبحون الله وتقدسونه؟**»

لقد فاجأهم بهذه العبارة وأدهشهم؛ **فقال له النعمان بن شريك: " اللهم وإن ذلك لك يا أخا قريش!؟".**

فتلا رسول الله -ﷺ- قوله تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرا**﴾[57] .

لقد ختم الحديث معهم بآية قرآنية تحمل في طياتها الكثير من المعاني التي ظل حُجاج بني شيبان يتعاورونها ويتدبرون معانيها، حتى وصلوا إلى مرابعهم، ومضارب خيامهم في أوطانهم.

نهض رسول الله -ﷺ- من مجلس بني شيبان قابضًا على يد أبي بكر معجباً بسمت القوم وأخلاقهم ورجاحة عقولهم

ويلتفت -ﷺ- إلى علي ويقول له: «**يا علي! أية أخلاق للعرب كانت في الجاهلية - ما أشرفها! - بها يتحاجزون في الحياة الدنيا**»

لقد أقر النبي الكريم للعرب الجاهليين بأخلاق حسنة، ومآثر اجتماعية سامية، تردعهم عن الكثير من المظالم والمفاسد.

يقول علي - رضي الله عنه -: **"ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج، فما نهضنا حتى بايعوا النبي ﷺ"** [58].

في هذا الحوار الذي دار بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبني شيبان تتجلى دقة المعاني، ووضوح الأفكار، في الخطاب الإعلامي للوفد، حيث تستمد أصالتها من القيم الخُلُقية، والفضائل الاجتماعيّة العريقة والمميزة التي اتسم بها العرب؛ إلى جانب فصاحة الحديث، وجَمِّ الأدب، فكلماتهم التي تنبع من عاطفة صادقة، وتصدر عفو الخاطر، من غير تكلّف ولا تنطع، لا يشوبها تمحل، ولا يعتريها غموض. كما كانت إجابات النبي - صلى الله عليه وسلم- تقتصر على الدعوة للتوحيد، ونبذ الشرك، ثم تلاوة الآيات القرآنية التي تحمل المعاني الربانية السامية، فتدهش السامع، وتدعوه لإبداء الإعجاب، فالقول بالغ الإيجاز في الكلمات والعبارات، واسع الطيف في المعاني والدلالات؛ يعبر عن منهج إنساني متكامل في دستور اجتماعي بديع، لمجتمع لم يعرف الحضارة من قبل، وليس

---

[57] - سورة الأحزاب: 45/ 33.

[58] - انظر: ابن كثير، *البداية والنهاية*، ج3، ص177.

عنده شأن من شؤونها؛ فينهى عن كل مالا خير فيه، ويدعو إلى كل مافيه خير:« **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ....»**[59] حتى يفصح متحدث القوم عن قناعة لايعتريها شك ولاريب: **" أن هذا القول سماوي ...".**

فلا بلاغة فوق هذه البلاغة، ولابيان بعد هذا البيان. ولا أفصح من قوله - تعالى-: « **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ...»** عبارة قصيرة، تضمنت أوامر ونواهٍ ومواعظ، بعثت الدهشة في نفوس القوم، وجعلتهم يعبرون عن إعجابهم بكلمات تنم عن الذهول: **" فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض،..."**

ولعل الأدب الجم الذي ظهر على لسان متكلمهم مفروق حيث يقول: « **دعوت – والله- يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق،...»** يكشف عن فطرة إنسانية سليمة أدبتها بيئة الصحراء بسمائها الصافية، وسعة آفاقها المترامية.

وتتبين لنا من حديث القوم هيمنة الفرس على عرب ذاك الزمان، وفرض سيطرتهم عليهم، لأن حضارة الفرس كانت موغلة في القدم، لها تاريخها العريق، ومكانتها السامية بين الأمم؛ بخلاف العرب الذين فرقتهم الجاهلية، والنزعات القبلية، فلا دولة لهم تجمعهم، ولا نظام يضبط سلوكهم.

ولقد نبه النبي الكريم -عليه السلام - بني شيبان إلى إمكان التفوق على الفرس بشرط أن ينتظموا في سلك الدين الحنيف ؛ حيث قال لهم:

«أرأيتم إن لم تلبثوا إلا يسيرًا حتى يمنحكم الله بلادهم ...؟»

ولذلك تجلى اسم محمد - عليه الصلاة والسلام- يوم أراد الفرس المجوس إذلال العرب واستئصالهم في معركة ذي قار، التي كان بنو شيبان أبرز المقاتلين فيها **."** فَلَمَّا الْتَقَوْا هُمْ وَالْفُرْسُ، قَالَ شَيْخُهُمْ: **" مَا اسْمُ الرَّجُلِ الَّذِي دَعَاكُمْ إِلَى مَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ؟ قَالُوا: مُحَمَّدٌ، قَالَ: فَهُوَ شِعَارُكُمْ "**، فَنُصِرُوا عَلَى الْقَوْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:«بِي نُصِرُوا»"[60]

ببركة اسم محمد - صلى الله عليه وسلم - انتصر العرب وانهزم الفرس. وكان هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم. حيث جعلوا شعارهم: **(يا محمد يامنصور).**

---

[59] سورة الأنعام: 6/151.

[60] سليمان بن أحمد الطبراني، *المعجم الكبير*، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، د.ت)، رقم5520، ج6، ص 62.

وقد تضمن الحوار قيمًا فطرية، وأخلاقًا إنسانية، اتسم بها عرب الجاهلية، دعت النبي - صلى الله عليه وسلم- للتعبير عن إعجابه المطلق بهذه القيم وتلك الأخلاق، رغم عدم استجابتهم المباشرة لطلبه؛ حيث التفت إلى صاحبيه قائلاً «**أية أخلاق للعرب كانت في الجاهلية! ...**».

المطلب الثاني: وفود الرعيل الأول من الصحابة الكرام على النجاشي ملك الحبشة طلبًا لجواره وحمايته

لمّا رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - ما يحدث للمسلمين من أذى المشركين وأنه غير قادر على دفع العذاب والأذى عنهم، وخاصة عن أولئك المستضعفين الذين لم يكن لهم عشيرة تحميهم وتدافع عنهم؛ فأمرهم بالخروج من مكة والهجرة إلى الحبشة، وقال لهم: «**اخرجوا إلى جهة أرض الحبشة، فإن بها ملكا لا يُظلم عنده أحد؛ وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه**» [61].

وامتثل المسلمون لأمر نبيهم - صلى الله عليه وسلم - وخرجوا من مكة في السنة الخامسة بعد البعثة النبوية؛ وكان في مقدمتهم جعفر بن أبي طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولم تكن هجرة جعفر مع المستضعفين من المسلمين إلى الحبشة بسبب تعرضه للأذى، أو التعذيب والتنكيل من قبل قريش؛ فهو ابن أبي طالب زعيم بني هاشم؛ الذي كانت قريش تخشى مكانته وتجلها، كما كانت تراعي جانب بني هاشم، ولا تجرؤ على مواجهتهم، فكيف بتعذيب ابن زعيمهم، أو أحد منهم؟!.

ولعل النبي - صلى الله عليه وسلم - أرسله مع المهاجرين ليكون أميرًا عليهم، ينظّم شؤونهم، ويتابع أحوالهم، وكذلك للتعريف بحقيقة الإسلام، وأهدافه، ومبادئه، وقيمه، خارج الجزيرة العربية، وقد كان جعفر يملك فهماً ووعياً مميزاً يؤهله للقيام بهذه المهمة.

ويطلب النجاشي لقاء الوافدين الجدد، بعدما وشت بهم رسل قريش، وطالبت بردهم إلى قومهم.

فيدخلون عليه يتقدمهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه. ويقف بين يدي النجاشي، تحدوه ثقة عالية، وإيمان راسخ، فيلقى خطابًا إعلامياً جليلاً مهيبًا، قد أجراه الله على لسانه. يقبح فيه الجاهلية وعباداتها وعاداتها، ويذكر محاسن الإسلام وصدق رسوله فيقول:

---

[61] الحلبي، *السيرة الحلبية*، ج1، ص456.

"أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف".[62]

وهكذا بدأ - رضي الله عنه - خطابه ببيان الحالة التي كانوا عليها قبل الإسلام، وتصويرها بصورة تأنف منها النفوس الكريمة، وتأباها العقول السليمة.

ويبدو جلياً أن كل مساوئ الجاهلية التي صورها جعفر لا تبعد كثيرًا عن صفة الظلم؛ فكان هناك: إما ظلم للنفس، وذلك بعبادة الأصنام ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[63]، وإما ظلم للرحم بقطعها، وإما ظلم للجار بالإساءة إليه، وإما ظلم القوي للضعيف بإذلاله وأكل حقه.

وكل هذه الصور من الظلم تعرض على ملك عادل لا يُظلم عنده أحد، فكان هذا التصدير للخطاب بذكر مساوئ الجاهلية، قد ترك أثرًا عظيمًا في قلب النجاشي، بل في قلوب أساقفته.

ثم يردف جعفر قائلاً: **"حتى بعث الله إلينا رسولاً، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه"**.

وهنا يشير جعفر إلى أن الذي جاء بهذا الدين الجديد، والمخالف لما هم عليه جميعًا، ليس رجلاً أفَّاكًا كذّابًا، يريد خداع الناس من أجل مصلحة ما، بل هو صادق أمين، وطاهر عفيف، من أعرقهم نسبًا، ومن أسماهم حسبًا، وقد جاء بالحق الواضح. وكان النصارى يؤمنون بالرسل بصفة عامة، فما أكثر الرسل الذين ورد ذكرهم في التوراة والإنجيل.

وبعد أن عرض صورة الجاهلية الحقيقية، أخذ في عرض الصورة المقابلة لها، وهي صورة الإسلام، فقال:

"فدعانا إلى الله، لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام"[64]. فعدَّد في هذا الخطاب قيم الإسلام وأحكامه.

وفي ذلك التصوير لم يكذب جعفر- رضي الله عنه- ولم يتجمل، وإنما هي الحقيقة، فالباطل بطبيعته قبيح لجلج، والحق حسن أبلج، وسيختار صاحب الفطرة السليمة دين الله الحق لامحالة.

---

[62] انظر: السهيلي، *الروض الأنف*، ج2، 246.

[63] سورة لقمان: 13 / 31.

[64] انظر: السهيلي، *الروض الأنف*، ج2، 246.

وأكمل خطابه الإعلامي غاية في الذكاء والتوفيق، فقال: **"فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئًا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا"**[65].

ثم رفع وتيرة العاطفة الإنسانية في خطابه، فوصف المعاناة التي تعرضوا لها، والأذى الذي لحق بهم من قومهم فقال: **"فعدَا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث".**

وهنا يبرز جعفر الدور القبيح للكافرين، ويسيطر على مشاعر النجاشي، بل وعلى مشاعر الأساقفة من حوله.

وأخيرًا ختم بيانه هذا بمقطع من خطابه السياسي الحكيم قال فيه:

"فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألاَّ نظلم عندك أيها الملك"[66].

وهنا - وفي صدقٍ تام وفي غير نفاق ولا كذب - يعلي جعفر من شأن النجاشي، فيذكر أفضليته على من سواه في مثل مكانه، ويرفع من قيمة العدل عنده، وهو بذلك يكسب قلبه، فيلين جانبه وتهدأ نفسه؛ فلا يتسرع بحكم، ولا يجور في قضاء.

وأمام خطاب جعفر وبيانه، بدا على الملك وكأنه أخذ يقتنع بكلامه، ويهتم بأمر هذا الدين الجديد، فسأله قائلاً: **"هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟"**

قال جعفر:" **نعم.** قال النجاشي: **اقرأه عليَّ**".

وفكر جعفر في الآيات التي سيقرؤها على النجاشي، ثم هداه الله -عز وجل- إلى اختيار مُوفَّق، فرغم كثرة السور التي نزلت في مكة، إلا أنه اختار صدر سورة مريم.

لقد اختار السورة التي تتحدث عن عيسى وزكريا ويحيى - على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام- اختار السورة ذات السياق العذب اللطيف، تلك التي تجذب قلوب السامعين، وتأخذ بألبابهم وأفئدتهم، فتنشرح صدورهم لما جاء من عند الرحمن الرحيم، فقرأ جعفر بصوته الندي، وترتيله الشجي:

﴿كهيعص * ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا *... ﴾[67]

إلى آخر ماقص القرآن الكريم من قصة زكريا ويحيا، ومريم وولدها عيسى عليهم الصلاة والسلام.

---

[65] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[66] انظر: النويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، ج16، ص249.

[67] سورة مريم: 1- 22 / 19.

لم يتحمل النصارى أثر تلك التلاوة الرائعة، والكلمات المعجزة، وما تمالكوا حتى انهمرت دموعهم غزيرة فياضة!

لقد بكى النجاشي حتى ابتلت لحيته، وبكى الأساقفة، وهنا يأخذ النجاشي القرار الصائب فيقول: **"إن هذا والذي جاء به موسى (وفي رواية: عيسى) ليخرج من مشكاة واحدة"**[68].

ويعد هذا إقرارًا بصدق الرسالة، وصدق الرسول، وصِدق جعفر ومن معه. وبذلك يكون الوفد الإسلامي قد نجح أعظم نجاح بعرض خطابه الإعلامي، فلم ينجح في إقناع عقل النجاشي وعقول أساقفته فحسب، بل تعدى ذلك حتى وصل إلى قلوبهم، وكانت هذه الجولة بكاملها في صفِّ المؤمنين. ونتج عن هذا الخطاب الإعلامي الموفق بعد ذلك إسلام النجاشي، وإسلام أساقفته، ومن ثم انتشار نور الإسلام في أرض الحبشة.

المطلب الثالث: وفود القبائل على النبي - صلى الله عليه وسلم- رغبة في الإسلام والصحبة:

وعندما أشرقت شمس الإسلام على الجزيرة العربية، وانتشر نور الإيمان في أرجائها، وباشرت بشاشته قلوب أهلها، بادرت الوفود بالقدوم على النبي - صلى الله عليه وسلم – وتزايدت بعد صلح الحديبية حتى سُمي ذلك العام: بعام الوفود، وتباينت الرسالة الإعلامية التي حملتها تلك الوفود عما سبق من وفود الجاهلية، فقد اصطبغ الخطاب الإعلامي بصبغة أخلاقية نبيلة، تتمثل بالقيم الإنسانية الراقية التي توارثها العرب عن آبائهم من مكارم الأخلاق، والمبادئ الدينية السامية التي اكتسبوها بعد دخول الإسلام، فما عادت المقاصد دنيوية، ولا الحظوظ نفسية أنانية، بل كان الهدف والغاية هو الدخول في السَّلم كافة، إرضاء لله، وطاعة لرسوله.

ويمثل هذا النوع من الوفود وفد الأزد اليماني الذي يرأسه سويد بن الحارث[69]

الذي وفد إلى المدينة المنورة في عدد من رجالات الأزد، لهم سمت حسن، وقد تزيوا بزي حسن، فلما دخلوا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أعجبه سمتهم وهيئتهم فسألهم سؤالًا يستكشف

---

[68] انظر: تفصيل خبر الوفد في: الحلبي، *السيرة الحلبية*، ج1، ص 480- 481.

[69] انظر: ترجمة سويد بْن الحارث الأزدي.، في: علي بن أبي الكرم محمد ابن الأثير، *أسد الغابة في معرفة الصحابة* (بيروت: دار الكتب العلمية، 1994 م)، رقم2344، ج2، ص593.

أحوالهم، ويستجلي أخلاقهم، فقال: «**ما أنتم؟**»، فكان جوابهم الحاضر يوحي بفهمهم سؤال النبي حيث قالوا: «**مؤمنون**»؛ فتبسم - صلى الله عليه وسلم- معجبًا!.

وكأن أمير الوفد قد أعد الإجابة لكل سؤال متوقع من رسول الله - صلى الله عليه وسلم ليدخل السرور على قلبه.

ولأن سويد لم ينتسب لعشيرة ولا قبيلة، ولا ديار أو وطن، وإنما انتسب للإيمان فحسب، فهو الذي رأى فيه أعز الحسب، وأعلى النسب، حيث قال: **"مؤمنون"**

وأراد النبي أن يستزيده، ليزداد معرفة به وبقومه، فقال له: « **إن لكل قول حقيقة، فما حقيقة قولكم وإيمانكم؟**»؛ فأجابه سيد الوفد: **" خمس عشرة خصلة: خمس منها أمرتنا رسلك أن نؤمن بها، وخمس منها أمرتنا رسلك أن نعمل بها، وخمس منها تخلقنا بها في الجاهلية، فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئاً "**70 .

لقد كان أمير الوفد فطنًا لبقًا، فلما طالبه بالدليل على ادعائه الإيمان، أجمله بذكر الخمسات الثلاث؛ بعضها موروثة، وبعضها مكتسبة، اكتسبوها بعد دخولهم في الإسلام.

وأخذ رسول الله - صلى الله عليه – وسلم - يستفسر من الوفد عن هذه الخمسات وأهميتها.

فسأله: « **وما الخمس التي أمرتكم رسلي أن تؤمنوا بها؟** »

فذكر له أركان الإيمان الخمسة، ولما سأله عن الخمس التي أمروا أن يعملوا بها، ذكر له أركان الإسلام الخمسة، ولما سأله عن الخمس التي تخلقوا بها في الجاهلية قال: **" الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء، والصدق في مواطن اللقاء، والرضى بمر القضاء، والصبر عند شماتة الأعداء."**

ولما سمع - عليه الصلاة والسلام - خمسات القوم أعجب بها وبحامليها، وعبَّر عن إعجابه بقوله: **«علماء، حكماء، كادوا من صدقهم أن يكونوا أنبياء»71.**

إن قدوم الوفد اليماني بمظهر أنيق وسمت حسن، لاقى القبول في نفس النبي- صلى الله عليه وسلم- قبل أن يتكلم أمير الوفد؛ و في الحوار الذي دار بين النبي وبين الوفد، تجلى الأدب الجم الذي تمثل به الوافد، حيث عرض ما لديه من ثقافة أدبية، وقيم إنسانية، بأسلوب محكم بليغ، ولغة فصيحة بَيِّنَةٍ.

---

70 علي بن الحسن بن عساكر، *تاريخ دمشق* (دمشق: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع1995 م)، ج41، ص198.

71 أحمد بن عبد الله الأصبهاني، *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء* (القاهرة: السعادة، 1974م)، ج 9، ص 279.

وبمنتهى التواضع يعرض سويد الخصال المكتسبة في الإسلام، والأخلاق الموروثة من الآباء، فبدأ بما اكتسبوه في الإسلام من أركان الإيمان وأركان الإسلام التي تمسكوا بها، وحرصوا عليها، ثم ذكر الخصال الموروثة المتأصلة فيهم، ثم يردف بمنتهى الود والأدب: **"فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئاً."**

لقد اختفت عزة الجاهلية وتلاشت، وغاب الفخر بالأحساب، والاعتزاز بالأنساب، وحل محلها التواضع والتلطف؛ فالمقصد والغاية إرضاء الله ورسوله؛ فقد عرض الخصال التي تخلق بها قومه في الجاهلية من مكارم الأخلاق، التي تخلق بها العرب الأقحاح، وهي عينها التي بعث النبي الكريم ليتممها «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**»**72.**

ونلاحظ مدى إعجاب الرسول - صلى الله عليه - بالوفد وأخلاقه وقيمه، حتى نسب إليهم الحكمة والعلم، ونعتهم بالصدق، بل وسما بهم إلى أعتاب النبوة، لما تخلقوا به من أخلاق يقرها الإسلام ويعززها: « **كادوا من صدقهم أن يكونوا أنبياء**».

ويزداد إعجابه بهم وبسمتهم وأخلاقهم، فيشاركهم مشاعرهم وأحاسيسهم، ويضيف إليهم خصالاً أخرى تعلي هممهم، وترفع شأنهم فيقول -صلى الله عليه وسلم-:« **وأنا أوصيكم بخمس خصال ليكمل الله لكم خصال الخير: لا تجمعوا ما لا تأكلون، ولا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تنافسوا فيما غدًا عنه تزولون، واتقوا الله الذي إليه راجعون، وعليه تقدمون، وارغبوا فيما إليه تصيرون، وفيه تخلدون.**»[73]

لقد أضاف لهم خصالاً خمساً تُجَلِّي لهم حقيقة الحياة الدنيا، وما ينبغي لكل مؤمن أن يتعامل معها، فلا يتعلق بمظاهرها الخدَّاعة، ونعيمها الزائل، ويرغبهم بالآخرة، وما ينتظرهم فيها من الحياة الأبدية الخالدة.

فما أبدع الرسالة التي قدم بها الوافد! وما أروع استجابات الموفود عليه!

لقد استطاع سويد أن يعرض خطابه الإعلامي عرضًا شيقًا تفاعل معه النبي عليه السلام واستجاب لخطابه فأكرمه، وأكرم أعضاء الوفد، ونعتهم بالحكمة، التي تكرم صاحبها، وترفع شأنه، وتعلي قدره.

---

72 ابن حنبل، *مسند أحمد*، ج14، ص513.

73 علي بن الحسن ابن عساكر، *تاريخ مدينة دمشق* (بيروت: دار الفكر، 1995م)، ج41، ص200.

المبحث الثالث: أغراض الوفود في عهد الخلافة الراشد وأثرها الإعلامي

إن لكل وفد غرض يروم تحقيقه، فبعضهم يبغي العطاء والرفادة، وآخر يقصد الجاه والسيادة، ولكن وفود الصحابة على الملوك والأمراء كان غرضهم أسمى من لعاعة الدنيا، وأعلى من زخارفها؛ فقد وفدوا على من وفدوا عليه، ولا حاجة لهم سوى تبليغ رسالة الإسلام، ونشر دعوة الحق في أرجاء المعمورة.

المطلب الأول: وفود الصحابة على كسرى قبل القادسية

بعدما أعز الله الصحابة بالإسلام، واستمعوا خطبة النبي- صلى الله عليه وسلم – في حجة الوداع، حيث ندبهم في آخرها لتبليغ الرسالة من بعده؛ فقال: «**...أَلَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ مِنْكُمْ، فَلَعَلَّ مَنْ يُبَلَّغُهُ يَكُونُ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ يَسْمَعُهُ**»[74]

انطلق الصحابة يبلغون الرسالة إلى أمم الأرض وملوكها من العرب والفرس والروم والحبش والقبط.

وفي خلافة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- اتجه الصحابة الكرام إلى العراق لتبليغ الرسالة بقيادة سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه – وبعث سعد وفدا من أصحابه إلى كسرى يدعونه إلى اللَّه، ويبلغونه رسالة الإسلام؛ وكان ذلك بعد مناوشات مع الفرس وقَبْلَ وَقْعَةِ القادسية، فَاسْتَأْذَنُوا عَلَى كِسْرَى فَأَذِنَ لَهُمْ

[74] محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، (بيروت: دار ابن كثير، 1987 م) رقم 67، ج1، ص37

ولما دخل الصحابة مدينة كسرى، وساروا في طرقاتها بأسمالهم البالية، وأجسادهم النحيلة، وخيولهم الهزيلة، تعجب منهم عامة أهل البلد، وأخذوا يتساءلون: كَيْفَ لِمِثْلُ هَؤُلَاءِ الصعاليك - في نظرهم – أن يقهروا جيوشهم مع كثرة عَدَدِهَا وَعُدَدِهَا؟.[75].

إن من عوائد الله -سبحانه- أنه لا يعامل خلقه بمظاهرهم، بل بنواياهم ودواخلهم، وكان المسلمون في ذلك الزمن من أبعد خلق الله عن الاهتمام بالمظهر، ومن أقربهم إصلاحاً للمَخبر، وأحرصهم على إخلاص النوايا، وإنقاء السرائر.

وأُدخلوا إيوان كسرى، المتخم بالزخرف والحلي والحلل، وكان كسرى متربعًا على عرشه، شامخًا بأنفه، متعاليًا على كل من حوله، فوقفوا غير آبهين بكل مظاهر الترف والأُبهة، التي أحاط بها كسرى نفسه، فلم ينحنوا أمام جبروته وهيبته، فأخذ يسألهم عن لباسهم ونعالهم ومراكبهم ساخرًا متعاليًا.

ثُمَّ سألهم عن سبب قدومهم إلى بِلَادهَ؟ وقال مهدداً: **" أَظَنَنْتُمْ أَنَّا لَمَّا تَشَاغَلْنَا بِأَنْفُسِنَا اجْتَرَأْتُمْ عَلَيْنَا؟ "!**

فقام النُّعْمَانُ بْنُ مُقَرّنٍ[76] وشرح له بهدوء سبب القدوم، وبين له الرسالة السامية التي جاءهم بها النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم-، وما تضمنت هذه الرسالة من قيم ومبادئ، وهم قد كلفوا بحملها، وتبليغها إلى الناس جميعاً، ثم أردف يقول:

"... فَنَحْنُ نَدْعُوكُمْ إِلَى دِينِنَا، وَهُوَ دِينٌ حَسَّنَ الْحَسَنَ وَقَبَّحَ الْقَبِيحَ كُلَّهُ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَأَمْرٌ مِنَ الشَّرِّ هُوَ أَهْوَنُ مِنْ آخَرَ شَرٍّ مِنْهُ ; الْجِزَاءُ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَالْمُنَاجَزَةُ..."[77]

لقد كان في خطاب المثنى رفق ولين وتلطف، ورغم هذا اللطف واللين، والرفق في الخطاب، فإنه لم يُعجب يَزْدَجِرْد، فغضب وزمجر، وأخذ يتكلم بصلف وعنجهية مفرطة، مستخفاً بالوفد وبقومهم، الذين يراهم من أشقى الأمم ومن أقلهم عدداً، ويَعُدُّهم تبعاً لهم، وخدماً لحضارتهم العريقة، ودولتهم السامية، ثم قال لهم َ:

---

[75] انظر تفصيل الخبر في: ابن كثير، *البداية والنهاية*، ج7، ص 41.

[76] صحابي جليل ويقال اسمه: النعمان بْن عَمْرو بْن مُقرن. يُكَنَّى أَبَا عَمْرو وقيل يُكَنَّى أَبَا حكيم، انظر ترجمته في: يوسف بن عبد الله بن عبد البر، *الاستيعاب في معرفة الأصحاب* (بيروت: دار الجيل، 1992 م)، ج4، ص1505.

[77] ابن كثير، *البداية والنهاية*، ج7، ص48.

" ...وَإِنْ كَانَ الْجَهْدُ دَعَاكُمْ، فَرَضْنَا لَكُمْ قُوتًا إِلَى خِصْبِكُمْ، وَأَكْرَمْنَا وُجُوهَكُمْ وَكَسَوْنَاكُمْ، وَمَلَّكْنَا عَلَيْكُمْ مَلِكًا يَرْفُقُ بِكُمْ"[78]

أوعد ووعد، وتطاول على الوفد فأرغى وأزبد، وكأنه سيد يخاطب عبيده.

وهذا كان إحساس الفرس وتصورهم تجاه العرب، الذين طالما خطبوا ودهم، وقصدوا رضاهم؛ أما أن يسمع خطاباً جديدًا، غير الذي كان يسمعه من ملوك العرب وأشرافهم قبل الإسلام؛ فما كان ليتصور ذلك أبداً.

فَأَسْكتَ الْقَوْمُ أعضاء الوفد برهة من الزمن، وكل منهم ما يدري ماذا يقول، ثم نهض الْمُغِيرَةُ بْنُ شعبة [79]

وأراد أن يقدم خطابًا إعلامياً مختلفًا فَقَالَ: **" أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّ هَؤُلَاءِ رؤوسُ الْعَرَبِ وَوُجُوهُهُمْ، وَهُمْ أَشْرَافٌ يَسْتَحْيُونَ مِنَ الْأَشْرَافِ، وَإِنَّمَا يُكْرِمُ الْأَشْرَافَ الْأَشْرَافُ، وَيُعَظِّمُ حُقُوقَ الْأَشْرَافِ الْأَشْرَافُ، وَلَيْسَ كُلُّ مَا أُرْسِلُوا لَهُ جَمَعُوهُ لَكَ، وَلَا كُلُّ مَا تَكَلَّمْتَ بِهِ..."**[80].

ثم أخذ يصور له حال العرب قبل الإسلام من الفقر والقلة، وشظف العيش والجهل، ووأد البنات، والتحارب فيما بينهم.

وبالغ المغيرة كثيرًا في وصف سوء حال قومه، بما هو أكثر مما يتصور الملك من بؤس الحال، وسوء العشرة؛ لينقله إلى الحال الذي بلغوه بعد البعثة المحمدية واعتناقهم الإسلام، فقال:

" فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَجُلًا مَعْرُوفًا ; نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَنَعْرِفُ وَجْهَهُ وَمَوْلِدَهُ،.... فَقَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِنَا التَّصْدِيقَ لَهُ وَاتِّبَاعَهُ ...." .

وبعد أن بين له نعمة الله عليهم بالإسلام، وتفضله عليهم بالهداية، وأكد له حرص المسلمين على هداية البشر، أنهى خطابه بعبارة أطارت صواب الملك، وأفقدته توازنه، فقد خيره بمنتهى الصراحة والوضوح بين الثلاث، ونبرة العزة تعلو كل كلمة من كلماته حيث قال له:

" فَاخْتَرْ إِنْ شِئْتَ الْجِزْيَةَ وَأَنْتَ صَاغِرٌ، وَإِنْ شِئْتَ فَالسَّيْفَ، أَوْ تُسْلِمُ فَتُنَجِّيَ نَفْسَكَ."

---

[78] المصدر السابق، ج7، ص49.

[79] في الطبري: المغيرة بن زرار بن النباش، وكان أحد الوفد الذين أرسلهم سعد إلى يزدجرد. انظر: محمد بن جرير الطبري ،*تاريخ الطبري* (بيروت: دار التراث، 1387هـ)، ج3، ص499.

[80] ابن كثير، *البداية والنهاية*، ج7، ص49.

لقد كان وقعُ خطاب المغيرة كالصاعقة على رأس الملك، خطاب ينسف كل كبريائه واستعلائه، لقد أوصل إليه رسالة، ما كان يحسب أن يسمعها من قيصر الروم، ولا من ملك الصين أو الهند، أما أن يسمعها من أعرابي، طالما كان أسياده يقفون ببابه ولا يؤذن لهم أياماً، وإذا أذن لهم وأُدخلوا عليه، ينحنون أمامه مهابة وإجلالاً، ومنتهى أملهم وغايتهم خطب وُدِّه، والحظوة بنواله.

فَقَالَ يَزْدَجِرْدُ غاضبًا: **" اسْتَقْبَلْتَنِي بِمِثْلِ هَذَا؟ !**

فرد عليه المغيرة بثقة كبيرة، وعزة نفس عالية: **" مَا اسْتَقْبَلْتُ إِلَّا مَنْ كَلَّمَنِي، وَلَوْ كَلَّمَنِي غَيْرُكَ لَمْ أَسْتَقْبِلْكَ بِهِ".**

فازداد غيظ كسرى، وامتلأ حنقاً وَقَالَ: **" لَوْلَا أَنَّ الرُّسُلَ لَا تُقْتَلُ لَقَتَلْتُكُمْ! ثم أردف مغاضباً: "لَا شَيْءَ لَكُمْ عِنْدِي".**

ثم التفت إلى من حوله من حاشيته وَقَالَ: **" ائْتُونِي بِوَقْرٍ[81] مِنْ تُرَابٍ، فَاحْمِلُوهُ عَلَى أَشْرَفِ هَؤُلَاءِ، ثُمَّ سُوقُوهُ، حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ أَبْيَاتِ الْمَدَائِنِ"**

ثم اتجه إلى الوفد، فقال لهم بنبرة متعالية مستكبرة:

" ارْجِعُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ فَأَعْلِمُوهُ أَنِّي مُرْسِلٌ إِلَيْهِ رُسْتُمَ[82] حَتَّى يَدْفِنَهُ وَجُنْدَهُ فِي خَنْدَقِ الْقَادِسِيَّةِ، وَيُنَكِّلَ بِهِ وَبِكُمْ مِنْ بَعْدُ، ثُمَّ أُورِدُهُ بِلَادَكُمْ حَتَّى أَشْغَلَكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ بِأَشَدَّ مِمَّا نَالَكُمْ مِنْ سَابُورَ[83].

لم تكن ردة فعل الملك مفاجئة للوفد، فهم يتوقعون ذلك، وربما أكثر منه، المهم أنهم أوصلوا إليه الرسالة التي أرادوا تبليغها له، ولكن المفاجئ سؤاله عن أشرفهم ليحمله التراب؛ حيث صرخ بهم قَائلاً: **" مَنْ أَشْرَفُكُمْ؟"** فَسَكَتَ الْقَوْمُ، لأن السؤال باغتهم، ويحتاج إلى وقفة تأمل وتفكير للإجابة عليه، فمن سيزكي نفسه على أصحابه؟

ومن سيدَّعي بعلو كعبه على من معه من إخوانه؟ لكن عَاصِمُ بْنُ عَمْرٍو فطن لمقصود الملك، فافْتَاتَ[84] على أصحابه لِيَأْخُذَ التُّرَابَ، فقال بسكينة ووقار:

---

[81] الْوِقْرُ: الْحِمْلُ. وَيُقَالُ نَخْلَةٌ مُوَقَّرَةٌ وَمُوقِرٌ، أَيْ ذَاتُ حَمْلٍ كَثِيرٍ.انظر: أحمد بن زكرياء بن فارس، معجم *مقاييس اللغة* (دمشق: دار الفكر، 1979م)، ج6، ص132.

[82] رستم بن هرمز، قائد فارسي وكان محنكا، قد جربته الدهور، انظر: أحمد بن داود الدينوري، *الأخبار الطوال* (القاهرة: دار إحياء الكتب العربي، 1960 م)، ص 119.

[83] سابور بن أردشير ذو الاكتاف، وكان يخلع اكتاف من يأسر من الأعداء، فبذلك سمى ذا الاكتاف. انظر: الدينوري، *الأخبار الطوال*، ص49.

[84] افتات: إذا قَالَ البَاطِلَ، وافْتَأَتَ فُلانٌ عَلَيْنَا يَفْتَئِتُ، إذا اسْتَبَدّ عَلَيْنَا بِرَأْيِهِ، انظر: الزَّبيدي، *تاج العروس*، ج5، ص20.

" أَنَا أَشْرَفُهُمْ، أَنَا سَيِّدُ هَؤُلَاءِ، فَحَمِّلْنِيهِ".

فنظر الملك إلى أعضاء الوفد ليتحقق من صدق عاصم، فَقَالَ**:" أَكَذَاكَ؟ "** فردوا بالموافقة، أن: نَعَمْ. فأخذ عاصم حِملَ التراب، ووضعه على كتفه، وهرول مسرعًا إلى راحلته، فوضعه عليها، وأسرع في السير" ... **فَمَرَّ بِبَابِ قُدَيْسٍ[85] فَطَوَاهُ فَقَالَ: بَشِّرُوا الْأَمِيرَ بِالظَّفَرِ، ظَفِرْنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى."**

كانوا يثقون بنصر الله وتأييده، حتى أصبح كل ما يرون من أذى العدو بشارة بالنصر، فالفعل الذي ظنه كسرى إهانة لهم، رأوا فيه بشارة لهم بالغلبة، وعلامة على تملكهم بلاد فارس، كيف لا؟!، وقد قدم لهم تراب بلده، وحملهم إياه، فكأنه أعطاهم أرضه التي يقف عليها، وحملهم ترابها الذي يحرص عليه، ويدافع عنه.

ثُمَّ دَخَلَ عَلَى سَعْدٍ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ. فَقَالَ: **" أَبْشِرُوا فَقَدْ وَاللَّهِ أَعْطَانَا اللَّهُ أَقَالِيدَ مُلْكِهِمْ".[86]**

لقد تَفَاءَلُوا بِذَلِكَ الصنيع، ورأوا فيه بشارة من الله - تعالى- على أَخْذَهِمْ بِلَاد فارس، وإسقاط عرش ملكها، وإطفاء نار المجوس فيها.

نعم لقد تعلموا من دينهم، ومن حديث نبيهم، الفأل الحسن بكل شيء.

عن أبي هريرة قال: «**كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحب الفأل الحسن، ويكره الطِّيرة»**[87]. حتى في الزمن الصعب الذي عاشه أصحابه يوم الخندق، حيث حاصرت الأحزاب المدينة؛ فقد أخبرنا عبد اللَّه بن عمرو بن العاص: " أن رسول اللَّه - صلّى اللَّه عليه وسلّم - خرج يوم الخندق وهم محدقون حول المدينة، فتناول الفأس فضرب بها ضربة فقال: هذه الضربة يفتح اللَّه- تعالى- بها كنوز الروم، ثم ضرب الثانية فقال: هذه الضربة يفتح اللَّه- تعالى- بها كنوز فارس، ثم ضرب الثالثة فقال: هذه الضربة يأتيني اللَّه- عزّ وجلّ- بأهل اليمن أنصارا وأعوانا" [88].

---

[85] قديس: موضع بناحية القادسية، قال سيف: وقدم سعد القادسية فنزل في القديس، انظر: ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم *البلدان* (بيروت: دار صادر، 1995 م)، ج4، ص314.

[86]- انظر تفصيل الخبر في: ابن كثير، *البداية والنهاية*، ج7، ص 48- 49-50. و الطبري، *تاريخ الطبري*، ج3، ص499.

[87] ابن حنبل، *مسند أحمد*، رقم8374، ج8، ص 300 .

[88] المقريزي، إمتاع الأسماع، ج12،ص 291

المطلب الثاني: وفود الصحابي الجليل ربعي بن عامر[89] على رستم قائد جيش الفرس

أما هذا الصحابي فقد كانت رسالته الإعلامية أكثر وضوحاً وأبلغ بياناً، حيث أفصح عن حقيقة رسالة الإسلام ومهمة المسلم الذي يحملها:

لقد طلب رستم - وهو قائد جيش الفرس - قبل القادسية وفداً يفاوضهم، ويستجلي أخبارهم؛ فانتدب ربعي بن عامر لمقابلته، فدخل على رستم بقلب عامر بالإيمان، ومظهر متقشف خشن، قد امتلأ عزة وإباء، وزهدًا واخلاصًا؛ فترسه من اديم البقر، وغمد سيفه من خرق خَلِقَةٍ[90]، يحمل رمحه وقوسه بيده، وعلى رأسه عمامة مشدودة، وله أربع ضفائر مرفوعة، كأنها قرون وعل؛ ويمتطي فرسا قصيرة غير فارهة. لم يكن ربعي بن عامر من قادة الجيش، ولكنه كان سيداً في قومه.

ولما أُذن له بمقابلة رستم، دخل بفرسه على البُسُطِ الممتدة أمامه، ووجد الوسائد المذهبة؛ فقطع إحداها، وربط فرسه بها، ثم أخذ رمحه، واتجه صوب رستم وهو يتكئ عليه، والرمح يخرق البسط ويقطعها، وعجب الحضور من تصرف ربعي، وكذلك رستم دهش لما يرى من فعله، وبينما هم يفكرون في جلوسه جلس على الأرض، ووضع رمحه أمامه يتكئ عليه، ونظر إلى رستم يصغي لما يقول.

فقال له رستم: **" ما دعاك لهذا؟"** أي لماذا جلست على الأرض ولم تجلس على الأريكة

أجاب ربعي بثقة واعتزاز: **" إنا لا نستحب أن نجلس على زينتكم".**

فسأله رستم: **" ما جاء بكم؟"**

وهنا كان الخطاب الإعلامي العجيب الذي لخص فيه ربعي رسالة الإسلام حيث قال: **" اللَّهُ ابْتَعَثْنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَمِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا إِلَى سِعَتِهَا، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ، فَأَرْسَلَنَا بِدِينِهِ إِلَى خَلْقِهِ لِنَدْعُوَهُمْ إِلَيْهِ، فَمَنْ قَبِلَ ذَلِكَ قَبِلْنَا مِنْهُ وَرَجَعْنَا عَنْهُ، وَمَنْ**

---

[89] ربعي بن عامر أدرك النبي - صلى الله عليه وسلم- وشهد فتح دمشق ثم خرج إلى القادسية، كان من أشراف العرب. انظر: ابن عساكر، فتح دمشق،ج18،ص49،رقم: 2136. العسقلاني، *الإصابة في تمييز الصحابة*، ج2، ص378.

[90] أَخْلَقَ الشَّيْءُ وَخَلُقَ، إِذَا بَلِيَ. وَأَخْلَقْتُهُ أَنَا: أَبْلَيْتُهُ. ابن فارس، مقاييس اللغة،(مادة: خلق)

أَبَى قَاتَلْنَاهُ أَبَدًا حَتَّى نُفْضِيَ إِلَى مَوْعُودِ اللَّهِ. قَالُوا: وَمَا مَوْعُودُ اللَّهِ؟ قَالَ: الْجَنَّةُ لِمَنْ مَاتَ عَلَى قِتَالِ مَنْ أَبَى، وَالظَّفَرُ لِمَنْ بَقِي "[91].

خطاب أدهش رستم فما سمع من قبل مثل هذا الكلام، **" لقد ابتعثنا الله"** وكأن كل واحد منهم رسول مبعوث إلى الناس كافة؛ نعم لقد كانت رسالة الإسلام إلى عموم الخليقة؛ ومن يحملها؟ إنهم المسلمون، أتباع النبي الكريم محمد -صلى الله عليه وسلم- يأمرون الأمم بالمعروف وينهونهم عن المنكرحيث قال الله تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...**﴾[92]

فأجابه رستم بكبرياء واستعلاء: **" قد تموتون قبل ذلك".**

وكان جواب ربعي حاضرًا: **" وعدنا الله -عز وجل- أن الجنة لمن مات منا على ذلك، وأَنَّ الظفر لمن بقي منا".** ثقة ما بعدها ثقة!، وإجابة تفحم الخصم وتقطعه. وأطرق رستم مليًا، ثم رفع رأسه وقال لربعي: **" قد سمعت مقالتك، فهل لك أن تؤجلنا حتى نأخذ الرأي مع قادتنا وأهلنا؟"**

فهو يطلب برهة من الزمن يتفكر خلالها، ويتشاور مع أعوانه. ويجيب ربعي بلا تردد: **"نعم، أعطيك، كم تحب: يومًا أو يومين؟"**

حدد ربعي المهلة بيوم أو يومين، ضامنًا لرستم الهدنة بنفسه بقوله: **" أعطيك"** قال رستم: **" لا، ولكن أعطني أكثر؛ إنني أخاطب قومي في المدائن"** فيفصح ربعي عن قانون من قوانين الحرب سنه لهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لا يخالفونه ولا يتجاوزونه، فيقول: **" إن رسول الله قد سنَّ لنا أن لا نمكن آذاننا من الأعداء، وألا نؤخرهم عند اللقاء أكثر من ثلاث."**

ويشرح له دستور الحرب في الإسلام، المهلة ثلاثة أيام ولا تزيد، حتى لا يستطيع العدو التقاط أنفاسه وتدارك أمره. وبعدها يختار الخصم واحدة من ثلاث: الإسلام وله ما للمسلمين وعليه ما عليهم، أو دفع الجزية ويبقى على دينه، وله الحماية والنصرة، أو القتال والمناجزة، ولا يكون ذلك إلا بعد اليوم الثالث، إلا إن غدر ونكث، ثم يقول له:**" وأنا كفيل لك عن قومي أن لا نبدأك بالقتال إلا في اليوم الرابع، إلا إذا بدأتنا" .**[93] فهو يتكفل له أن لا يحاربه المسلمون إلا في اليوم الرابع.

---

[91] انظر: ابن كثير، *البداية والنهاية*، ج7، ص39.

[92]- سورة آل عمران: 3/110.

[93] انظر: ابن كثير، *البداية والنهاية*، ج7، ص40.

وهنا يبدو مَخبر الوافد غير المظهر، إنه امرؤ عجيب! يقطع الوعد، ويضمن الوفاء، وما عهد رستم في مثل هذه الأمور المهمة أن يعد أحدهم ويكفل بإنجاز ما يعد إلا الملك، فكيف هذا يقطع الوعود واثقاً بضمانها وإنجازها؟

فيسأل رستم مستوضحاً شخصية الوافد ومكانته: **"أسيِّدُهم أنت؟"** أي: هل أنت سيد القوم ورئيسهم، حتى تضمن لي الوفاء بما تعد، فلا يحاربني قومك ؟.

وهنا أيضاً يفصح ربعي عن قيمة سامية من قيم الإسلام التي لا يعرفها رستم ولا قومه، فيقول: **" لا، بل أنا رجل من الجيش، ولكنَّ أدنانا يجير على أعلانا."** فأقل رجل منا إذا قال كلمة، أو وعد وعدًا لا بُدَّ وأن ينفذه أَعلانا. هذه حقيقة الإسلام [94]

لقد قدم ربعي نموذجاً صادقاً عن وظيفة المسلم في الحياة، فقد نصح عدوه، وبالغ في النصح، وبين له قدوم المسلمين إلى بلادهم لغاية سامية، وهي سعادة الناس، وحريتهم، وإنقاذهم من ظلم الحكام الطغاة وجورهم؛ ولا مطمع لهم في أرضهم ولا ملكهم.

وعاد رستم يُكلِّم حاشيته مبديًا عَجَبه من هذا الوافد، وما يحمل من أهداف يثق بتنفيذها؛ فيقول لهم: **" أرأيتم من مَنطِقِه؟! أرأيتم من قوته؟! أرأيتم من ثقته؟!"** [95] كان يستميل قومه عقد صلح مع المسلمين؛ وبذلك يتجنب الدخول مع المسلمين في حرب أيقن رستم أن الخاسر فيها قومه، وأن الظافر هؤلاء القوم، الذين لو وقفت جبال الأرض أمامهم لأزاحوها.

ولكن الفرس على عادتهم، يُعمي الكبر بصائرهم، فرفضوا ولجُّوا؛ وكان القتال في اليوم الرابع، وانتهت الحرب بإنجاز موعود الله، حيث انتصر المسلمون، وقتل رستم، وانهزم الفرس، ودالت دولتهم، وزال جور حكمهم إلى غير رجعة.[96]

---

[94]- عَنْ فَاخِتَةَ أُمِّ هَانِئٍ، قَالَتْ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ، أَجَرْتُ حَمْوَيْنِ لِي مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِذْ طَلَعَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَعَلَيْهِ رَهْجَةُ الْغُبَارِ فِي مِلْحَفَةٍ مُتَوَشِّحًا بِهَا، فَلَمَّا رَآنِي، قَالَ: " مَرْحَبًا بِفَاخِتَةَ أُمِّ هَانِئٍ ". قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَجَرْتُ حَمْوَيْنِ لِي مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: " قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ، وَأَمَّنَّا مَنْ أَمَّنْتِ " انظر: البخاري، صحيح البخاري، رقم 350، ج1، ص141، وابن حنبل، *مسند الإمام أحمد*، رقم26892، ج 44، ص460.

[95] الطبري، محمد بن جرير، *تاريخ الطبري*، ج4، ص6.

[96]ا أبو حيان، علي بن محمد التوحيدي، *الإمتاع والمؤانسة*، (بيروت: المكتبة العنصرية، 1424 هـ)، ص 74

المطلب الثالث: فطنة الوافد وأدبه يرفع مكانته:

وقف أعرابي على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه – وقدم لطلبه بعبارة تنم عن أدبه، ورجاحة عقله، وسمو إيمانه، حيث قال:

" إن لي إليك حاجة رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك، فإن أنت قضيتها حمدت الله تعالى وشكرتك، وإن لم تقضها حمدت الله - تعالى - وعذرتك".

لقد أفصح عن قاعدة إيمانية رائعة، تلخص عقيدة التوحيد، وحقيقة التوكل، فنسب العطاء والمنع إلى الله تعالى؛ وما الإنسان إلا مسخر في الحياة، يجري الله على يديه ما يشاء، يُشكر إن وافق القضاء مراد الله، ويُعذر إن لم يَجْرِ على يديه قدر الله. وكأنه يترجم قول الله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾[97]

لقد تأمل علي - رضي الله عنه - وجه الأعرابي، وتفرس فيه الشرف والعفة، وقد غير ملامحه الضر والحاجة، فأراد أن يجنبه ذل المسألة، فقال له: **" خُطَّ حاجتك في الأرض، فإني أرى الضُرَّ عليك"**، فلخص كل حاجاته بكلمة واحدة، خطها باصبعه على الأرض**: "إني فقير"** فصعد علي فيه النظر، فرأى عليه كساء رَثًا لا يكاد يقيه قرًا ولا حرًا؛ فدعا خادمه وقال: **" يا قنبر؛ ادفع إليه حُلَّتي الفلانية"**.

فلما أخذ الأعرابي الحُلَّة وقف بين يدي أمير المؤمنين شاكرًا فضله وأنشده قائلاً:

كَسَوْتَنِي حُلَّةً تَبْلَى مَحَاسِنُهَا فَسَوْفَ أَكْسُوكَ مِنْ حُسْنِ الثَّنَا حُلَلَا

إِنَّ الثَّنَاءَ لَيُحْيِي ذِكْرَ صَاحِبِهِ كَالغَيْثِ يُحْيِي نَدَاهُ السَّهْلَ وَالجَبَلَا

لَا تَزْهَدِ الدَّهْرَ فِي عُرْفٍ بَدَأْتَ بِهِ فَكُلُّ عَبْدٍ سَيُجْزَى بِالَّذِي فَعَلَا[98]

تجلى أدب الأعرابي مرة أخرى بعدما وهب له الإمام حلته، فأراد أن يكافئ معروفه بمعروف يفوقه، فاللباس يبليه الدهر وتفنيه الأيام، ولكن الثناء يبقى مابقي الزمان. فكيف إذا كان الثناء شعرًا تتغنى به العربان، وتسير به الركبان.فكم رفع الثناء رجالًا وأحيا ذكرهم، كما يحي الغيث الكائنات.

---

[97] سورة الصافات: 37/96.

[98] الحسن بن رشيق القيرواني، *العمدة في محاسن الشعر وآدابه* (بيروت: دار الجيل، 1981م)، ج1، ص29.

ويختم أبياته بنصيحة قيمة نابعة من الإيمان بالجزاء والمكافأة، فلا يضيع المعروف عند الله، وكأنه اقتبس المعنى من قول الحطيئة[99]:

مَن يَفعَلِ الخَيرَ لا يَعدَم جَوازِيَهُ لا يَذهَبُ العُرفُ بَينَ اللهِ وَالناسِ[100]

تبدت ملامح شخصية الأعرابي عند علي، وظهرت مروءته فسر بأدبه وشعره، وتبين لمن حضر أن الرجل وجيه أديب، وذو مكانة ومنزلة.

فنادى أمير المؤمنين خادمه قنبر مرة أخرى ليعلي شأن الوافد، ويرفع قدره؛ فقال: **" يا قنبر، أعطه خمسين ديناراً"**، ثم اتجه إلى الأعرابي وقال له: **"أما الحلة فلمسألتك، وأما الدنانير فلأدبك، "**[101] ويضيف سبباً وجيهاً لإكرامه الأعرابي، حتى لايعجب الحضور من فعله فقال: **سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: « أنزلوا الناس منازلهم »** [102]

وهكذا نلاحظ اهتمام العرب بالأدب وإكرامهم الأدباء، وعلي -رضي الله عنه - أزهد الناس بالدنيا، وأبعدهم عن حب المديح، لكنه لمس أدبًا جمًا وشعرًا رائقًا فقدره، ورفع شأن صاحبه، وأكرمه لأجل أدبه، وفي استشهاده بالحديث الشريف

« أنزلوا الناس منازلهم » دلالة واضحة على مكانة الأدب عند العرب، بل عند المسلمين الذين استغنوا عن الكثير من القيم والعادات المتأصلة في نفوسهم، بعد استجابتهم للمنهج الجديد في الحياة، إلا الأدب والشعر، فإنهم لم يتخلوا عنه أبدًا، بل إن أغلبهم قد قرض الشعر بأغراضه المختلفة

بعد وقوفنا على أغراض الوفود في الجاهلية وفي الإسلام، يتجلى لنا الفرق الشاسع بين ما يحمله كل من الوافد الجاهلي والوافد المسلم، من رسالة إعلامية، الغاية منها تحقيق الوصول إلى المأمول. فالوافد الجاهلي يخطب وُدَّ الموفود عليه، طامعًا في نيله أو عطائه، ولربما يكون راغبًا في القرب منه، ليأمن سورة غضبه، ويسلم من بطشه وفتكه.

---

[99] الحطيئة: واسمه جرول بن اوس بن مخزوم. ويكنى: أبا مليكة، والحطيئة لقب غلب عليه؛ شاعر مخضرم، عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام. انظر: النويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، ج3، ص71-72.وابن سلّام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر(دار المدني: جدة)ج1،ص110، رقم: 126

[101] القيرواني، *العمدة في محاسن الشعر وآدابه*، ج1، ص29.

[102] انظر الحديث في: السجستاني، *سنن أبي داود*، رقم4842، ج7، ص210.

ويختلف عنه غرض الوافد في الإسلام، حيث يرتقي فوق مطامع الدنيا ولعاعتها، ليحمل رسالة سامية غالية، يدعو من خلالها إلى الدين الحق، يبين ثوابته، ويشرح شرائعه، طمعًا في هداية من يفد عليه، وتبصيره بمعالم الدين وأحكامه.

الفصل الثاني: تنوع الخطاب الإعلامي للوفود بين الشعر والنثر، في الجاهلية والإسلام.

تنوع الخطاب الإعلامي للوفود بين الشعر والنثر، ولكل من الفَنَّيْن الأدبيين أثره في نفس الموفود عليهم، ولقد وثق لنا التاريخ مواقف خالدة لشتى الوفود؛ حيث استطاع بعضهم أن يبلغ مراده ممن وفد عليه، فنال إعجابه ورضاه، ونيله وعطاه. كما وثق لنا أخبار وفود آخرين أخفقوا في إيصال رسائلهم الإعلامية، فانقلبوا بالخيبة والخسران، والسخط والحرمان، ممن أمَّلوا عندهم النيل والعطاء.

المبحث الأول: الشعر في أدب الوفود الجاهلية والإسلامية، وأثره في الخطاب الإعلامي

تظل اللغة العربية مبعث إعجاب للمتأمل في مفرداتها وأسرار بلاغتها، لأنها كما قال الإمام الشافعي:**(,,, أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها ألفاظاً، ولا نحسبه يحيط بجميع علمه غير نبي...)**[103].

[103] محمد بن إدريس الشافعي، *الرسالة* (مصر: مكتبه الحلبي، 1940م)، ص34.

وهي لغة الفصاحة والبيان؛ فكلام الله المنـزه عن كل نقيصة، والمعلى من كل خسيسة نزل بلسان عربي مبين قال - تعالى- ﴿ **وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ* عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**﴾[104].

وقد عدها الصحابة من الدين، يُتعبد الله بتعلمها؛ قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه " :- تعلَّموا العربيةَ؛ فإنَّها من دينِكم."[105]

ولقد قامت بينها وبين الإسلام روابط وصلات يصعب حصرها، فلا إسلام بلا قرآن، كما أنه لا قرآن بغير اللغة العربية.

فهي بنثرها وشعرها رأس مال العرب، ومبعث فخرهم واعتزازهم، وهي مادة حواراتهم وخطبهم ووصاياهم، وحكمهم وأمثالهم، ولهم باع طويل في تنسيق الكلام ونظمه، ما يبعث على الإقناع والإمتاع، حتى ضربت الأمثال ببلاغة خطبائهم، وفصاحة حكمائهم فقالوا: **" أَفْصَحُ مِنْ سَحْبانِ وَائِلٍ" [106]**

بيد أن للشعر عندهم مكانة سامية، لا يدانيها النثر، لأن " **الشِّعْرُ: مَنْظُومُ الْقَوْلِ، غَلَبَ عَلَيْهِ لِشَرَفِهِ بِالْوَزْنِ وَالْقَافِيَةِ" [107]**

فارتقى الشعر عندهم أعلى مراتب البلاغة والفصاحة.

وقد اهتموا به مُنذُ القِدَم، فكانَوا يقيمُون الأفراح إذا ظَهَرَ مِن أبنائهم شاعِرٌ مُبدِع، لأنّه يَرفَعُ مِن قِيمَةِ القبيلة وَيُغَيّر مِن مَكانَتِها إلى الأفضل بَينَ القبائل.

فالشاعر بقصائده يحمي قبيلته، ويدافع عن سمعتها، وهو رجل الإعلام فيها، والناطق الرسمي باسمها، يظهر محاسنها، ويهجو أعداءها، ويدافع عن سياستها ويُمجّدها. وقد صوّر أبو عمرو بن العلاء فرط حاجة العرب إلى الشعر قائلاً:

---

[104] سورة الشعراء: 192-193- 194- 195

[105] مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي، *مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب* (الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، د.ت)، ص65.

[106] الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: سحب).

[107] ابن منظور، *لسان العرب*، (مادة: شعر).

(كان الشاعر في الجاهلية يقدَم على الخطيب، لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يقيّد عليهم مآثرهم، ويفخم شأنهم، ويُهَوّلُ على عدوهم ومن غزاهم، ويهيب من فرسانهم، ويخوف من كثرة عددهم، ويهابهم شاعر غيرهم، فيراقب شاعرهم)[108]

ولقد وثق لنا التاريخ أبياتا من الشعر كانت سببا في رفع شأن قبيلة خسيسة، أو حطت من شأن قبيلة عزيزة

فـ "بنو أنف الناقة" كانوا يخجلون من لقبهم بين العرب، ويتحرجون عند الانتساب إلى قبيلتهم الوضيعة، حتى قال فيهم الحطيئة أبياتاً منها:

سِـــيرِي أمَـــامُ فـــإنّ الأَكْثَـــرِينَ حَصًـــا والأَكْـــرَمِينَ إذَا مَـــا يُنْسَـــبُونَ أَبَـــا

قَـــوْمٌ هُـــمُ الْأَنْـــفُ وَالأَذْنَـــابُ غَيْـــرُهُمُ وَمَـــنْ يُسَـــوّي بِـــأَنْفِ النّاقَـــةِ الـــذَنَبَا [109]

فرفع من شأنهم، وأعلى من قدرهم، حتى أصبح كل فرد من العشيرة إذا سئل عن نسبه فتح فمه، وملأ شدقيه، متطاولاً بهذا النسب، يمد به صوته في جهارة: **"أنا من بني أنف الناقة"**.

وعلى النقيض من بني أنف الناقة كانت قبيلة نمير، وهي جمرة من جمرات العرب التي كان أفرادها يتفاخرون بانتسابهم إليها ؛ فإذا سئل أحدهم: ممن الرجل؟ فخم لفظه ومد صوته، وقال: **" من بني نمير"**، إلى أن صنع جرير قصيدته التي هجا بها الراعي النميري- وهو أحد بني نمير- قال فيها:

فَغُـــضِّ الطَـــرْفَ إنّـــكَ مِـــنْ نُمَيْـــرٍ فَـــــلَا كَعْبًـــــا بَلَغْـــــتَ وَلَا كِلَابَـــــا

فلم يرفعوا رأساً بعدها إلا نكس بهذا البيت.

قصيدة جرير هذه تسميها العرب الفاضحة، فقد تركت بني نمير ينتسبون بالبصرة إلى عامر بن صعصعة، ويتجاوزون أباهم نميراً إلى أبيه، هرباً من ذكر نمير، وفراراً مما وسم به من الفضيحة والوصمة[110].

ولما جاء الإسلام، وانطفأت نار العصبيّة القبليّة، فانتقلت من حماية القبيلة إلى حماية الدين، فاستخدم الشاعر مواهبه لحماية دينه ومبادئه.

---

[108] عمرو بن بحر الجاحظ، *البيان والتبيين* (بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1423هـ)، ج1، ص10.
[109] القيرواني، *العمدة في محاسن الشعر وآدابه*، ج1، ص50.
[110] انظر: القيرواني، *العمدة*، ج1، ص51 .

واعتبر المسلمون الشعر خلاصة صافية لتجارب العرب في جميع أطوارهم، وعدُّوه مصدراً لتدوين معارفهم، وتهذيب أخلاقهم.

وعرف الصحابة الكرام القيمة المعرفية للشعر، تجلى ذلك في رسالة عمر بن الخطاب، إلى أبي موسى الأشعري -رضي الله عنهما -، قال له فيها: **"مر مَن قِبلك بتعلم الشعر، فإنه يدل على معالي الأخلاق، وصواب الرأي، ومعرفة الأنساب"**[111].

وكان عمر- رضي الله عنه- يعتبر حفظ الشعر وقريضه حلية المسلم، وكمال مروءته، فيقول: **"الشعر يُسَكَّنُ به الغيظ، وتُطفأ به النائرة، ويتبلغ القوم، ويُعطى به السائل."** [112]

كما يعده خير سبيل للكسب، وأفضل سبب للتعايش بين الناس فيقول: **" نِعْم الهدية للرجل الشريف الأبيات يقدّمها بين يدي الحاجة؛ يستعطف بها الكريم، ويستنزل بها اللئيم."** [113]

وسأل الحجّاج المساور بن هند مستفسرًا عن سبب قرضه الشعر وكثرة عنايته به، فقال له: **" لم تقول الشعر؟"**، فقال:" **أسقي به الماء، وارعى به الكلأ، وتقضى لي به الحاجة. وإن كفيتني تركته."**[114]

وكان ابن عباس - رضي الله عنهما – يرى أن الشعر العربي مرجع المسلم لفهم كلام الله - جل وعلا- وإدراك معانيه ودلالاته، فيقول:" **إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله ولم تعرفوه،فابتغوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب"**[115].

ومن أطرف ما أثر عن النبي - صلّى الله عليه وسلّم – في اهتمامه بالشعر، وحبه لسماعه، ماروي عن الشريد الثقفي - رضي الله عنه- قال: " **أردفني النبي خلفه، ثم قال لي: «تروي من شعر أمية بن أبي الصلت شيئا؟ » قلت: نعم. قال: « فأنشدني» . فأنشدته، فجعل يقول بين كل قافيتين: «هِيهِ!» حتى أنشدته مائة قافية. فقال: «هذا رجل آمن لسانه وكفر قلبه! »**[116]

---

[111] القيرواني، *العمدة*، ج1، ص28.

[112] الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، *محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء* (بيروت:دار الأرقم بن أبي الأرقم، 1420هـ)، ج1، ص106.

[113] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[114] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[115] الحلبي، *السيرة الحلبية*، ج2، ص96.

[116] ابن عبد ربه، *العقد الفريد* ،ج 6، ص127.

ومن دلائل تأثير الشعر في نفس رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ماروي أن قتيلة بنت النظر[117] بن الحارث قد أرسلت إليه أبياتاً رقيقة تبكي أباها، وتعاتب فيها رسول الله، لأن عليًا - رضي الله عنه - قتل أباها يوم بدر صبرًا بأمره صلى الله عليه وسلم؛ تقول فيها:

يَـــا رَاكِبًـــا إنّ الأَثِيـــلَ مَظَنّـــة ... فِـــي صُـــبْحِ خَامِسَـــةٍ وَأَنْـــتَ مُوفِـــقُ

أَبْلِـــغْ بِهَـــا مَيْتًـــا بِـــأَنّ تحَيّـــة ... مَـــا إِنْ تَـــزَالُ بِهَـــا النّجَائِـــبُ تَخْفِـــقُ

أَمُحَمَّـــدٌ يَـــا خَيْـــرَ ضِـــنْنٍ كَرِيمَـــةٍ ... فِـــي قَوْمِهَـــا وَالفَحْـــلُ فَحْـــلٌ مُعْـــرِقُ

مَـــا كَـــانَ ضَـــرَّكَ لَـــوْ مَنَنْـــتَ وَرُبَّمَـــا ... مَـــنّ الفَتَـــى وَهْـــوَ المَغِـــيظُ المُحْنَـــقُ

فلمَّا بلغت هذه الأبيات النبي - صلى الله عليه وسلم- بكى حتى اخضلت لحيتُه وقال « لو بلغني شعرُها قبل أن أقتله ما قتلته».[118]

وكان التابعي الجليل عبيد الله بن عبدالله بن عتبه بن مسعود؛ وهو من كبار الفقهاء كثيرًا ما يقرض الشعر الرقيق، ويحب سماعه ، فعوتب في ذلك وقيل له: **أتقول الشعر مع النسك والفضل والفقه، فقال " لابد للمصدور[119] أن ينفث" [120] .**

وكأنه كان يعشق الحُسن، ويستهويه الجمال، فيعبر عما يعتلج في صدره من لواعج الشوق، وكوامن الشجن، بقرض الشعر؛ لذلك اعتذر بقوله: **" لابد للمصدور أن ينفث"**

كما كان سعيد بن المسِّيب المخزومي، لا يصبر عن قول الشعر، ولا يتنزه عن سماعه، وهو من كبار التابعين وخيارهم، ومن خيرة أهل الصلاح والفقه والعلم في الدين، وكان يقول: **" أما والله لو كان الشعر محرّماً لوردنا الرحبة كل يوم مراراً"، (والرحبة المكان الذي تقام فيه الحدود)[121].**

---

[117] قتيلة بنت النّضر بن الحارث بن عبد مناف القرشيّة.، كانت زوج عبد اللَّه بن الحارث بن أمية، قال الواقديّ: هي التي قالت الأبيات القافية في رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم لما قتل أباها النضر بن الحارث يوم بدر، انظر: ابن حجر العسقلاني، *الإصابة في تمييز الصحابة*، ج8، ص280

[118] محمد بن يوسف الصالحي، *سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد* (بيروت: دار الكتب العلمية، 1993م)، ج 4، ص 63.

[119] الْمَصْدُورُ): الَّذِي يَشْتَكِي صَدْرَهُ.انظر: الرازي، *مختار الصحاح*، (مادة: صدر)

[120] الجاحظ، *البيان والتبيين*، ج2، ص66.

[121] القيرواني، *العمدة*، ج1، ص31 .

وكأنه أراد أن يعبر عن تعلقه بالشعر، وحبه الجامح له؛ فلو كان الشعر مُحَرَّمًا ويُجلد من يتعاطاه الحد، لصبر على الجلد، ولم يصبر عن الشعر؛ وكأن الشعر روح تجري في دم العربي، لا يستغني عنه ولا يدعه.

حتى في عهد الصحابة والرسول بين ظهرانيهم، وفي أوقات العبادة، وفي بيوتها كان الصحابة يتناشدون الشعر، ويتذاكرون روائع القصائد، ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- يسمع فلا يعترض ولا ينهى، بل ويبتسم..

فعن جابر بن سمرة - رضي الله تعالى عنه- قال: " **كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طويل الصّمت، وكان أصحابه يتناشدون الأشعار في المسجد، وأشياء من أمور الجاهلية، فيضحكون ويتبسم"** [122].

والأمثلة كثيرة ولا تحصى على منزلة الشعر وأهميته عند العرب، في الجاهلية قبل الإسلام، وفي الإسلام.

---

[122] الصالحي، *سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد*، ج9، ص 383 .

المطلب الأول: شعر الوفود في الجاهلية، وأثره في الخطاب الإعلامي

أولاً: الخطاب الإعلامي للشاعر البارع، يرفع مكانته ويعلي شأنه بل ويغير انطباع المخاطب تجاه الشاعر

الشاعر المطبوع له مكانة سامية عند العرب، ترفعه إلى مرتبة القداسة، على ما فيه من دمامة أو قماءة[123]، وشعره البليغ المميز يمجده ويشهره، ويمجد قبيلته ويشهرها؛ فكم كان الحطيئة دميماً قبيح المنظر، حتى كره هو مشاهدة صورته على صفحة الماء، فهجا نفسه بقوله:

أَبَــتْ شَــفَتَايَ اليَــوْمَ إلا تَكَلُّمًــا بِسُــوءٍ فَمَــا أَدْرِي لِمَــنْ أَنَــا قَائِلُــهْ

أَرَى لِــيَ وَجْهًــا شَــوّهَ اللهُ خَلْقَــهُ فَقَــبّحَ مِــنْ وَجْــهٍ وقَــبّحَ حَامِلُــهْ.[124]

لكن شهرته ملأت الآفاق، فخطب وُدَّه سادات العرب، وتحاشى هجاءه كرامهم.

- **وفود الحارث بن حِلِزَّة اليشكري[125] على الملك عمرو بن هند[126]:**

كان الحارث بن حِلِزَّةَ سيد من سادات بكر بن وائل، شاعر بارع، يشهد له قومه بالفصاحة والبلاغة، وكان به برص مشوه لوجهه، مقبح لمنظره؛ وقد وفد على الملك عمرو بن هند، وهو من أشد ملوك العرب بأساً وأسوئهم خُلُقاً، وأعظمهم جراءة، ويلقب بالمحرق لأنه أول من حرق خصومه بالنار، وكان لا ينظر إلى أحد به سوء ترفعاً، فجعل بينه وبين الحارث سبعة حجب، ليسمع منه من غير أن يراه[127].

فوقف الحارث خلف الحجب، ثم ارتجل قصيدته الهمزية الرائعة، التي مطلعها

---

[123] قَمَاءَةً: كَسَحابةٍ {وقُمَاءً بِالضَّمِّ وَالْكَسْر) إذا (ذَلَّ وصَغُرَ) فِي الأَعيُن (فَهُوَ} - قَمِيءٌ) كأمير: ذليل،الزبيدي، تاج العروس، (مادة: قمأ)

[124] النويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، ج3، ص299.

[125] هو: أبو عبيدة الحارث بن حلزة بن مكروه، من أهل العراق. وينتهي نسبه إلى: يشكر بن بكر بن وائل، .وقد شهد حرب البسوس، .كان خبيرًا بقرض الشعر ومذاهب الكلام، ومعلقته قد جمعت طائفة من أيام العرب وأخبارها، ووَعَت ضروبًا من المفاخر يقام لها ويقعد.، انظر: حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني، *شرح المعلقات السبع* (بيروت: دار احياء التراث العربي، 2002م)، ص267.

[126] هو عمرو بن المنذر بن أمرئ القيس، أمه هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الكندي، وبها كان يعرف، يقال عمر بن هند، انظر: محمد بن نما الحلي، *المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية* (عمان:مكتبة الرسالة الحديثة، 1984م)، ص127.

[127] يحيى بن علي التبريزي، *شرح القصائِد العشر* (دمشق: إدارة الطباعة المنيرية، 1352 هـ)، ص216-251.

آذنتنـــــا ببينهـــــا أَسْـــــمَاءُ رُبَّ ثَـــاوٍ يُمَـــلَّ مِنْـــهُ الثَّـــوَاءُ[128]

آذنتنـــــا ببينهـــــا ثـــــمَّ ولَّـــــت لَيْـــت شـــعري مَتـــى يكـــون اللِّقَـــاء

وأخذ يذكر أيام قومه وبأسهم، ويفخر بانتصاراتهم في غزواتهم، وغلبتهم على سائر القبائل، وسبيهم حرائر العرب، وجعلها إماء لهم فيقول:

هَـــلْ عَلِمْـــتُمْ أيَـــامَ يُنْتهَـــبُ النَّـــا سُ غِـــوارًا لكـــلِ حَـــيٍ عُـــوَاءُ[129]

إذ رَكِبْنَـــا الجِمَـــالَ مِـــنْ سَـــعَفِ الـــبَحْ رَيْـــنِ سَـــيْرًا حَتّـــى نَهَاهَـــا الحِسَـــاءُ

ثـــمَّ مِلْنَـــا عَلَـــى تَمِـــيمٍ فَـــأحْرَ مْنَـــا[130] وَفِينَـــا بَنَـــاتُ قَـــوْمٍ إمَـــاءُ

ويرفع وتيرة الاعتزاز بقومه، حتى يبلغ بهم أوج الغلبة والتفوق على سائر العرب؛ فلا ينجو من بطشهم عزيز بعزه، ولا ذليل بفراره

فالأعزة لا تقيهم منعتهم ولا حصونهم، والأذلاء لا ينفعهم إسراعهم في الفرار، فقد عم الشرُّ سائر الناس، فلم يسلم منهم أحد.

لا يُقِـــيمُ العَزِيـــزُ بِالبَلَـــدِ السَّـــهْ لِ وَلا يَنْفَـــعُ الـــذَلِيلَ النَّجَـــاءُ

ومازال يفتخر بقومه، ويذكر أيامهم التليدة وانتصاراتهم المجيدة، حتى أذهل ببلاغته الملك وأمه هند، وكل من سمعه، فأمر الملك الخدم برفع الحجب، فما زال يرفعها حجاباً فحجاباً، لحسن ما يسمع من شعره، حتى لم يبق بينهما حجاب، وهو يقول: **" أدنوه أدنوه"**، ثم أمر بطرِّ الستر، وأقعده معه، قريبا منه لإعجابه به على ما فيه من برص مُشوّه[131].

وقد صدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيث يقول :

« إن من الشعر حُكْماً، ومن البيانَ سِحْرا»[132].

---

[128] الثواء: الإقامة، من ثَوَى: أي (نَزَلَ) مَعَ الاسْتِقْرارِ، وَبِه سُمِّي المَنْزلُ مَثْوىً، انظر: الزبيدي، *تاج العروس*، ج37، ص306.

[129] أَغارَ على العَدُوّ} يُغِيرُ {إغارَةً} ومُغَاراً، كاسْتَغارَ. وأَغارَ الفَرَسُ} إغَارَةً {وغَارَةً: اشْتَدَّ عَدْوُهُ وأَسْرَعَ فِي الغَارَةِ وغَيْرِهَا، وفَرَسٌ مُغَارٌ: يُسْرِعُ العَدْوَ. وغَارَتُه: شِدَّةُ عَدْوِه.، ورجلٌ} مِغْوارٌ، بَيِّن الغِوَارِ، بكَسْرِهمَا: مُقَاتِلٌ كَثِيرُ الغارَاتِ. انظر: الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: غار).

[130] أحرم: دخل في الشهر الحرام. الزبيدي، تاج العروس، (مادة: حرم).

[131] القيرواني، *العمدة في محاسن الشعر وآدابه*، ج1، ص44.

[132] ابن حنبل، *مسند أحمد*، رقم2424، ج 3، ص106.

لقد استطاع هذا الوافد بخطابه الإعلامي البليغ أن يكسب عطف الملك وتقديره، فيقدم قومه البكريين على منافسيهم التغلبيين قوم عمرو بن كلثوم، الذي سبقه بقصيدته الرائعة أيضًا، والتي مطلعها:

أَلا هُبِّـــي بِصَـــحْنِكِ فَاصْـــبِحِينَا وَلَا تُبْقِـــي خُمُـــورَ الأَنْـــدَرِينَا

مُشَعْشِـــعَة كَـــأَنّ الحُـــصَّ فِيهَـــا إِذَا مَـــا المَـــاءُ خَالَطَهَـــا سَـــخِينَا[133]

والتي فخر فيها بقومه ورفع من شأنهم، ولكن قصيدة ابن حلزة اليشكري فاقت قصيدة ابن كلثوم التغلبي، فقدمه الملك ورفع شأن قبيلته، كل ذلك ببلاغة الخطاب، وفصاحة الخطيب. على الرغم من البرص الذي شانه وشوه وجهه.

ولقد علقت قصيدته على أستار الكعبة بين المعلقات[134] وعدت من أبلغ ثلاث قصائد تفخر بها العرب.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَة: **" أَجود الشُّعَرَاء قصيدة وَاحِدَة جَيِّدَة طَوِيلَة، ثَلَاثَة نفر: عَمْرو بن كُلْثُوم، والْحَارث بن حلزة، وطَرَفَة بن العَبْد"** [135]

ثانياً: الخطاب الإعلامي للشاعر الماهر، يقلب الموازين، ويغير الأحكام

وفود لبيد بن ربيعة العامري136 على الملك النعمان[137]

فقد ورد أنّ وَفد بني عَامر أَتَوا النُّعْمَان بن الْمُنْذر أول مَا ملك فِي أُسَارَى من بني عَامر يشترونهم مِنْهُ وَمَعَهُمْ لبيدٌ، وَهُوَ غلامٌ صَغِير، فخلّفوه فِي رحالهم، ودخلوا على النّعمان، فوجدوا عِنْده الرّبيع بن زِيَاد العبسيّ، وَكَانَ نديمًا للنّعمان، قد غلب على حَدِيثه ومجلسه، فَجعل الرّبيع يهزأ بهم، ويسخر مِنْهُم، لعداوة غطفان وهوازن، فغاظهم ذَلِك، فَرَجَعُوا بِحَال سيّئة فَقَالَ لَهُم لبيد: إنّكم تنطلقون بِحَال

---

[133] عبد القادر بن عمر البغدادي، *خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب* (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1997م)، ج3، ص 176.

[134] " والمعلقات هي أشهر ما وصل إلينا من الشعر الجاهلي، وأطولها نفسًا وأبعدها أثرًا، اختلف الدارسون في سبب تسميتها، قيل: إنها سميت معلقات لأنها كتبت بماء الذهب وعلقت على أستار الكعبة، فسميت بذلك المعلقات أو المذهبات..." انظر: الزَّوْزَني، *شرح المعلقات السبع*، ص9.

[135] البغدادي، *خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب*، ج1، ص325.

[136] هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بْنِ كِلابِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صعصعة ويكنى أبا عقيل. قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم - فأسلم ورجع إلى بلاد قومه، ثم هاجر إلى الكوفة فنزلها ومعه بنون له. ومات بها . ولم يقل لبيد في الإسلام شعرا وقال: أبدلني الله بذلك القرآن.، انظر: البغدادي، *الطبقات الكبرى*، ج6، ص107.

[137] هو: النعمان بن المنذر بن امرئ القيس . وكان يكنى: أبا قابوس. وهو وصاحب «الغريّين»، وهما طربالان يغرّيهما بدم من يقتله إذا ركب يوم بؤسه. وكان له يومان: يوم بؤس ويوم نعيم.، وقتل «عبيد بن الأبرص» الشاعر يوم بؤسه، وكان أتاه يمتدحه، ولم يعلم أنه يوم بؤسه. انظر: عبد الله بن مسلم الدينوري، *المعارف* (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992 م)، ص649.

حَسَنَة ثمَّ ترجعون وَقد ذهب ذَاك وَتغَير! قَالُوا: خَالك - وَكَانَت أمّ لبيد عبسيّة - كلّما أقبل علينا الملك بِوَجْهِهِ صدّه عنّا بِلِسَان بليغ مُطَاع؛ فقال لبيد: أدخلوني على النعمان، فواللات والعُزَّى لأدعنه لا ينظر إليه أبدًا!. فأزمعوا أَن يذهبوا بِهِ، وحلقوا رَأسه، وألبسوه حُلّةً، وَغدا مَعَهم فَانْتَهوا إِلَى النُّعْمَان وربيع مَعَه، وهما يأكلان طَعَامًا، وَقيل تَمرا وزبداً، فَقَالَ لبيد: **أَبيت اللَّعْن! إن رَأَيْت أَن تَأذن لي فِي الْكَلَام**. فَأذن لَهُ فَأَنْشد أبياتاً منها:

مَهْــلًا أَبَيْــتَ اللَعْــنَ لَا تَأكُــلْ مَعَــهْ إنّ اسْــتَهُ مِــنْ بَــرَصٍ مُلَمَّعَــهْ

وَإنّــهُ يُــدْخِلُ فِيهَــا إصْــبُعَهْ يُــدْخِلَهَا حَتّــى يُــوَارِي أَشْــجَعَهْ

كَأَنَّمَــا يطْلُــبُ شَــيْئًا ضَــيَّعَهْ [138]

فالتفت النعمان الى الربيع، وأخذ يرمقه شَزَرًا ثم قال له: **" كذلك أنت يا ربيع؟"**، ثم اردف: **أفٍ لهذا الغلام! لقد خَبَّثَ عليَّ طَعَامي.** ثم رفع يَده وأقّف وَقَالَ: **" كفّ وَيلك يَا ربيع، إنّي أحسبك كَمَا ذكر"** . فَقَالَ الرّبيع: **" إنّ الْغُلَام لَكَاذِب"** . فَترك النّعمان مؤاكلته وَقَالَ له: **"عُدْ إِلَى قَوْمك"**.

فَمضى الرّبيع لوقته وتجرّد وأحضر من شَاهد بدنه، وَأَنه لَيْسَ فِيهِ سوء، وشهد الشهود أمام الملك ببراءة الربيع مما اتهم به، ولكن الملك ماعاد يطيق رؤية الربيع فلحق الربيع بأَهْله، وَأرْسل إِلَى النُّعْمَان بِأَبْيَات مِنْهَا:

لَئِنْ رَحَلَتْ رِكَابِي لَا إِلَى سَعَةٍ مَا مِثْلَهَا سَعَة عَرْضًا وَلَا طَولَا

وَلَوْ جَمَعْتَ بَنِي لَخْمٍ بِأَسْرَتِهَا لَمْ يَعْدِلُوا رِيشَة مِنْ رِيشِ شِمْوِيلَا[139]

فلم يقتنع الملك بدفوع الربيع، ولم تشفع له شهادة الشاهدين الذين عاينوه متعريًا، ولم تعلن براءته مما وصم به، كما لم تنفعه الأبيات التي أرسلها للملك، يمدحه ويعلي مكانته ومنزلته في قومه،

---

[138] البغدادي، *خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب*، ج9، ص551.

[139] الشمويل: الريش في رجل الطائر، الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: شمل).

ويستعطفه بها؛ وقد اجتهد في إقناعه ليعود إليه، ويقبل صحبته ؛ لكن كل ذلك لم يطمس الصورة، التي رسمها لبيد في ذهن من سمعه.

وقد بعث الملك إلى الربيع برسالة يقول فيها:

شَرِّدْ بِرَحْلِكَ عَنِّي حَيْثُ شِئْتَ وَلَا تُكْثِرْ عَلَيَّ وَدَعْ عَنْكَ الأَقَاوِيلَا

قَدْ قِيلَ مَا قِيلَ إِنْ صِدْقاً وَإِنْ كَذِبًا فَمَا اعْتِذَارُكَ مِنْ قَوْلٍ وَقَدْ قِيْلَا [140]

وسارت الركبان بشعر الملك، وأصبح قوله مثلاً سائرًا من أمثال العرب.

في هذا المشهد نلاحظ فعل الشعر بالشعور العربي، ومدى تفاعله معه؛ حيث تُبْنَى الأحكام على ما يسمع من قول الشاعر، بلا تثبت ولا توثق من صدق القول أو كذبه.

فالأبيات الشعرية التي قالها لبيد، لم تُبنَ على حقائق ولا أدلة، لكنها تسببت في قطيعة فاصلة بين الملك ونديمه، مع اعتبار مكانة النديم، وحسن منطقه، وأنس الملك به، وطول عشرته، فاللوحة الفنية التي رسمتها أبيات لبيد، جعلت صورة الربيع في مخيلة الملك، مقززة منفرة، لا يكاد يستحضرها حتى يَقْرَفَ من تخيلها؛ ولذلك، ومن غير مجاملة أو ملاطفة من الملك، ولا حتى مراعاة لشعور النديم، أمره بالرحيل عنه وتحاشيه، وعلى الرغم من صدق الربيع في بيانه بطلان قول لبيد، إلا أن الملك أصدر حكمه، وأقر قراره؛ لأن الصورة التي رسمها لبيد للربيع لا تنسى ولا تمحى، وإن كانت كذباً محضًا، فقد قيلت، وشاعت على الألسن.

وظلت هذه الأبيات التي عرَّت الربيع، وشخصته، ووصمته بأقبح الصفات، ماثلة في الأذهان لا تبرحها على مر الأزمان، وكلما قُرئت أو سمعت عادت لتتشكل تلك الصورة المقززة المنفرة.

---

[140] البغدادي، *خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب*، ج4، ص11 .

ثالثاً: الخطاب الإعلامي للشاعر المطبوع يستل السخائم من القلوب، ويعيد الألفة والمودة للنفوس.

- وفود النابغة الذبياني[141] على النعمان بن المنذر، معتذراً من ذنب قد لايغتفر لغيره.

شبب النابغة بزوجة النعمان، ووصف كل مفصل من مفاصل جسدها، بعد أن شاهدها متجردة، حيث قال في قصيدة مطلعها:

سَقَطَ النَصِيفُ وَلَمْ تُرِدْ إِسْقَاطَه فْتَنَاوَلَتْهُ وَاتّقَتْنَا بِاليَدِ

بِمُخَضّبٍ رَخْصٍ كَأَنّ بَنَانَهُ عَنَمٌ عَلَى أَغْصَانِهِ لَمْ يُعْقَدِ[142]

كانت القصيدة مدوية، وقد انتشرت بين العرب انتشار النار في الهشيم، وشاعت في كل نواديهم، ونُسجت حولها الشائعات، حتى قيل: ما وصف النابغة امرأة الملك إلا لعلاقة حميمة بينهما!

وكان المُنَخَّل اليشكري الشاعر يحسد النابغة، لحظوته عند الملك ومكانته عنده، فسعى به للنعمان، وأبلغه قصيدة المتجردة، وما يُشيع الناس حولها، ليوغر صدره، ويغير قلبه، فأجمع النعمان على الإيقاع بالنابغة.

وأحس النابغة بما يدبر الملك فانطلق هارباً إلى آل غسّان، وكانوا أعداء تاريخيين للنعمان، فقد قتلوا والده المنذر من قبل.

فتقرب منهم النابغة ومدحهم، فزاد النعمان عليه حنقاً، وهدر دمه؛ ولكن النابغة كان يحب النعمان، ويحن إلى مجالسه؛ فأتاه متنصلاً، وجعل يتبرأ ممّا اتهمه به الواشي، ويعتذر بشعر رائق، لم يسبق في الاعتذار مثله ."قال أبو هلال العسكرىّ:

" لم يُرو عن أحد قبل النابغة الذبيانىّ في الاعتذار شعر" [143].

---

[141] النابغة الذّبيانى: اسمه زياد بن عمرو، ويكنى أبا أمامة؛ غلب عليه «النابغة» لأنه عبر برهة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله؛ وكذلك الجعدىّ؛ وقيل: إنما لقّب بالنابغة لقوله: "فقد نبغت لهم منّا شؤون". انظر: النويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، ج3، ص 62.

[142] محمد بن الحسن بن حمدون، *التذكرة الحمدونية* (بيروت: دار صادر، 1417هـ)، ج3، ص303.

[143] انظر: النويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، ج3، ص 261- 262.

ولما أذن له النعمان بالدخول عليه، وقف معتذرًا بخطاب رقيق يسلب القلوب، يستعطفه ويستسمحه، وينفي جازماً كل ما اتهم به، ويصف حاله وقلقه بعدما أوعده النعمان، ويصور أرقه وخوفه من غضبه، فيقول:

أَتَــانِي أَبَيْــتَ اللَعْــنَ[144] أَنَّــكَ وَتِلْــكَ الَتِــي أَهْــتَمُّ مِنْهَــا وَأَنْصَــبُ

لُمْتَنِـــــــــــي

فَبِـتُّ كَـأَنّ العَائِـدَاتِ فَرَشْـنَ لِـي هَرَاســـاً[145]، بِـــهِ يُعْلَـــى فِرَاشِـــي

وَيُقْشَـــــــــــــــــــــــــبُ[146]

لقد رسم بهذه الأبيات صورة القلق والأرق الذي كان يعتريه ويعاني منه، بتعبير بليغ سلس يستدر به العاطفة الإنسانية لدى الملك.

ثم أخذ يقسم بأغلظ الأيمان، ليؤكد له براءته، فيحلف بالله الذي يعتقد هو والملك كما تعتقد العرب قبل الإسلام - رغم شركهم - بأن الله خالق كل شيء، وفوق كل شيء، ويعلن للملك أن الذي مشى بالنميمة، وقدم إليه بالوشاية قد بنى وشايته على الغش والكذب، فلا دليل على صحة ما وشى به فيقول:

حَلَفْتُ فَلَم أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَة وَلَيْسَ وَرَاءَ اللهِ لِلمَرْءِ مَذْهَبُ

لَئِنْ كُنْتَ قَدْ بُلِّغْتَ عَنِّي جِنَايَة لَمُبْلِغُكَ الوَاشِي أَغَشُّ وَأَكْذَبُ[147]

ثم ينتقل للإقناع العقلي، فيصور حقيقة الإنسان الذي فطر على احتمال الزلل، والوقوع بالخطل، فيعرض للملك قضية العلاقة الإنسانية بين المتحابين ليقدم أجود ما ورد في خطابه الاعتذاري، ما صار فيما بعد مثلاً سائراً في العرب، فيقول:

---

[144] أَبيتَ اللَّعْنَ: كلمةٌ كَانَتِ الْعَرَبُ تُحَيِّي بِهَا مُلوكها فِي الْجَاهِلِيَّةِ، تَقُولُ للملِك: أَبَيْتَ اللَّعْنَ؛ مَعْنَاهُ أَبَيْتَ أَيُّها الملِك أَن تأْتِي مَا تُلْعَنُ عَلَيْهِ. واللَّعْنُ: الإِبْعادُ والطَّرْد مِنَ الْخَيْرِ، انظر:ابن منظور، *لسان العرب*، (مادة: لعن).

[145] الهراس: وَهُوَ شَجَرٌ، أَو بَقْلٌ، أَو شَوْكٌ، من أَحْرَارِ البُقُول، انظر: الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: هرس).

[146] القَشْبُ: الخَلْط، وكُلُّ مَا خُلِطَ، فقد قُشِبَ، وَكَذَلِكَ كلّ شَيْءٍ يُخْلَطُ بِهِ شَيْءٌ يُفْسِدُه، انظر: الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: قشب).

[147] انظر: النويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، ج3، ص 262، وابن عبد ربه، *العقد الفريد*، ج 2، ص 37، و رزق الله بن يوسف شيخو، *مجاني الأدب في حدائق العرب* (بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، 1913م)، ج6، ص293.

وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخًا لَا تَلُمُّهُ عَلَى شَعَثٍ! أَيُّ الرِّجَالِ المُهَذبُ؟

فهو أخ مخلص له على كل حال، وإن كان الشعث والاختلاف والخطأ صفات متأصلة في البشر؛ فَمَنْ مِنَ الناس يخلو منها؟.

ثم يتابع أسلوبه الاعتذاري ليصل إلى أوج الترفق والتذلل؛ حيث يقدم للملك أحد خيارين، حري بالملك أن يقبل أيهما شاء:

فَإِنْ أَكُ مَظْلُومًا، فَعَبْدٌ ظَلَمْتَهُ وَإِنْ تَكُ ذَا عُتْبَى، فَمِثْلَكَ يَعْتُبُ

فمثل الملك يعفو ويصفح وإن كان عاتبا، وفي شمائله وسعة كرمه ما يدعوه لذلك، وله بعدها العتبى والرجوع الى ما يحبّ،

ويظل يثني على الملك، ويرفع من شأنه، ويعلي من مقامه، حتى يبلغ أوج الثناء وقمة المدح فيقول:

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالمُلُوكُ كَوَاكِبٌ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنّ كَوْكَبُ

وهنا يرفعه فوق ملوك الأرض، ويسمو به إلى أعلى مراتب المجد، فيجعله شمسًا في علو المكانة، وشمول النفع، ولاوجود للملوك بجانبه، ولا ظهور لأحد منهم في فلكه.

حينئذ تنفرج أسارير الملك، ويعفو عنه ويقربه ويؤانسه، ويظل النابغة في كنفه حتى يموت في السنة التي قتل فيها النعمان[148]

وهكذا نجد الأثر البالغ لخطاب الشعر في نفوس العرب، فبه تقلب الموازين، وتتبدل الأحكام، وتتغير المفاهيم، وبه تستدر عواطف الملوك، وتستل سخائم النفوس، كما أن به توغر الصدور.

المطلب الثاني: شعر الوفود في الإسلام، وأثره في الخطاب الإعلامي

أولاً- وفود كعب بن زهير على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- بعد أن هدر دمه.

كان كعب بن زهير بن أبي سلمى صِنْوَ أبيه زهير، فهو من فحول الشعراء، وكان له أخ اسمه بُجير، سمع برسول الله - صلى الله عليه وسلم – فأسلم وحسن إسلامه.

[148] المرجع السابق، نفس الصفحة.

فبلغ ذلك كعبا فعاتبه برسالة قال فيها :

أَلَا أَبْلِغَا عَنِّي بُجَيْرًا رَسَالَة عَلَى أيِّ شَيْءٍ وَيْبَ[149] غَيْرُكَ دَلَّكَا

عَلَى خُلَقٍ لَمْ تَلْفَ أمًّا وَلَا أَبًا عَلَيْهِ وَلَمْ تُدْرِكْ عَلَيْهِ أَخًا لَكَا

سَقَاكَ أَبُو بَكْرٍ بِكَاسٍ رَوِيَّةٍ فَأَنْهَلَكَ المَأمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَا[150]

وكأنه يلوم أخاه على ترك دين الآباء والأمهات، وينسب إليه فقد العقل والرشد، باتباعه دين الإسلام، كالمخمور الذي خدعه أبوبكر الصديق ثم أكمل خداعه النبي المأمون صلى الله عليه وسلم.

فبلغت أبياته النبي - صلى الله عليه وسلم - فغضب عليه وأهدر دمه. وقال:

«**من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله**». فكتب إليه أخوه رسالة موجزة، يخبره بما أعلنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقول له: **"انج، وما أراك بمفلت"**. [151]

فلما بلغ كعبًا كتاب أخيه ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وأشفق على نفسه، وأرجف به من كان حوله، فقالوا: إنه مقتول لامحالة، فخرج مستخفيًا قاصدًا المدينة حتى وصلها ليلاً، فنزل على رجل من جهينة، كانت بينهما صداقة ومعرفة قديمة، فلما أصبح غدا به إلى مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم – فوجده يصلّى الصبح، فصلّى معه، ثم أشار الجهنىّ لكعب: أن هذا رسول الله، فقم إليه فاستأمنه، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم- لا يعرفه، فقام حتى جلس بين يديه، فوضع يده فى يده،، وقال: **"يا رسول الله، إنّ كعب بن زهير قد جاء تائبًا مسلمًا، مستأمنًا، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟"** فقال النبي - صلى الله عليه وسلم-: «**نعم**»، فقال: **" أنا يا رسول الله كعب بن زهير"**[152]

ثم قام بين يدي رسول الله، وأنشد قصيدة طويلة، افتتحها على - غرار الشعراء الجاهليين - بذكر المحبوبة المُفارِقَة، والظاعنة إلى أرض نائية بعيدة، يصعب الوصول إليها، فبث شوقه المبَرِّحَ، وتلهفه للقائها فقال:

---

[149] وَيَبَ: وَيْبٌ: كلمةٌ مثلُ وَيْلٍ. وَيْباً لِهَذَا الأَمْر أَي عَجَباً لَهُ. .انظر: ابن منظور، *لسان العرب*، (مادة: ويب).

[150] العَلَلُ: الشَّرْبةُ الثَّانِيَةُ، وَقِيلَ: الشُّرْب بَعْدَ الشُّرْبِ تِباعاً، يُقَالُ: عَلَّ بَعْدَ نَهَلٍ. وعَلَّه يَعُلُّه ويَعِلُّه إذا سَقَاهُ السَّقْيَة الثَّانِيَة، انظر: ابن منظور، *لسان العرب*، (مادة: علل).

[151] انظر: محمد بن عبد الباقي الزرقاني، *شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية* (بيروت: دار الكتب العلمية 1996م)، ج 4، ص 55، و شيخو، *مجاني الأدب في حدائق العرب*، ج6، ص 291.

[152] النويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، ج16، ص431.

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِى اليَوْمَ مَتْبُولُ مُتَيَّمٌ عِنْدَهَا لَمْ يُجْزَ مَكْبُولُ

أمْسَتْ سُعَادُ بِأَرْضٍ مَا يُبَلِّغُهَا إلّا العِتَاقُ النَّجِيبَاتُ المَرَاسِيلُ

وكأنه يرمز في هذه المقدمة إلى حاله مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيث كان الوصول إليه بعيد المآل، صعب المنال، فهو يتمنىً لقاءه، لكن هيهات، فأنى له اللقاء؟ حيث الطريق محفوفة بالمخاطر والأهوال، فدمه مهدور، وأصحاب النبي يترصدونه، لينفذوا فيه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . لقد تقطعت به السبل، وأطبقت الآفاق، وضاقت عليه الأرض بما رحبت، وقد وصف هذا القلق الموحش الذي اعتراه، بعدما سمع بهدر دمه؛ فأشجاه وأحزنه. والذي زاده أسى وحسرة انفضاض الخلان عنه، وتنكر الأحباب له، لكنه أخيرًا استسلم لنوازل الأقدار، وأحكام القضاء، موقنًا أنه: ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن.

ويتابع قصيده واصفًا هذه الحالة النفسية التي اعترته، ومازال يعاني منها فيقول:

وَقَالَ كُلَّ صَدِيقٍ كُنْتُ آمُلُهُ لَا أُلهِيَنَّكَ إنّى عَنْكَ مَشْغُولُ

فَقُلْتُ خَلّوا طَرِيقِي لَا أَبَا لَكُمُ فَكُلَّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ

ثم يعقب بحكمة إيمانية رائعة، تلخص فلسفة الحياة والموت، فيقول:

كُلَّ ابْنِ أنْثَى وَإنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ يَومًا عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُولُ

فهو يعتقد أن الموت غاية كل حي، وهو أمر مُحَتَّم لازم لا مفر منه، وكل إنسان لابد أن يأتيه أجله في يوم ما، وتدركه منيته التي يترقبها، فيحمل بالنعش على أعناق الرجال إلى مثواه ومآله. ثم يستدرك مستعطفًا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- طالبًا الصفح والعفو عما كان منه، متنصلًا من كل ما نسب إليه، وقيل عنه، موقنًا أن الأمل الكبير بكرم النبي -صلى الله عليه وسلم- وسعة حلمه المعهود، لما حباه الله من نور الهداية الذي أكرمه الله به، فيقول:

نُبِّئْتُ أَنّ رَسُولَ اللهِ أَوْعَدَنِي وَالعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأمُولُ

مَهْلًا هَدَاكَ الَّذِي أعْطَاكَ نَافِلَةَ ال قُرْآنِ فِيهِ مَواعِيظٌ وَتَفْصِيلُ

لَا تَأخُذَنِّي بَأقوَالِ الوُشَاةِ وَلَمْ أذنِبْ وَإنْ كَثُرَتْ فِيَّ الأقَاوِيلُ

كان يستدر شفقة رسول الله، نافيًا أية ضغينة أو عداوة للإسلام وأهله، مثنيًا على النبي الذي أعطي القرآن الحافل بالمواعظ والأحكام، طالباً منه التروي والتأني في الحكم عليه. ثم يرفع سقف الثناء على الرسول -صلى الله عليه وسلم-، فيصفه بالنور الساطع، والسيف القاطع فيقول:

إنّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنّدٌ مِنْ سُيُوفِ الهِنْدِ مَسْلُولُ

فيعترضه النبي الكريم قائلًا: « **بل من سيوف الله** » وذلك ليصحح الوصف الذي نعته به، فهو ليس من سيوف الهند، بل هو من سيوف الله.

فأعاد مصوبًا: " **مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ**" فلما بلغ بقصيدته هذا البيت نظر - صلى الله عليه وسلم- إلى أصحابه كالمعجب بحسن القول، وجودة الشعر، ثم رمى إليه بردة كانت عليه[153]. وتابع كعب مسترسلاً في وصف النبي ومدحه؛ وقد وصفه بأجمل الأوصاف، فبياض وجهه ونور طلعته، يجلب الخير ويستمطر السماء :

أغرُّ أبْلَجُ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِهِ كَأنّ طَلْعَتَهُ فِي اللّيْلِ قِنْدِيلُ

في هذا البيت يصف جمال النبي، واستنارة وجهه، وطلب السقيا به، كأنه أخذ هذا المعنى من شعر سابق لأبي طالب يمدح فيه النبي -عليه السلام- حيث يقول:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ[154]

ثم يتابع في مدح عشيرته وأصحابه، الذين فارقوا أوطانهم وديارهم، وهاجروا معه، بعد تعرضهم لأذى الكفار من قريش:

فِي عُصْبَةٍ مِنْ قرَيشٍ قَالَ قَائِلَهُمْ بِبَطنِ مَكّة لَمَّا أَسْلَمُوا زُولَوا

يمدحهم وينعتهم بالعزة والأنفة والبطولة والفروسية فهم:

---

[153] الصالحي، *سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد*، ج1، ص473.

[154] في قصيدة لأبي طالب عم النبي يمدحه بها، في أكثر من ثمانين بيتا:، انظر: الحلبي، *السيرة الحلبية*، ج1، ص170.

شُمُّ العَرَانِينِ[155] أَبْطَالٌ لَبُوسُهُمُ مِنْ نَسْجِ دَاودَ فِي الهَيْجَا سَرَابِيلُ[156]

لقد اختار كعب في خطابه مفردات وعبارات ترتبط مدلولاتها بالمخزون المعرفي والديني للنبي وأصحابه، أراد أن يستميلهم بها، ويشعرهم بانتمائه لثقافتهم، وانسجامه مع معتقداتهم وأفكارهم.

ويوصل إليهم رسالة مفادها أنه يمتلك ثقافة إسلامية مختزنة في ذاكرته، حيث وصف دروعهم المتينة بأنها من نسج داود، ولعله اقتبسها من القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾[157]

كما تطرق إلى خصلة كريمة، وشيمة عظيمة لايمتلكها إلا الأشراف الكرام، فهم متزنون لا يبطرهم نصر على أعدائهم، ولاتحزنهم خسارة جولة معهم، إن كانت الدائرة عليهم، إنهم لايفرحون إذا ما أصابوا، ولا يهلعون إذا ما أُصيبوا.

لَيْسُوا مَفَارِيحَ إِنْ نَالَتْ رِمَاحَهُمُ قَوْمًا وَلَيْسُوا مَجَازِيعًا إِذَا نِيلُوا

وكأن هذا القول يتسق مع المنهج القرآني الذي ينهى عن الفرح والبطر عند العطاء، والأسى والحزن عند البلاء. حيث قال تعالى:

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ *﴾[158]

لقد استطاع هذا الشاعر المطبوع بخطابه الذي تضمنته قصيدته الرائعة، أن يستل السخيمة والبغضاء من صدر رسول الله، ومن صدور أصحابه، وأن ينال إعجاب النبي وإعجاب أصحابه، وأن يحظى بهدية ثمينة، غبطه عليها الأصحاب، وتمنى كل منهم أن تكون له.

فقد وهب له النبي – صلى الله عليه وسلم - بردة[159] كانت عليه، توارثها أولاده من بعده.[160]

---

[155] العرانين جمع عرنين وهو الأنف، انظر: الزبيدي، *تاج العروس*، ج 35، ص389.

[156] السرابيل جمع سربال، والسِّرْبالُ، بالكسرِ، القَمِيصُ، أَو الدِرْعُ، أوكُلُّ مَا لُبِسَ، فَهُوَ سِرْبَالٌ، والجَمْعُ سَرابِيلُ، قَالَ اللهُ تَعالى:وسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ، هِيَ الدُّرُوعُ، انظر: الزبيدي، *تاج العروس*، ج29، ص 196.

[157] سورة الأنبياء: 80.

[158] سورة الحديد: 22-23.

[159] " وأن معاوية بذل فيها -أي البردة -عشرة آلاف، فأبى كعب وقال: ما كنت لأوثر بثوب رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أحدا، فلما مات كعب، بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألفا فأخذها منهم، وهي البردة التي عند السلاطين". انظر: الزرقاني، *شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية*، ج4، ص62.

[160] الحسن بن عبد الله العسكري، *المصون في الأدب* (الكويت: مطبعة حكومة 1984 م)، ص204.

ثانياً- وفود نابغة بني جعدة[161] على النبي صلّى الله عليه وسلّم

وفد أبو ليلى النابغة الجعدي على النبي - صلّى الله عليه وسلّم-، واستأذنه أن يقول شيئًا بين يديه، فأذن له، فأنشده شعرًا، افتخر فيه بنفسه وبقومه، فقال:

بَلَغْنَا السَّمَاءَ مَجْدَنَا وَثَرَاءَنَا وَإِنَّا لَنَبْغِي فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرَا [162]

استوقفه النبي - صلّى الله عليه وسلّم- وقال له: «**إِلَى أَيْنَ الْمَظْهَرُ يَا أَبَا لَيْلَى؟**» وكأن النبي الكريم استهجن من النابغة هذه المبالغة الزائدة بفخره، فسأله مستعظمًا طموحه الذي لاحد له، وهل فوق السماء يبلغ مجدكم وسناؤكم؟ فأجابه مستدركًا بفطنته الفطرية " **إلى الجنة يارسول الله!**.".

فأعجب النبي - صلّى الله عليه وسلّم- بفطنته، وحسن إجابته، وقال له مستثنيًا: «**أَجَلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى**». وعلى الرغم من إعجابه به، وبحسن جوابه، أراده أن يستثني بقوله " إن شاء الله " حتى لا يتألى على الله- تعالى- لقوله – سبحانه -: ﴿ **ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله...**﴾ [163]

ثم تابع النابغة إنشاده مسترسلاً، حتى تفتقت على لسانه حكم خالدة تمثل ناموس الحياة، وتتضمن نظام الوجود فيقول:

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا
وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ الْأَمْرَ أَصْدَرَا

سُرَّ رسول الله بهذه الحِكَم التي نطق بها لسان النابغة، حيث قرر حُكْماً سديدًا، تقره العقول السليمة، فالحليم لا يعتد بحلمه إن كان ضعيفًا أو عاجزًا، فلا حلم إلا من عزيز، كما لا عفو إلا من مقتدر، وكذلك الجهل قد يُهلك صاحبه إذا لم يحالفه حليم يرشده إلى المخارج من مداخل الهوج، ومزالق التهور، فقد يحمله جهله على ورود موارد التهلكة، فلا بد له من ناصح ينقذه منها بحلمه وحكمته.

---

[161] وهو قيس بن عبد الله، وبكنى النابغة: أبا ليلى، وهو أسنّ من الذبيانىّ، وطال عمره حتى أدرك أيّام بنى أمية، انظر: النويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، ج3، ص71.

[162] المقريزي، *إمتاع الأسماع*، ج11، ص317

[163] الكهف: 18/23.

هنالك سرَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم- بقوله، ثم دعا له بحفظ منطوقه، ودوام فصاحته، فقال له: « **لا يُفْضِضِ اللهُ فاك!** »[164] .

فعاش النابغة مائة وثلاثين سنة، لم تنفضّ له سنّ.[165]

ثالثاً: وفود سواد بن قارب على النبي صلى الله عليه وسلم

إن من أطرف من وفد على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الكاهن الأزدي السدوسي سواد بْن قارب.

وقد كان سواد وسيماً قسيماً، سيداً في قومه، وكان شاعراً وكاهنًا[166]، يحدثنا عن وفادته على رسول الله فيقول:

" كنت كاهنًا في الجاهلية، فبينا أنا ذات ليلة نائم إذ أتاني رَئيي[167]، فضربني برجله، وقال لي: يا سواد، اسمع ما أقول لك، قلت: هات، فقال:

تَـهْوِي إلَى مَكّةَ تَبْغِي الـهُدَى مَا صَادِقُ الجِنّ كَكَذابِهَا

فَارْحَلْ إلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ لَيْسَ قَدَامَاهَا كَأذْنَابِهَا " [168]

وذكر تمام الخبر، وما كان من رئيه الجني الذي كان يأتيه ثلاث ليال متواليات يحثه على قصد المدينة، وشد الرحال إليها، ليلقى رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلَّم- ويتبع هديه.

قال: **" فَرَحَّلْتُ نَاقَتِي ثُمَّ أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ فِي أَصْحَابِهِ فَدَنَوْتُ فَقُلْتُ: اسْمَعْ مقالتي يارسول اللَّهِ. قَالَ هَاتِ فَأَنْشَأْتُ أَقُولُ:**

---

[164] أحمد بن عبد الله الأصبهاني، *دلائل النبوة* (بيروت: دار النفائس، 1986م)، ج1، ص 458-459 . والمقريزي، *إمتاع الأسماع*، ج11، ص 318.

[165] " ...وبقي النابغة حتى وفد على عبد الله بن الزبير في أيامه بمكة وامتدحه، فقال له: يا أبا ليلى، إنّ أدنى وسائلك عندنا الشعر، لك في مال الله حقّان: حق برؤيتك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وحقّ بشركتك أهل الإسلام في فيئهم. ثم أحسن صلته وأجازه". ابن عبد ربه، *العقد الفريد*، ج1، ص 308 – 309.

[166] انظر: ابن الأثير، *أسد الغابة*، ج2، ص332، وانظر: القرطبي، *الاستيعاب في معرفة الأصحاب*، ج2، ص675، وابن كثير، *البداية والنهاية*، ج2، ص408 ومابعدها.

[167] الرَّئِيُّ: كَغَنِيَ ويُكْسَرُ: جِنِّيٌّ يَتَعرَّضُ للرَّجُلِ} يُرِيه كهانَةً أَو طِبّاً يقالُ: مَعَ فلانٍ رِئِيٌّ وَضَبطه بالكسْرِ.
وَفِي المُحْكَم: هُوَ الجِنُّ يَراهُ الإِنْسانُ.، انظر: الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: رأى).

[168] القُدَامَى: كَحُبَارَى، أَربعُ أَوْ عَشْرُ رِيشَاتٍ فِي مُقَدَّمِ الجَنَاحِ، الواحِدَةُ: قَادِمَةٌ، انظر: الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: قدم).

أَتَانِي نَجِيّي بَعْدَ هَدْءٍ وَرَقْدَةٍ وَلَمْ يَكُ فِيمَا قَدْ بَلَوْتُ بِكَاذِبِ
ثَلَاثَ لَيَالٍ قَوْلَهُ كَلَّ لَيْلَةٍ أَتَاكَ نَبِيٌّ مِنْ لَؤَيِ بْنِ غَالِبِ

افتتح خطابه بقص خبره مع تابعه الجني، الذي دعاه لاتباع النبي الكريم، ثم استمر يصف رحلته، وجده في السفر، حيث تحمله فرس أصيلة سريعة.

فَرَفَعْتُ أذيَالَ الإِزَارِ وَشَمَّرِتْ بِيَ الفَرَسُ الوَجْنَاءُ حَوْلَ السَّبَائِبِ[169]

ومن ثم يعلن إسلامه، وشهادته بوحدانية الله - سبحانه – وصدق رسالة النبي المؤتمن، وأنه أقرب الرسل الكرام إلى الله، وأكرمهم وجاهة وشفاعة عند الله، كما يزكي حسبه فينسبه لآبائه الكرام الطيبين فيقول:

فَأَشْهَدُ أَنّ اللهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَأَنّكَ مَأمُونٌ عَلَى كُلِّ غَائِبِ

وَأَنّكَ أَدْنَى المُرْسَلِينَ وَسِيلَةً إِلَى اللهِ يَا بْنَ الأَكْرَمِينَ الأَطَايِبِ[170]

وكأن بشاشة الإيمان باشرت قلبه، ونور الهداية، أشرق في وجدانه، فأعلن امتثاله لشريعة الله، وطاعته لرسول الله، في كل ما يأمر أو ينهى، معلنًا ولاءه المطلق في المنشط والمكره، وعلى كل حال، فيقول:

فَمُرْنَا بِمَا يَأتِيكَ مِنْ وَحْيِ رَبِّنَا وَإِنْ كَانَ فِيمَا جِئْتَ شَيْبُ الذوَائِبِ[171]

ثم يسأله الشفاعة يوم القيامة في المحشر، حيث لا ينفع أحدٌ أحداً بقليل ولا كثير؛ وأنَّ الشفاعة في ذلك اليوم، منوطة بشخص واحد لا سواه، هو محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فيقول:

وَكُنْ لِي شَفِيعًا يَوْمَ لَا ذُو شَفَاعَةٍ بِمُغْنٍ فَتِيلًا [172]**عَنْ سَوَادِ بْنِ قَارِبِ**

---

[169] السبائب: جمع سبيبة: وَهِي ثِيَاب رقاق بيض، وأَقْبَلَتِ الخَيْلُ مُعَقَّدَات السبائب. والسَّبِيبُ: الخُصْلَةُ مِن الشَّعَر، كالسَّبِيبَة، جَمْعُه سَبَائِب. انظر: الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: سبب).

[170] انظر: السهيلي، *الروض الأنف*، ج 2، ص331- 332.

[171] الذوائب: جمع ذؤابة، والذُّؤَابَةُ: الشَّعَرُ المَضْفُورُ فِي الرأْسِ، انظر: الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: ذأب).

[172] الفتيل: السَّحاةُ الَّتِي تكونُ فِي شَقّ النَّواةِ، وَبِه فُسِّرَ قولُه تَعَالَى: وَلَا يُظلَمونَ فَتيلاً أَي مِقدارَ تلكَ السَّحاةِ الَّتِي فِي شَقّ النَّواةِ. الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: فتل).

ولما أنهى خطابه استنار[173] وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وفرح بإسلامه، كما فرح َأَصْحَابُهُ فَرَحًا شَدِيدًا، حَتَّى رُئِيَ الْفَرَحُ فِي وُجُوهِهِمْ.[174].

ثم قَالَ له رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «**سِرْ فِي قَوْمِكَ وَقُلْ هَذَا الشِّعْرَ فِيهِمْ**»[175].

ها هو ذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعجب بكل ما قاله سويد، ويرى ببصيرته أن هذه الرسالة الإعلامية تصلح لأن تكون منهجًا دعويًا ينشر حاملها الهداية والصلاح لمن تصله هذه الدعوة.

وكأن هذا الشعر دعوة مخلصة من سواد لقومه، ولكل من يسمعها؛ لما فيها من صدق العاطفة، وروعة البيان؛ ولعل النبي - عليه السلام- أراد من سواد أن يبلغ قومه حقيقة الإسلام، من خلال هذا الشعر.

والمتأمل في مادة هذه الرسالة الإعلامية التي وفد بها سواد، يجد الأثر البالغ للكلمة الطيبة والصادقة التي يمكن أن تكون سببا لهداية الكثير من الناس.

فإنْ كان الخطيب حكيمًا يعرف كيف يضع المحز على المفصل، -وخاصة إذا كان شاعرًا، يفعل خطابه فعل السحر في وجدان المخاطبين.

رابعاً: وافد يشكو لرسول الله عقوق ولده[176]

ومن أرق أشعار الوفود وأعذبها، شعر اعتمل في صدر شيخ، كتمه في نفسه حتى أوحى الله إلى نبيه لكي يستنطقه، فيبوح بما أكنَّ في ضميره من لواعج الأسى، وبوارح الشجن، فينفث ماجادت به قريحته امتثالاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد كان ذلك بعدما شكاه ولده لرسول الله، متذمراً من إسرافه وتبديده لماله.

فَلَمَّا جَاءَ الشَّيْخُ قَالَ لَهُ النَّبِي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَا زَالَ ابْنُكَ يَشْكُوكَ أَنَّكَ تَأْخُذُ مَالَهُ؟**» **قَالَ: سَلْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ أُنْفِقُهُ إِلَّا عَلَى إِحْدَى عَمَّاتِهِ أَوْ خَالِاتِهِ أَوْ عَلَى نَفْسِي؟** فَقَالَ النَّبِي - صَلَّى اللهُ

---

[173] كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ كَأَنَّهُ فِلْقَةُ قَمَرٍ، (لبداية والنهاية، ج6، ص 277)

[174] وبعد زمن لقيه عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فوَثَبَ إِلَيْهِ وَالْتَزَمَهُ، وَقَالَ قَدْ كُنْتُ أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْكَ فَهَلْ يَأْتِيكَ رَئِيُّكَ الْيَوْمَ؟ قَالَ أَمَّا مُنْذُ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فَلَا، وَنِعْمَ الْعِوَضُ كِتَابُ اللَّهِ مِنَ الْجِنِّ، انظر: ابن كثير، *البداية والنهاية*، ج2، ص 408.

[175] انظر: ابن كثير، *البداية والنهاية*، ج2، ص 410.

[176] انظر تفصيل الخبر في: سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط (القاهرة: دار الحرمين، د.ت)، ج6، ص339، رقم6570.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**إيهِ، دَعْنَا مِنْ هَذَا، أَخْبِرْنِي عَنْ شَيْءٍ قُلْتَهُ فِي نَفْسِكَ، مَا سَمِعَتْهُ أُذُنَاكَ**» دهش الشَّيْخُ وعجب من مفاجأة النبي -عليه السلام-، فقال:" **وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يَزَالُ اللَّهُ يُزِيدُنَا بِكَ يَقِينًا".**

ثم ارتعش الشيخ، وارتعدت فرائصه، وقال: **والله يارسول الله، لقد قلت فِي نَفْسِي شَيْئًا مَا سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ** قَالَ: «**قُلْ، وَأَنَا أَسْمَعُ**» . فقَالَ يعاتب ولده ويُذَكِّرُه بما رعاه وقدم له من يوم ولادته، إلى أن اكتمل نموُّه وتم شبابه:

غَذَوْتُكَ مَوْلُودًا وَمِنْتُكَ يَافِعًا تُعَلُّ بِمَا أَجْنِي عَلَيْكَ وَتَنْهَلُ[177]

إِذَا لَيْلَة ضَافَتْكَ بِالسُّقْمِ لَمْ أَبِتْ لِسُقْمِكَ إِلّا سَاهِرًا أَتَمَلْمَلُ

تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنّهَا لَتَعْلَمُ أَنّ الْمَوْتَ حَتْمٌ مُوَكّلُ

كَأَنّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالّذِي طَرِقتَ بِهِ دُونِي فَعَيْنَايَ تَهْمَلُ

فَلَمَّا بَلَغْتَ السِّنّ وَالْغَايَةَ الّتِي إِلَيْهَا مَدَى مَا فِيكَ كُنْتُ أُؤَمّلُ

جَعَلْتَ جَزَائِي غِلْظَةً وَفَظَاظَةً كَأَنّكَ أَنْتَ الْمُنْعِمُ الْمُتَفَضّلُ

فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرْعَ حَقَّ أُبُوَّتِي فعلت كَمَا الْجَارُ الْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ

فبكى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم- وأخذ بتأنيب الابن وقال: «أنت ومالك لأبيك»[178]

لقد وثق الشيخ في هذه الأبيات جميع الأحاسيس والمشاعر التي تعتلج في صدر الوالد الذي يعاني من عقوق ولده وجفوته؛ ولقد مثلت أمامه الأيام التي تحمل ذكريات الماضي، وتحتفظ بتلك الصور الغابرة، من طفولة الولد، إلى شبابه وفتوته، إلى بلوغه أشده.

وقد حملت الأبيات كل معاني الحَدَبِ[179] والحنان، والإرعاء والإكرام، عندما رزق بالولد، فملأ حياته غبطة وحبورًا، وسعادة وسرورًا، فهو يرعاه ساعة بساعة، ويربيه ويعنى به يوماً بيوم، يغذوه أطيب الطعام، ويسقيه أعذب الشراب، فإذا ما نابه سقم أو وجع، اعتراه القلق، وانتابه الهلع، يبيت

---

[177] إذا وَرَدَتِ الإبلُ الماءَ، فالسَّقيَةُ الأُولى النَّهَلُ، والثانيةُ العَلَل.انظر: الزبيدي، *تاج العروس*، ج30، ص44.

[178] انظر: الطبراني، *المعجم الأوسط*، رقم6570، ج6، ص339. وسليمان بن أحمد الطبراني، *الروض الداني (المعجم الصغير)*(بيروت، عمان: المكتب الإسلامي، دار عمار، 198م)، ج2، ص152، رقم 947، *و الصالحي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد*، ج10، ص53.

[179] الحدب: وَحَدِبْتُ عَلَيْهِ حَدَباً أَي أَشْفَقْتُ عَلَيْهِ، وَفِي حَدِيث عليَ يَصِفُ أَبَا بَكْرٍ رَضِي الله عَنْهُمَا، (وأَحْدَبُهُمْ عَلَى المُسْلِمِينَ) أَيْ أَعْطَفُهُمْ وأَشْفَقُهُم، مِنْ حَدِبَ عَلَيْهِ يَحْدَبُ إِذَا عَطَفَ. انظر: الزبيدي، تاج العروس،(مادة حدب).

ساهرًا أرقًا، تنهمر عيناه بالدموع باكيًا، يتمنى لو كان العناء والضراء فيه لا بولده، مشفقًا عليه، خائفًا من فقده، ويظل هذا حاله حتى يبرأ الولد ويشفى.

ثم ينتقل إلى المرحلة التالية من حياته، وبعدما يشب عن الطوق الغلام، ويصبح ذا شأن في الأنام، وعندما تحني ظهر أبيه الأيام، وتعتري جسده الأسقام، ويشتعل الشيب في ذوائبه، ويحتاج لمعونة ولده؛ يدير له ظهره ويتنكر له، ويقلب له ظهر المِجَنِّ، فلا يصله ولا يزوره، كأنه لا يعرفه ولا يألفه.

وبحسرة المتمني الذي يئس من مبتغاه، يأمل من ولده العاق الهاجر، لو وصله كما يصله الجار المجاور.

هذه التجربة الشعرية الصادقة فعلت فعلها بقلب رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وقلوب من حضر من الصحابة، فأطلق النبي -عليه السلام- حكمه على الغلام، وعلى كل ولد مع والده على مر الأزمان، وفي سائر الأيام. «**أنت ومالك لأبيك**» فجعل الولد وكل ما يملكه من كسب أبيه، ولو استهلك ماله، واستولى على كل شيء لديه، فهو حلال له؛ لا يحق لولده الاعتراض عليه، ولا التذمر منه.

ونجد في مادة هذا الوفد رسالة إعلامية مختلفة عما سواها، إنها رسالة إنسانية تمثل علاقة الوالد بالولد، تصور عاطفة الوالد مقابل عاطفة الولد، ومن المفترض أن يكون هناك الانسجام والانتظام في العلاقة بينهما؛ ولكن تبقى عاطفة الوالد تجاه ولده فطرية، وتظل عاطفة الولد تجاه والده وبره به، إنسانية اجتماعية، يحكمها الإيمان والأدب والحياء؛ فإذا حدث خلل في هذه المنظومة، اختل نسيج المجتمع، وعندها تكون المآسي والآلام نتيجة لذلك؛ ولهذا تأثر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبكى وأعلن أن الولد وماله ملك لأبيه.

خامساً: وفود أَعْرَابِي على الخليفة عُمَر بن الخطاب، يسأله كسوة لعياله

ومن طرائف الوفود قدوم أعرابي محتاج في الزمن الصعب - ولعله عام الرمادة- حيث جاعت البطون، وعريت الأجساد، وتقطعت بالناس الأسباب، وأقبل الأعراب إلى المدينة مستغيثين طالبين العون والمدد من الخليفة.

وقف الأعرابي أمام عمر في المسجد يستمده العطاء، ويطلب قضاء حاجته بصراحة، ومن غير مقدمات، فيطلب الكساء لبناته وزوجته، بعد أن ناداه باسمه ودعا له أن يرزق الجنة فقال:

يَا عُمَرَ الْخَيْرِ جُزِيتَ الْجَنَّةْ

اكْسُ بُنَيَّاتِي وَأُمَّهُنَّهْ

ثم يقسم بالله أن ينجز عمر له مطلوبه، ويحقق مقصوده فيقول:

أُقْسِمُ بِاللَّهِ لَتَفْعَلَنَّهْ

وتكون ردة فعل عمر ودهشته وعجبه مفاجأة من إلحاح الاعرابي

فَيقَول له مستفهماً: **فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ يَكُونُ مَاذَا؟**

فيقول الأعرابي: **إِذًا أَبَا حَفْصٍ لَأَذْهَبَنَّهْ**

فيقول له عمر: **فَإِذَا ذَهَبْتَ يَكُونُ مَاذَا؟**

فيأتي جواب الأعرابي مزلزلاً لكيان عمر! كيف لا؟ وقد خاطبه بهاجسه الدائم، الذي طالما خشيه وحسب حسابه فيقَول:

تَكُونُ عَنْ حَالِي لِتُسْأَلَنَّهْ

يَوْمَ تَكُونُ الأُعْطِيَاتُ جُنَّهْ

وَالْوَاقِفُ الْمَسْئُولُ بَيْنَهُنَّهْ

إِمَّا إِلَى نارٍ وَإِمَّا جَنَّةْ

لقد نقله إلى عالم الحساب، حيث يُسأل عن الفتيل والنقير والقطمير، نقله إلى حيث الموقف الرهيب، يوم يقوم الناس لرب العالمين، هناك يكون الجزاء، ويفترق الناس إلى فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير.

والمتأمل في رجز الأعرابي يدرك الفاقة التي أخذت مأخذها في الناس، والفقر الذي اجتاحهم، حتى جاعت منهم الأكباد، وتعرَّت الأجساد.

ويتجلى صدق العاطفة، ومسيس الحاجة في الخطاب، عندما أقسم على عمر ليقضينَّ حاجته، مهددًا بالسؤال والحساب، ومذكرًا بالمصير المحتوم، إما إلى الجنة، وإما إلى النار.

" وهنا يبكَى عُمَرُ حَتَّى تخْضَلَّ لِحْيَتُهُ، ثُمَّ يقَولَ: يَا غُلامُ أَعْطِهِ قَمِيصِي هَذَا لِذَلِكَ الْيَوْمِ لَا لِشِعْرِهِ، أَمَا وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُ" [180].

إن هول المشهد الذي رسمه الأعرابي ليوم الحساب قد غطى على أدبه الذي عرض من خلاله حاجته، فأنسى عمر حبه للشعر الذي طالما دعا لتعلمه، وشجع على قوله وسماعه، واعتبر حفظه وقريضه حلية المسلم، وكمال مروءته، حيث يقول: **"الشعر يُسَكَّنُ به الغيظ، وتُطفأ به النائرة[181]، ويتبلغ القوم، ويُعطى به السائل."** [182]

لذلك قدم الأهمَّ على المهم، فاحتسب العطاء عند الله، مخصوصًا لذلك اليوم، يوم الحساب والجزاء.

وفي هذا الخطاب الإعلامي تتجلى علاقة الحاكم بالمحكوم في ظل الإسلام، كما يظهر مدى جرأة أفذاذ الناس على الخليفة، لما يعلمون من تقواه وورعه، وسعة رحمته بأفراد رعيته.

المبحث الثاني: النثر في أدب وفود الجاهلية والإسلام، وأثره في الخطاب الإعلامي

لا يقل النثر عن الشعر إفهامًا وإقناعًا، وتأثيرًا وإمتاعًا، إذا كان المتكلم فصيحًا بليغًا، ولا يعدّ النثر أدبا حقّا إلا إذا قصد به صاحبه التأثير فى نفوس السامعين. فيهتم بالصياغة وجمال الأداء، وهو أنواع:

منه ما يكون قصصًا، وما يكون خطابة، وما يكون وصايا، ورسائل أدبية مُحَبَّرة...

فكم من خطيب سلب عقول مستمعيه، فسكن فتنة أو أشعلها، وقد اشتهر في العرب خطباء ذاعت خطبهم وحفظت، ولازالت في ذاكرة العرب يتوارثونها جيلاً بعد جيل.

وكم قصة توارثتها الأجيال، تُمْتِعُ سامعها، وتغرس القيم والمُثُل في نفوس الناشئين من أبناء القبائل.

ومن مناقبهم أنهم كانوا إذا أرادوا الوفود على الملوك يختارون أفصحهم لسانًا، وأبلغهم منطقًا، ليطمئنوا إلى من يمثلهم، ويتكلم باسمهم، فيمتحنونه قبل مثوله بين يدي الملك. ولما انتدب لبيد بن

---

[180] انظر: المعافى بن زكريا الجريرى النهرواني، *الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي* (بيروت: دار الكتب العلمية، 2005 م)، ص304، وانظر: ابن عبد ربه، *العقد الفريد*، ج4، ص18، وابن الأثير، *أسد الغابة*، ج3، ص662، وانظر: ابن هبة الله، *تاريخ مدينة دمشق*، ج44، ص349 - 350.

[181] النَّائِرَةُ الْكَائِنَةُ تَقَعُ بَيْنَ الْقَوْمِ. وَبَيْنَهُمْ نَائِرَةٌ أَي عَدَاوَةٌ. انظر: ابن منظور، *لسان العرب*، (مادة: نير)

[182] الراغب الأصفهانى، *محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء*، ج1، ص106.

ربيعة العامري ليتكلم باسم قبيلته بني عامر، طلبوا منه أن يشتم شجيرة صغيرة تنبت في مراعيهم تسمى التربة فقَالَ: **"هَذِه التربة لَا تذكي نَارا، وَلَا توهل دَارا، وَلَا تَسرُّ جاراً، عودهَا ضئيل، وفرعها ذليل، وَخَيرهَا قَلِيل، أقبح الْبُقُول مرعىً، واقصرها فرعًا، وأشدها قلعاً، بَلَدهَا شاسع، وآكلها جائعٌ، والمقيم عَلَيْهَا قانعٌ".**[183]

فأعجبهم دقة وصفه، وكان أصغرهم سنًا، وأفصحهم لسانًا؛ فأجمعوا أمرهم على أن يمثلهم عند الملك، فَلَمَّا أَصْبحُوا غدوا بِهِ مَعَهم.

المطلب الأول: نثر الوفود في الجاهلية مفاخرة الوفود ومنافرتهم[184] عند الملوك

الفخر بالأحساب والأنساب طبع متجذر في نفوس العرب، لاينفك عنهم مادامت أرواحهم في أبدانهم، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **أَرْبَعٌ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يُتْرَكُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ...»**[185]

أولاً: وِفادةِ النُّعمان بن المنذر على كسرى وتفضيله العرب على سائر الأُمم[186]

وفَد النُّعمان على كسرى، وعنده وفود الصّين والهند والفرس والروم وغيرِهم، فذكروا ملوكَهم وبلادَهم، فافتخر النُّعمان على جميع الأمم بالعرب، ولم يَستثْنِ فارسًا ولا غيرها، فغضب كسرى، وأخذته عِزَّة المُلك، ونال من العرب وضعفِهِم، وقلة حيلتهم، وتشتت جمعهم، كما سخر من مأكلهم ومشربهم، ومن طباعهم وأخلاقهم ومخالطتهم الوحوشَ النافرة والحشراتِ القذرة، التي تخلقوا بأخلاقها، وتطبعوا بطباعها

---

[183] الحسن بن عبد الله العسكري، *جمهرة الأمثال* (بيروت: دار الفكر، د.ت)، ج2، ص117.

[184] المنافرة، المحاكمة، والمفاخرة " تَنَافَرا إِلَى الحَكَم: تَحاكَما إِلَيْهِ. ونافَرا: حاكَما فِي الحَسَبِ، أَو المُنافَرَة: المُفاخَرَة. وَيُقَال: نافَرْتُ الرجلَ مُنافرَةً: إِذا قاضَيْتَه. وَقَالَ أَبُو عُبَيْد: المُنافَرَةُ: أَن يَفْتَخِر الرجلانِ كلُّ واحدٍ مِنْهُمَا على صاحبِه، ثمَّ يُحَكِّما بَينهمَا رجُلاً" انظر: الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: نفر)

[185] ابن حنبل، *مسند أحمد*، رقم 22904، ج37، ص538.

[186] انظر الخبر مفصلًا في: يوسف بن حسام الدين بن قزغلي، *مرآة الزمان في تواريخ الأعيان* (دمشق: دار الرسالة العالمية، 2013 م)، ج2، ص480-481.

فقال النعمان:" **إنَّ عندي جوابًا عن كل ما نَطقت به، فإن أَمِنتُ غضبك قلتُ.**" فأذن له كسرى بالكلام، فبدأ النعمان بالثناء على الملك وأمته حتى يأمن غضبه ويسمع له فقال: **" أصلح الله الملك: إنَّ أُمتَك ليست تُنازَعُ في الفضل لموضعها في عُقولها وأحلامها، وما أكرمها الله به من وِلايتها وأحكامها".**

ثم أخذ يفصل في تفضيل أمة العرب على من سواها من الأمم، فذكر عزها ومنعتها، وشجاعتها وكرمها، وأحسابها وأنسابها، ووفاءها، وحسن وجوهها، كما افتخر بلغتها وفصاحة منطقها فقال:

" فأمَّا عزُّها ومَنَعتها، فحصونُهم ظهورُ خيلهم، وجُنّتهم رماحُهم وسيوفُهم، وغيرُهم من الأمم عِزُّهم الطينُ والحجارةُ وجزائر البحور".

لقد وصف أبرز الصفات التي يمتاز بها العرب عن سائر الأمم، ومن أهمها الشجاعة والفروسية، فلا ينفكون عن ركوب الخيل، يداومون امتطاءها ولايريحون، ويتقلدون سلاحهم لايفترون. خلاف الأمم الأخرى التي ابتنت القلاع والحصون، وبها يلوذون.

ثم فضل لون العرب على سائر ألوان الأمم، لصباحة وجوههم، وحسن بشرتهم، وجمال شخوصهم فقال:

"وأمّا حُسْنُ ألوانها؛ ففضلُها ظاهرٌ على الهنود المحترقةِ، والروم المقشَّرة".

لقد بين تمايز العرب بوسامتهم، وجمال خلقتهم عمن سواهم من الأمم الأخرى، ولمح لبعض سمات هذه الأمم، من سمرتها الداكنة، إلى صفرتها المقيتة، أو شقرتها الممجوجة السفيقة[187].

ثم وقف على الأنساب، وما يمتاز به العرب من حفظهم لأنسابهم، وفخرهم بأحسابهم، خلاف بقية الأمم الذين لا يكاد يعرف أحدهم سوى أبيه، فقال:

"وأمّا أنسابها؛ فليست أُمّةٌ من الأُمم إلا وقد جَهلت أنسابَها، حتى لو سُئِل واحدٌ عما وراء أبيه لم يَنْسبه، ولم يعرفه، وما في العربِ إلا مَن يُسمّي آباءه أبًا أبًا، وجدًّا جدًّا، فلا يدخل رجل في غير قومه، ولا يدعى إلى غير أبيه".

وهذه محمدة لا تُنْكَر للعرب في الانتساب للآباء والأجداد، فبها يحفظون أصولهم، ويكرمون أحسابهم، ويعرفون مجد أسلافهم، فلا تطمس الأنساب، ولا تضيع الأحساب، وفي هذا لا تضاهيهم أمة من الأمم.

---

[187] وَمِنْهُ رَجُلٌ سَفِيقُ الْوَجْهِ، إِذَا كَانَ قَلِيلَ الْحَيَاءِ. انظر: ابن فارس، *مقاييس اللغة*، (مادة: سفق).

ثم أخذ يذكر كرمهم وسخاءهم، وما يمتازون به عن غيرهم من الأمم في البذل والعطاء، وحسن القرى، وإكرام الضيف، ولو كان الضيف غريبًا عابر سبيل، أو كان طارقًا يطرق بليل، أو يفد بنهار، وإن كان لا يعرفه المضيف، فينحر له الجزور، أو يذبح له المنيحة، ولو كان لا يملك غيرها؛ طمعًا بالثناء الحسن، والذكر الجميل، فيقول:

" وأما سخاؤها؛ فإن الرجل يكون عنده البَكْرُ أو النَّابُ، عليها بُلْغَتُه من العيش، فيطرقه الطارقُ، فيعقِرُها له وَيرضى أن يَخرجَ من دنياه كلّها بحُسْنِ الأُحدوثة، وجميل الذّكر".

وليس في الأمم من يتسم بهذه الخصلة الحميدة التي أقرها الإسلام وعززها، فإكرام الضيف أصل في حياة المسلم الذي يبذل لضيفه القرى، ولا يطلب منه المكافأة أو الجزاء.

ثم أخذ يفصل في روعة بيانها وفصاحتها، وامتيازها على سائر لغات الأمم، ببلاغة منطقها، وسحر شعرها، وحكمة نثرها، فقال:

" وأما فصاحتُها؛ فإن الله أعطاها في نَظمها ونثرها ما لم يُعْطِه غيرَها من الأمم."

وأنى لأية لغة في الكون أن تسامي هذه اللغة، بفصاحة حروفها، وبلاغة منطقها، وبديع كلمها، وبيان تعبيرها.

وكيف لا يفخر بها وقد اختارها الله ليجعلها مادة لكلامه وقرآنه.﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.**[188]

ثم أخذ يفخر بالخيل التي يركبونها، ويفضلونها على أبنائهم وعيالهم، ويبين أصالتها ووفاءها لصاحبها.

كما لم يَفُتْهُ أن يعتز بنساء العرب التي تتسم بالعفة والشرف، فهي أطهر نساء الأمم، فحرائرها لا تعرف السفاح، وسائر أولادهم ولدوا من نكاح؛ فلا يسمو إلى صفاتهن أيٌّ من نساء الأمم، فيقول:

"ثم إن خيولهم أفضلُ الخيول، ونساءهم أعفُّ النساء."

ولقد ضرب الله المثل بوفاء الخيل العربية في سورة **"العاديات"**، وجعلها حجة على الإنسان الجحود الكنود.

كما عرفت نساء العرب في الجاهلية قبل الإسلام: **" أن الحرة تجوع ولا تأكل بثدييها"**[189]

---

[188] سورة يوسف: 2.

[189] انظر: قصة المثل في: أحمد بن محمد الميداني، *مجمع الأمثال* (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، ج1، ص122.

ولما بايع النبي -صلى الله عليه وسلم - النساء على التوحيد والأمانة، والعفة والتحصن من الفاحشة، عملاً بقوله - تعالى-: ﴿ ...ولا يسرقن ولا يزنين...[190]﴾ فوقفت هند بنت عتبة وقالت: **" يَا رسول الله، وهل تزني امرأة حرة؟ قال «لا والله ما تزني الحرة "**[191]

وأخذ النعمان في بيان ديانة العرب العريقة الموغلة في القدم، من زمن إبراهيم عليه السلام؛ الذي سن لهم دين الحنيفية السمحة، وابتنى لهم البيت العتيق، يحجون إليه، ويُحَرِّمُون مواقيته وحدوده، وليس لأمة من الأمم بيت كبيتهم، ولانسك كنسكهم، يقدسون البلد الحرام، والأشهر الحرم، فلا غزو فيه ولا قتال، يأمن الخائف من الدَّرَك، والمحدث من القصاص والهلك، فيقول:

" وأما دينها؛ فإن لها بيتًا محجوجًا، وشهرًا حرامًا، وبلدًا مُحرّمًا، يَنسكون فيه نسائكَهم، ويَذبحون ذبائحهم، ويَلقى الرجلُ قاتلَ أبيه، أو ابنه، أو أخيه، فلا يتعرَّض له في الشهر الحرام."

لقد فاخر النعمان بدين إبراهيم والبيت الحرام، الذي تقدسه العرب قبل الإسلام وبعده، ومدى احترامهم لحرمته، وتقديسهم الشعائر التي توارثوها عن آبائهم، ورغم أن طلب الثأر يجري في عروقهم، إلا أنهم يلتزمون السِّلم والأمن في الأشهر الحرم.

ثم يتطرق لوفاء العهود، وإنجاز الوعود، فلا تعرف الدنيا قومًا أكثر تمسكًا بعهودهم، وأوفى لذممهم ووعودهم مثل العرب، وكم نشبت حروب بينهم بسبب خفر ذمة أحدهم، فمن استجار بأحدهم لا يصله مكروه مادام المجير حيًا، ولا يُسَلِّم جاره لطالبه مالم ينقطع نَفَسُهُ؛ فيقول:

"وأما وفاؤُها، فإنَّ أحدَهم إذا عَقد عُقدة لا يَحُلُّها إلا خروج نَفْسه، وإن أحدهم ليرفعُ عودًا من الأرض؛ فيكون رَهْنًا بدينه وذمَّته، فلا تُخفَر ذِمَّتُه. وإن أحدهم ليَبْلُغُه أن شخصًا استجار به، وعسى أن يكون نائيًا عن داره، فيُصابُ، فلا يرضى حتى يُفني تلك القبيلة التي أصابتْه، أو تَفنى قبيلتُه، لِما أُخْفِر من ذِمامه وجِواره..."[192] والمعهود عن العرب حفظهم العهود وحماية الجار، ويبالغون في ذلك، وكم نشبت حروب بسبب إهانة جار أو ظلمه، وقد استمرت الحرب عقودًا من السنين من أجل ناقة الجار[193].

---

[190] سورة الممتحنة: 12.

[191] انظر: ابن كثير، *تفسير ابن كثير*، ج8، ص98.

[192] ابن قزغلي، *مرآة الزمان في تواريخ الأعيان*، ج2، ص480-481.

[193] انظر تفصيل الخبر في: النويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، ج2، ص124.

وربما بالغ بعضهم بحماية الجار وحق الجوار، حتى أخذ يجير كل من استجار بقبر أبيه، [194]ثم يرد على الملك انتقاصه العرب بوأد البنات وقتلها خشية الفقر والفاقة، فيبين له أن وأدهم البنات ليس إلا غيرة منهم، وأنفة من العار الذي قد يمسهم، فيدفن أحدهم ابنته وهي عزيزة عليه، درءًا لحرج التزويج، أو عار السفاح؛ فيقول:

"وأما قتلُهم الإناث من أولادهم؛ فليس للفاقَة، بل أنفةً من العار، وغَيْرةً من الأزواج".

وكان سادة العرب يخشى أحدهم العار الذي قد يناله من ابنته، ويكره أن يزوجها حتى لا يقال ابنة فلان تحت فلان، وقد وثَّقَ الله - سبحانه - في كتابه العزيز صورة حرجهم من ولادة البنات فقال:

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ *يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[195]

ثم يفخر بأكل العرب لحوم الإبل، لأنها أكرم دوابهم، وأعز أموالهم،، فلا ألذ من لحومها، ولا أطيب من شحومها، ولا أنفع من ألبانها، فيقول:

"وأما أكلُهم لحومَ الإبل؛ فما تركوا ما دونها إلا احتقارًا له، فجعلوها طعامَهم ومَراكبَهم، مع أنها أكثرُ البهائم شُحومًا، وألذُّها لُحومًا، وأرقُّها ألبانًا، وأقلُّها غائلَةً".

والإبل آية من آيات الله، ضربها – سبحانه – مثلاً للتفكر والتدبر في كتابه العزيز فقال: ﴿ **أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾[196].**

وقد تبين في هذا العصر بعد البحث العلمي، أن للإبل منافع شتى في لحومها وشحومها، وأوبارها وألبانها وأبوالها.

لقد استطاع النعمان أن يوصل رسالة إعلامية، وكأنها وثيقة تاريخية تفصح عن أخلاق العرب وطبائعهم، وملامح بيئتهم الدينية والاجتماعية، التي توارثوها عن آبائهم وأجدادهم؛ كما ردَّ من خلالهاَ على كل تهمة أو نقيصة وجهت لقومه العرب، في موقف قد لا يتسنى لأحد من الوفود سواه، بأن يسهب بمثل ما أسهب فيه من الخطاب؛ وكل ذلك كان انتصارًا لقومه، ورفعًا لمكانتهم بين الأمم.

---

[194] نظر تفصيل الخبر في: محمد بن يزيد المبرد، *الكامل في اللغة والأدب* (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت)، ج2، ص67.

[195] سورة النحل: 58- 59.

[196] سورة الغاشية: 17.

حتى أدهش كسرى ونال إعجابه؛ وألجأه إلى القول: **" إنَك لموضع الرِّئاسة في أهل مملكتك، وفيما هو أفضل."**[197]

وكأن كسرى أراد أن يطيب خاطر النعمان، ويكسب وده، ويأمن جانبه، لأنه من أتباعه، والحاكم بأمره، في كل ما يليه من بلاد العرب.

فأسبغ عليه من الثناء الحسن، وأجزل له من العطاء الوفير، وودعه معززًا مكرمًا إلى الحيرة، حاضرة ملكه، ومقر إقامته.

ثانياً: وفود حكماء العرب ووجوههم على كسرى مفاخرين*198*

بعد خروج النعمان من مجلس كسرى، أخذ يفكر في كلامه، ونيله من العرب، وخاف أن يعدَّهم كسائر الأمم، التي تخضع وتذل لحكم الفرس؛ فلما وصل الى الحيرة كتب إلى وجوه العرب وحكمائها، فقدموا عليه، فأكرمهم وبجلهم، وأخبرهم بما جرى له مع كسرى، وقال:

" قد سمعتُ منه مقالةً أَتخوَّف أن يكون لها غَوْرٌ، وهو أن يَتّخذَ العرب خَوَلًا كبعض طَماطِمته[199]... وإنما أنا رجلٌ منكم، وما عَزَزتُ إلا بمكانكم،... وقد رأيتُ أن تَنطلقوا إليه بكتابي، وأن يَنطِقَ كلّ واحدٍ منكم بما حضره، ليعلمَ أن العرب غير ما ظَنَّ..."

أراد أن يوصل لكسرى رسالة إعلامية حية، يمثلها وجوه العرب وحكماؤها؛ فألبسهم الحُلَل الثَّمينة، وأركبهم الخيل الأصيلة، وبعث معهم رسالة إلى كسرى يوصيه بهم كتب فيها: **" أما بعد، أيها الملك، فإني قد أَنفَذتُ إليك وجوهَ العربِ وحكماءهم ورؤساءهم، ... فلْيَسمع الملك منهم، ويتغافل عن جَفاءٍ إن ظهر منهم، ويكرمني بإكرامهم، والسلام."**

فلما وصلوا إيوان كسرى استأذنوا عليه، فأذن لهم وسلموه رسالة النعمان، فأكرمهم وأجلسهم مجالس تليق بهم، ثم دعا وجوه قومه، وأحضر ترجمانه ليوصل إليه فحوى منطقهم وحديثهم، ثم أذن لهم بالكلام.

---

[197] ابن قزغلي، *مرآة الزمان في تواريخ الأعيان*، ج2، ص480-481.

[198] انظر الخبر مفصلًا في: ابن قزغلي، *مرآة الزمان في تواريخ الأعيان*، ج2، ص484 وما بعدها.

[199] الطَّمْطَمةُ: العُجْمة. والطِّمْطِمُ والطِّمْطِميُّ والطُّماطِم والطُّمْطُمانيُّ: هُوَ الأَعجَم الذي لا يُفْصِح. ورجلٌ طِمطِمٌ، بِالْكَسْرِ، أَيْ فِي لِسَانِهِ عُجْمة لَا يُفْصِح، انظر: ابن منظور، *لسان العرب*، (مادة: طمطم).

فقام أكثم بن صَيْفي أفصحهم لساناً وأحكمهم منطقاً، فقال: **" إن أفضل الأشياء أَعاليها، وأَعلى الرجالِ مُلوكها، وأفضلَ الملوك أعمُّها نفعًا، وخير الأزمنة أخصبُها، وأفضل الخطباء أصدقُها. الصدقُ مَنجاة، والكذبُ مَهواةٌ، والشرُّ لَجاجَةٌ[200]، والخيرُ عادةٌ" .**

وذكر كلامًا، أُعجِبَ كسرى وأدهشه، حتى قال له: **" لو لم يكن للعرب غيرُك لكفاها".**

لقد صاغ أكثم عبارات موجزة، كل عبارة أضحت من بعده مثلًا سائرًا، فقوله:

" أفضل الأشياء أعاليها" حكمة بالغة توافق إجابة النبي - صلى الله عليه وسلم- لأبي ذر رضي الله عنه، حينما يسأله عن أَفْضَل الرقاب فيقولَ: «**أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا، وَأَغْلَاهَا ثَمَنًا**»[201]

وأما قوله**: "أعلى الرجال ملوكها"** فليس فوق الملك من يأمره وينهاه، ويتصرف به كيفما شاء، فهو الآمر الناهي، الذي إذا قال فعل، وإذا وعد أنجز. وأما قوله: **"أفضل الملوك أعمها نفعًا"** فقد أوصل إلى الملك نصيحة خفية رقيقة، لا تمسه ولا تحرجه، حيث دعاه لنفع الرعية وإكرامها، والعدل فيها، وتحاشي ظلمها.

ثم بين له في قوله **" وخير الأزمنة أخصبُها "** أن الخير مقرون بالعطاء، وأن الساعة التي لايكتسب فيها الإنسان خيرًا، ليس لها قيمة في الحياة، ولا تعد من عمره، وخيرية كل زمن نفعه وعطاؤه، وتسمي العرب زمن الخصب عامًا، وزمن الجدب سنة.

ثم ركز على خصلة من خصال الخير **"الصدق"** فقال: **"وأفضل الخطباء أصدقُها"**.

والعرب في جاهليتهم يعتزون بالصدق ويتحرجون من الكذب، ويشهد لذلك موقف أبي سفيان بن حرب بين يدي ملك الروم، حينما أخذ يسأله عن النبي المبعوث من قومه حديثًا، وكان أَبُو سُفْيَانَ من أشد الناس عداوة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم- فأبت نفسه العربية الأصيلة أن يتهم رسول الله بنقيصة رغم إرادته الانتقاص، فقال:**" والله لولا الحياء يومئذ من أن يأثر أصحابي عني الكذب لكذبته "**[202]

ثم عزز أكثم مقولته، فأتبعها بحكمة بالغة فقال: **" الصدقُ مَنجاة، والكذبُ مَهواةٌ"** فقرر في هذه العبارة الموجزة عاقبة الصدق وعاقبة الكذب

---

[200] اللَّجَاجُ واللَّجَاجَةُ واللَّجَجُ محرَّكةً، والمُلاَجَّةُ: التَّمادِي فِي الخُصُومة . وَقيل: هُوَ الاستمرارُ على المُعارَضةِ فِي الخِصام. واللَّجَاجُ: هُوَ التَّمادِي فِي الأَمر وَلَو تَبيَّنَ الخَطَأُ. انظر: الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: لجج).

[201] ابن حنبل، *مسند أحمد*، رقم21331، ج35، ص260.

[202] البخاري، *صحيح البخاري*، رقم 2782، ج3،ص1074، وعبد العظيم بن عبد القوي المنذري، *مختصر صحيح مسلم*، (بيروت: المكتب الإسلامي، 1987م)، رقم1122، ج2، ص296.

فحِليةُ المنطقِ الصِدقُ، وهو رُكنُ الأدبِ، وأصلُ المُروءةِ، أما الكذب فلا يعقبه إلا الخسران.

وقد وافق قول أكثم قول النبي - صلى الله عليه وسلم- في بيان حقيقة الصدق وحقيقة الكذب، حيث قال: « **عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ، وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا** »[203]

وأخيرًا ختم خطابه البليغ بحكمة رائعة، فقال: **" والشرُّ لَجاجَةٌ[204]، والخيرُ عادةٌ"** فالتمادي في الباطل مدعاة للشؤم، ولا يثمر إلا الخيبة والخسران، والخير فطرة بشرية تهواه الأنفس، وتألفه الطباع، وتعويد النفس عليه حليتها وكمالها.

وأخذ الحكماء من أعضاء الوفد كل يزَوّرُ كلامًا، يتزلف به إلى الملك، ويتقرب منه.

فيمدحون قوته وهيبة إيوانه، ويتمنون دوام ملكه وعزّ سلطانه، معلنين الولاء له بالسمع والطاعة، والوفاء لجواره مدى الدهر، واضعين رماحهم الطويلة وأنفسهم العزيزة طوع إرادته، ورهن إشارته.

فكأن كسرى لحظ منهم بعض أنفة واعتزاز على الرغم من إعلانهم الولاء والوفاء، فاستخف بهم وانتقصهم بكلمة، علق بها على خطبهم فقال: **" أَنفُسٌ عزيزة، وآلة ضعيفة!" .**

وشعر القوم باستضعاف كسرى لهم، و التقليل من شأنهم، فقام الحارث بن عباد البكري[205] معتدًا بنفسه مفتخرًا بفروسيته فقال:

" أيها الملك، إن الفارس إذا حمل على الكتيبة يقدم على الموت، فهي حياة استدبرها، ومنيّة استقبلها، ومتى استعَرت نارُ الحرب واشتدَّ لظاها، جعلتُ مَقادَها رُمحي، وبَرقَها سيفي، ورَعدَها زَئيري، ولم أقصِّر عن خَوْض ضَحْضاحها[206]، حتى أنغمس في غَمرات لُجَجها، فأَترك حُماتَها جَزْرًا للسِّباع، وكلّ نَسْرٍ قَشْعَم[207].

---

[203] ابن حنبل، *مسند أحمد*، رقم3638، ج6، ص147.

[204] وَاللَّجَاجُ الظَّلَامُ: اخْتِلَاطُهُ، وَهُوَ مُشَبَّهٌ بِالْتِجَاجِ الْبَحْرِ. وَيُسْتَعَارُ هَذَا فَيُقَالُ عَيْنٌ مُلْتَجَّةٌ: شَدِيدَةُ السَّوَادِ،ابن فارس، مقاييس اللغة (مادة:لجَّ).

[205] الحارث بن عباد البكري من حكام ربيعة، وفرسانها المعدودين، وكان قد تنحى بأهله وولده، وحل وتر قوسه، ونزع سنان رمحه، واعتزل حرب البسوس، إلى أن قتل ولده...انظر: جواد علي، *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، (دار الساقي2001 م)، ج18، ص26 .

[206] الضحضاح: هُوَ الماءُ إِلى الكَعْبَيْنِ، أَو إِلى أَنْصَافِ السُّوقِ، أَو هُوَ مَا لَا غَرَقَ فِيهِ وَلَا لَهُ غَمْرٌ، والضَّحْضَاح: الكثِير، بلُغة هُذَيْلٍ، لَا يَعْرفها غيرُهم، قَالَه خالدُ بن كُلثوم، يُقَال: عِنْده إِبلٌ ضَحْضاحٌ، قَالَ الأَصمعيّ: غَنَمٌ ضَحْضَاحٌ، وإِبلٌ ضَحْضَاحٌ: كثيرةٌ. وَقَالَ الأَصمعيّ: هِيَ المُنْتشرَة على وَجهِ الأَرْض. الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: ضحح).

[207] القَشْعَمُ، كَجَعْفَر: المُسِنُّ من الرِّجَالِ والنُّسُورِ والرَّخَمُ لطُولِ عُمْرِه. انظر: الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: قشعم).

لقد قدم الحارث نموذجًا للفارس العربي، المعتد بمهارته القتالية، وشجاعته البطولية، وقدرته على صرع خصمه مهما كانت قوته، وشدة بأسه؛ فهو يخوض معامع الحروب، ليجعلها مُقادة لرمحه، يُصَرّفها كيفما يشاء على هواه، كما جعل من لمعان سيفه برقًا يضيء غمارها، ومن صوته رعداً يجلجل في أرجائها، فأعجب كسرى بفروسية الرجل، واستعظم مبالغته في الاعتداد بنفسه، فالتفت إلى صحبه من أعضاء الوفد وسألهم: **"أهكذا هو؟ "**

فأجابوه جميعهم وكأنهم توافقوا على الإجابة، فقالوا:**" فعالُه أنطق من لسانه".**

فعجب كسرى من هذا التوافق في تزكية صاحبهم وتصديق كلامه، فقال:

" ما رأيتُ كاليوم وفدًا أحشد، ولا شُهودًا أرفد".

ثم قام عمرو بن مَعدي كَرِب فـأراد أن يلطف جو التوتر بحكم لطيفة، ومعانٍ ظريفة، فقارب وسدد، من غير ضعف ولا انكسار، فقال: **" إنما المرء بأصغَرَيْه: قلبه ولسانه؛ فاشتَر طاعتَنا بفضلك، واكظم بادِرَتَنا بحِلمك، وأَلِنْ لنا كَنفَك يَسلُس لك قيادُنا، فإنا أُناسٌ لم يكسر صفاتَنا[208] قِراعُ مناقيرِ من أراد لها قَضمًا، وقد مَنَعْنا حِمانا عن كل من أراد له هضمًا".**

لقد افتتح عمرو خطابه بجعل القلب واللسان قوام الإنسان؛ ولا خير فيمن حرم ثبات الجَنان وفصاحة اللسان، فالعاقل من كان لسانه من وراء قلبه، والأحمق الجاهل من كان قلبه من وراء لسانه، ثم التمس من الملك الصفح عن الزلل، والعفو عن الخطل، لكنه لم يخضع لهيبة المُلك، ولم يهن أمام امتعاظ الملك من تجرؤ بعض المتكلمين وافتخارهم أمامه، فأرسل للملك رسالة فيها اللين والشدة، واللطف والأَنَفَة؛ فصرح ببعض خِلال قومه، وبَيَّن أهم مناقبهم، فهم طوع لمن يلين لهم، عتاة على من أراد النيل منهم، هم كالصخرة الصماء التي لا تفلح المناقير في كسرها أو نقبها؛ فجنابهم عزيز، وحماهم منيع، لا يتسنى لأحد كائنًا من كان أن يطأ كنفهم، أو يهضم حقهم.

وكتم كسرى ما اعتلج في صدره من غيظ، وصبر على تجاوزات الوفد وتطاولهم في حضرته؛ لِما وجد من بلاغة منطقهم، وحكمة عقولهم.

ولكنه استشاط غيظًا عندما قام الحارث بن ظالم، وتكلم بكلام الأنداد، وخاطبه خطاب الأتراب، وكأنه يخاطب أعرابيًا من قومه، فقال:

---

[208] الصَّفاةُ: صَخْرةٌ مَلْساءُ. يُقالُ فِي المَثَلِ: مَا تَنْدَى صَفاتُه؛ ج صَفَواتٌ، انظر: الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: صفو).

" آفةُ المنطق الكذبُ، ومن لؤم الأخلاقِ المَلقُ، ومن خَطَل الرّأي خِفَّةُ المَلِك المُسَلَّط، فإن أعلمناك أن مُواجهتَنا لك عن ائتلافٍ، وانقيادَنا لك عن إنصاف، ما أنت بقبول ذلك منا بخَليقٍ، ولا الاعتمادِ عليه بحَقيقٍ، ولكن الوفاءُ بالعهود، وإحكامُ العقود، والأمرُ بيننا وبينك مُعتدِلٌ، ما لم يَأتِ من قِبَلك مَيلٌ."

لقد نزل كلام الحارث كالصاعقة على كسرى فانتفض مغضبًا وقال له:

" مَن أنت؟" قال: **" الحارثُ بن ظالمٍ"**[209]

قال: **"إن في اسم أبيك دليلًا على قِلَّة وفائك".**

فانتبه الحارث لما أثار من غضب الملك، وأراد أن يذَكِّره بأخلاق الملوك العظام، وأن يبعث فيه الترفع عن السفه والحمق، فقال مستدركًا: **" الحِلم مع القُدرةِ، فلْتُشبه أفعالُك مجلسَك."**

فأُعجب كسرى بسرعة بديهته، وفصاحة منطقه، وحدة طبعه فقال:**هذا فتى القوم!".**

ثم تكلم آخرون أرادوا أن يخففوا من حدة التوتر، التي سادت المجلس، ودعوا للملك بطول البقاء، ودوام العز والرخاء، واعتذروا عن إخوانهم الذين خشَّن بعض خطابهم قلب الملك، وأوغر صدره؛ لكنهم ضَمَّنوا ثنايا اعتذارهم رسالة إعلامية واضحة، تُجَلّي أخلاق العرب وخصالهم، وتُبين سِمَاتِهم وخَصَائِصَهُم؛ فهم أفصح الناس لسانًا، وأثبتهم جَنانًا، ولا يتسنى لأحد أن يجاريهم في سباق، أو يساميهم في ارتقاء. ثم تعهدوا له بإخلاص النوايا، وحفظ الجوار، ولجنابه الولاء، ولعهده الوفاء ولمن رامه بالعداء.

وانتهى المجلس العامر بالوفود بإعلان الملك الرضا عن وفد العرب، وصفحه عن الهَنَاتِ التي تخللت كلامهم، والزلات التي نَبَتْ بها ألسنتهم، فقال يخاطبهم:**"قد فَهمتُ ما نَطق به خطباؤكم، وتَفنَّن فيه متكلِّمُوكم، وإني لأكره أن أَجْبَهَ وُفودِي، وأُحنِقَ صُدورَهم، وقد قَبلتُ ما كان في مَنطقكم من صوابٍ، وصَفحتُ عمّا كان فيه من خللٍ، فانصرفوا إلى مَلككم، والزَموا طاعتَه، وأَحسنوا مؤازَرَتَه"**[210]

ثم أجزل لهم الجوائز، وحملهم التحف، وسرحهم إلى ديارهم حامدين شاكرين.

---

[209] الحارث بْن ظالم بْن عبس السلمي، قاله ابن منده وَأَبُو نعيم، وقالا: إنه يكنى أبا الأعور، شهد بدرًا، مختلف في اسمه، روى عنه قيس بْن أَبِي حازم. انظر: ابن الأثير، أسد الغابة ،ج1،ص401

[210] ابن قزغلي، *مرآة الزمان في تواريخ الأعيان*، ج2، ص484.، وابن حمدون، *التذكرة الحمدونية*، ج7،ص409 ومابعدها.

نلمس في هذه الخطابات الإعلامية، التي قدمها الوفد العربي المبعوث إلى الملك الفارسي رسائل شتى، تكشف عن طبيعة العربي، التي لا تنفك عنه في أحلك الظروف وأصعبها.

فقد أرادوا أن يبينوا لكسرى أن العربي يحترم من احترمه، ويفي بالوعد لمن ائتمنه، ولا يخون من عاهده، لكنه بالمقابل لا يرضى الذل، ولا يقبل المهانة، ولربما بذل نفسه وما يملك دون عرضه وكرامته.

وأفصحوا في خطاباتهم عن صورة واضحة، لما عليه العرب من أخلاق وطباع.

وقد أراد النعمان أن يوصل إلى كسرى رسالة تحمل في طياتها التودد والولاء، مع حفظ ماء الوجه، وإظهار العزة والإباء، ولكن بعض أفراد الوفد أبت نفسه الخضوع والخنوع، فتجاوز حدود التأدب في حضرة الملك، الذي خضعت له الممالك والبلدان.

وبعد ذلك ظن كسرى أن ما تكلم به الوفد لا يخلو من مبالغة تجافي الحقيقة، فتمادى في عسفه، وتطاول على العرب بظلمه، وأراد أن ينال من ذِمارهم، فكانت بعدها معركة ذي قار التي لقن فيها العرب الفرس درسًا لا ينسى.

ويومها كان**" أَوَّلَ يومٍ يَنْتَصِفُ فيهِ العَرَبُ من العجم"** [211]

ثالثاً: وفود المفاخرة في رحاب المنذر بن ماء السماء[212]

ظل العرب يتفاخرون، ويتنافسون في حضرة الملوك، وفي مجالسهم، وكان المنذر بن ماء السماء يبتهج ويُسر بهذه المنافرات بل ويشجع عليها.

وقد أبرز ذات يوم سريره أمام سرادقه بالحيرة، وحضر عنده وفود العرب، ثم أمر بحلتين من حلل كسرى التي كان قد كساه إياهما، فارتداهما ثم قال: **" يَقُم أعز العرب قبيلة، وأكثرهم عددًا، وأطوعهم لأهل بيته، وأقواهم في نفسه، فليأخذ هاتين الحلتين."** كان يدعو للتنافس على أنفس وأثمن حلتين، ومن تُسوِّل له نفسه امتلاك الحلتين، وينال شرف القرب من الملك، لابد له أن يبرهن على أنه سيد العرب وأعزهم. فقام عامر بن أحيمر بن بهدلة التميمي؛ فناوله الحلتين، فتأزر بواحدة، وأرتدى الأخرى، ثم اتجه إلى الملك مفتخرًا بأجداده، كابراً عن كابر، فقال: **" إنَّ العِزَّ والعدد من العرب في**

---

[211] انظر: الحلي، *المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية*، أسباب ونتائج يوم ذي قار، ص403.

[212] انظر: الحلي، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، ص286، و ابن قزغلي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج2، ص460.

معد، ثم في نزار، ثم في مضر، ثم في خندف، ثم في تميم، ثم في سعد، ثم في كعب، ثم في عوف، ثم في بهدلة، فمن أنكر ذلك فلينافرني". لقد عد أسماء أبائه وأجداده، الذين تعرف العرب أقدارهم، فلم يكذبه أحد، ولم يعترض عليه أحد، وسكت جميع من حضر، فأراد الملك أن يتثبت من صحة قوله، وصدق ادعائه، فقال له: " **هذه عشيرتك كما تزعم، فكيف أنت في أهل بيتك وبدنك؟"** فقال: **" أنا أبو عشرة، وعم عشر، وخال عشر، وفي رواية أبو عشر، واخو عشر، وعم عشرة، وخال عشرة، تعينني الأكابر إلى الأصاغر، والأصاغر إلى الأكابر".** لقد أظهر مكانته في قومه، وأفصح عن الكثير من العِزين[213] الذين يكتنفونه، من الأولاد والأخوة وأولادهم، والأخوات وأولادهن، لا يعصون له أمرًا، ولا يخالفون له حكمًا، صغارهم وكبارهم، كل يشُدُّ أزره ويعينه، ولم ينته فخره عند ذلك، ممن حوله من أهله وعشيرته، بل وقف معتزًا بقوته، مفتخرًا بشدة بأسه، فقال: " **وأما قولك كيف أنت في بدنك، فشاهدُ العِزّ شاهدي"**، ووضع قدمه على الأرض، وقال: **"من أزالها عن موضعها فله مائة من الأبل، وهو أحق مني بهاذين البُرْدَين"** لقد رفع سقف التحدي إلى أعلى مستواه، فضرب برجله الأرض، وراهن على مئة من الإبل، لمن يزيح قدمه عن مكانها.

فوجم الحاضرون، ولم يقم له أحد، لعلمهم بشدة بأسه، وقوة شكيمته، فأخذ البردين بجدارته، ونال قرب الملك بشرفه ومروءته. إنها المفاخرات والمنافرات التي اعتادها العرب، ولا يدعونها مادامت أرواحهم في أجسادهم، بل لقد ظلت منافرة عامر بن الأحيمر فخرًا لأبنائه وأحفاده وعشيرته، ولكل من يلوذ به. يقول الزبرقان بن بدر السعدي:

"وَبُـرْدَا ابْـنِ مَـاءِ المُـزْنِ عَمّـي بِعِـزّ مَعْـدٍ حِـينَ عُـدّتْ مَحَاصِـلَهْ
وَإِنّ كِـرَامَ النّـاسِ أَوْلَاهُـمُ بِـهِ وَلَـمْ يَجِدُوا فِـي عِزّهِمْ مَـنْ يُعَادِلَـهْ"[214]

---

[213] العزين:الجماعَةُ المُنْتَسِبَةُ بعضُهم إِلَى بعضٍ، إِمَّا فِي الوِلادَةِ، وإِمَّا فِي المظاهَرَةِ. انظر: الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: عزو).

[214] الحلي، *المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية*، ص286.

رابعاً: وفود الصعاليك215 على الملوك، وفصاحة منطقهم 216

ومن طرائف الوفود على الملوك، ومن عجائب فصاحتهم وبلاغتهم سجيةً وسليقةً ما جرى لعمر بن فطر بن سهل الداري مع الملك النعمان.

فقد كان صعلوكًا يغير على مسارح النعمان بن المنذر، وينتهب إبله ونَعَمَه، ثم يهرب بها، فلا يدركه جنود النعمان، لأنه كان من اللصوص العدائين، الذين لا تدركهم الخيل.

فطلبه النعمان زمانًا يريد إصابته، فلم يقدر عليه، فأمَّنَه وجعل له مائة ناقة، إن دخل في السِّلم، فقبل ذلك، ودخل على النعمان، وكان دميمًا قميئًا، فاقتحمته عين النعمان، واستصغر شأنه، فقال له: **"تسمع بالمُعَيْدِي خيرٌ من أن تراه"**[217]

فقال له عمر: **" مهلا أبيت اللعن[218]، فإنما المرء بأصغريه: لسانه وقلبه، فإذا نطق نطق ببيان، وإذا قابل قابل بجَنَان"**.

فأعجبه فصاحة منطقه، وسرعة بديهته " فقال له**: نعم والله"** ثم أراد أن يختبر ذكاءه وفطنته فسأله: **" فما السوأة؟"** فأجابه إجابة أدهشته، وأدهشت من حضر من حاشيته فقال**: " المرأة الصَّخَّابة، الخفيفةُ الوَثَّابَةُ"**، فازداد إعجابه به فأراد أن يستزيده فسأله: **" فما الفقر الحاضر؟"** فأجاب مرتجلاً: **" الشاب القليل الحيلة، المطيع للحليلة، إذا غضبت ترضَّاها، وإذا رضيت " تعدَّاها"**[219] .

وأخيرًا سأله**: " فما قرين السوء؟" قال: " جارك الذي إن كان فوقك قهرك، وإن كان دونك شتمك، إن منعته لعنك، وإن أعطيته مدحك"**

---

[215] صَعْلَكَه صَعْلَكَةً: أَفْقَرَه.... والصّعْلوك، كعُصْفُور: الفَقِيرُ ...وصَعالِيكُ العَرَب: ذؤبانها. انظر: الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة:صعلك).

[216] محمد بن حسين الحارثي، *الكشكول* (بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م)، ج2، ص291- 292.

[217] المعيدي: وَهُوَ مَعَدِّيٌّ فِي النّسَب، وَمِنْه الْمثل: " تَسْمَع بالمُعَيْدِيّ خَيْرٌ من أَن تَراه" ... يُضْرَب مَثلاً لِمَن خَبَرِه خَيْرٌ مِن مَرْآتِه... انظر: الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: معد).

[218] أَبيتَ اللَّعْنَ: كلمةٌ كَانَتِ الْعَرَبُ تُحَيِّي بِهَا مُلوكها فِي الْجَاهِلِيَّةِ، تَقُولُ للملِك: أَبَيْتَ اللَّعْنَ؛ مَعْنَاهُ أَبَيْتَ أَيُّها الملِك أَن تأْتي مَا تُلْعَنُ عَلَيْهِ. واللَّعْنُ: الإِبْعادُ والطَّرْد مِنَ الْخَيْر، وَقِيلَ: الطَّرْد والإِبعادُ مِنَ اللَّهِ، وَمِنَ الخَلْق السَّبُّ والدُّعاء، انظر:ابن منظور، *لسان العرب*، (مادة: لعن).

[219] في الكشكول كلمة " تعداها " وكأنها مصحفة عن كلمة " تفداها" ليستقيم السياق فقد وجدت في محاضرات الأدباء العبارة الآتية: (وسئل ضمرة بن ضمرة عن الفقر الحاضر والعجز الظاهر، فقال: أما الفقر الحاضر فمن لا تشبع نفسه، وأما العجز الظاهر فالشاب القليل الحيلة اللازم الحليلة إن غضبت ترضّاها، وإن رضيت تفداها، يحوم حولها ويطيع قولها.) انظر: الراغب الأصفهانى، *محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء*، ج1، ص 576.

وهنا يفصح النعمان عن دهشته من بلاغة هذا الصعلوك، وسداد قوله وحكمته فيقول: **"لله أبوك!"**[220].

لقد كان المَخْبَرُ مغايرًا للمَظهر، فالشكل تقتحمه العين وتزدريه، ولكن المضمون مختلف، فقد كشف عن بديهة سريعة، وسليقة نقية، تنم عن فصاحة وبلاغة، أعجبت الملك وأدهشته. لقد ابتدر عمر الملكَ بحكمة تُسَلِّم لها الطباع السليمة، فبعد التحية المعهودة للملوك، أراد أن يرد اعتباره في نظر الملك، فبين له أن جوهر الإنسان ومعدنه لا يقاس بمظهره بل بمخبره، كيف يفكر وماذا يقول.

فبدأ خطابه بقوله **" المرء بأصغريه لسانه وقلبه"** إذا نطق أعجب السامع بفصاحته، وأدهشه ببلاغته، وإذا بارز الخصم ثبت برباطة جأشه، وجراءة قلبه.

وهنا يعتدل الملك جالسًا ويقول معجبًا: **"نعم والله !"**

ثم أراد الملك أن يختبر فطنته وحكمته، فيسأله قائلًا: **" فما السوأة؟"**

فيجيب على الفور سجية ومن غير تكلف: **" المرأة الصَّخَّابة، الخفيفة الوثَّابة"**

لقد قدم صورة دقيقة للمرأة التي تمثل العبء الثقيل على أهلها، وتسوؤهم بتصرفاتها؛ فهي كثيرة الصراخ والصخب، عديمة الحياء والأدب، بذيئة اللسان، مؤذية الجيران، تفتعل المشكلات، مع كل من تراه.

ازداد إعجاب الملك به، وأراد أن يستزيد من حكمته وفصاحته، فسأله عن الفقر الدائم الملازم للرجل حيث قال: **فما الفقر الحاضر؟"** أجابه من غير تردد بجمل جزلة موجزة، بليغة مسبوكة، راعى فيها السجع والمساواة حيث قال: **" الشاب القليل الحيلة، المطيع للحليلة، إذا غضبت ترضَّاها، وإذا رضيت تفدَّاها"**

فقدم للملك صورة للشاب الأحمق، السفيه الرأي، الهابط العزيمة، الذي لايعرف للكسب سبيلًا، ولا يملك لنفسه زمامًا؛ ضعيف أمام شهواته، متبع لأهواء نفسه.

لا يفارق امرأته، قد ملكت عليه كل أمره، يستجدي وُدَّها ورضاها، ويطيع أمرها ويتفداها.

وأخيرًا سأله عن قرين السوء وصفاته. فأجاب على سجيته: **" جارك الذي إنْ كان فوقك قهرك، وإن كان دونك شتمك، إن منعته لعنك، وإن أعطيته مدحك".**

---

[220] الحارثي، *الكشكول*، ج2، ص291- 292.

لقد اختار الجار المجاور لدوام التصاقه وملازمته لجاره؛ ولا يوصم بالسوء إلا إذا اتصف بالخلال التي عدها عمر للملك، فهو لئيم الطباع، دنيء السجايا، إن غَلب تحكم وقهر، وإن غُلب شتم وتذمر، خسيس الخليقة، عديم المروءة، مادام يستفيد منك يرضى عنك، فإن حجبت عنه رفدك سخط عليك، وكأنه يتمثل بهذه الآية الكريمة: ﴿ **وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ**﴾[221]

ازداد النعمان إعجابًا بالرجل، فما يدري كيف يعبّر عن إعجابه، فما كان منه إلا أن تنهد وقال: **"لله أبوك!"**، ثم أكرمه وأعطاه خمسين ألف درهم، وأمَّرَه على مائة من أصحابه. وتحققت فيه حكمته التي بدأ خطابه بها " **إنما المرء بأصغريه لسانه وقلبه"**

من هذا الخطاب الإعلامي الذي قدمه صعلوك من صعاليك العرب، أمام ملك من أعز ملوك زمانه، يظهر لنا مدى سعة آفاق العربي في باديته، فهو لم يتعلم في المدارس، ولم يتفقه في المجالس، إنما هي فطرة البدوي، ونضوج تفكيره، لملازمته الآفاق الواسعة، والمفازات الشاسعة، التي يتقلب فيها، حيث أكسبته سموًا في التفكير، ودراية في التدبير، فهو ينطق الحكمة في قوله، ويدلي بالسداد في رأيه، حتى يدهش منطقه الملوك، وتعجزهم حيلته.

المطلب الثاني: نثر الوفود في الإسلام

أولاً: وفود فصحاء الأعراب على النبي - صلى الله عليه وسلم- في المدينة

ومن طرائف الوفود قدوم الأعراب على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأسئلتهم الجريئة، التي يهاب الصحابة طرحها، إجلالاً لمقام رسول الله وتعظيمًا لقدره.

فقد كان الصحابة - رضي الله عنهم - يُجلون النبي - عليه الصلاة والسلام - ويوقرونه، فيفرحون بالأعراب إذا قدموا المدينة، ليسألوا النبي - عليه الصلاة والسلام - فيجيبهم على ماسألوا، فينتفع بذلك الصحابة.

---

[221] سورة التوبة: 9/58.

قال صاحب الوسائل: **" كَانَ أَصْحَابُهُ يَتَمَنَّوْنَ مَأْتَى الْغُرَبَاءِ إِلَى مَجْلِسِهِ الْأَقْدَسِ، وَمَقَامِهِ الْأَنْفَسِ؛ لِيَسْتَفِيدُوا بِسَبَبِ أَسْئِلَتِهِمْ مَالَا يَسْتَفِيدُونَهُ فِي غَيْبَتِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ حِينَئِذٍ يَهَابُونَ بِسُؤَالِهِ، وَالْغُرَبَاءُ لَا يَهَابُونَ فَيَسْأَلُونَهُ عَمَّا بَدَا لَهُمْ لِيُجِيبَهُمْ"** [222]

وقال أنس -رضي الله عنه-: «**نهينا في القرآن أن نسأل رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - عن شيء؛ كان يعجبنا أن نجد الرجل من أهل البادية العاقل، فيسأله ونحن نسمع**»[223]

وهذا ضِمَام بن ثعلبة[224] الذي يمثل صدق الأعراب وصفاءهم وقوة شكيمتهم

يفد على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ليقدم نموذجًا رائعًا يعجب الصحابة ويفرحهم؛ ويعبر عن ذلك عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه - فيقول: **" ما رأيت أحدًا أحسن مسألة، ولا أوجز من ضمام بن ثعلبة"**[225].

كان المجلس في مسجد رسول الله مهيبًا، فرسول الله جالس مرتفق في صدر المجلس، وأصحابه من حوله يصغون بكل جوارحهم لكل كلمة ينطق بها، يعمهم الأدب الجم بين يديه، عندها يحضر ضمام بن ثعلبة السعدي، فينيخ بعيره بباب المسجد ويعقله، ثم يدخل مخترقًا جمعهم، ثائر الرأس، يُسمع دويُ صوته ولا يُفقه ما يقول، ثم يسأل: **"أَيّكُمْ ابْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ؟"** يجيبه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **"أنا ابن عبد المطلب".** يكرر السؤال ليتأكد **" أمحمد؟"** يجيبه **"نعم محمد"**. وهنا يشنف الصحابة آذانهم يترقبون مسألته.

فيقدم بين يدي أسئلته اشتراط الصبر عليه، فلربما أغلظ في السؤال.

فيقول: **"يابن عَبْدِ الْمُطّلِبِ، إنّي سَائِلُك وَمُغَلّظٌ عَلَيْك فِي الْمَسْأَلَةِ، فَلَا تَجِدَنّ فِي نَفْسِك"**؛ ويجيبه - صلى الله عليه وسلم بكل رحابة صدر والابتسامة تعلو ثغره -:

« لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي، فَسَلْ عَمّا بَدَا لَك».

وهنا يسأله بالله رب الأولين والآخرين أن يصدقه القول، في كونه رسولاً، وأن هذه الرسالة من عند الله -عز وجل- فيجيب النبي -عليه السلام-: أن نعم، ثم يستحلفه بالله رب الأولين والآخرين عن

---

[222] ملا علي بن سلطان القاري، جمع *الوسائل في شرح الشمائل* (القاهرة: المطبعة الشرفية، 1318هـ)، ج2، ص166.

[223] الصالحي، *سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد*، ج6، ص353.

[224] ضمام بن ثعلبة: أحد بني سعد بن بكر السعدي، ويقَالَ التميمي، قدم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بعثه بنو سعد بن بكر وافدا. قيل: إن ذَلِكَ في سنة خمس. فساءله عن الإسلام فأسلم، ثم رجع إليهم، فأسلموا، انظر: القرطبي، *الاستيعاب في معرفة الأصحاب*، ج2، ص751.

[225] الحلبي، *السيرة الحلبية*، ج3، ص310.

الصلوات الخمس، وصوم رمضان، وسائر أركان الإسلام وشرائعه، وأوامره ونواهيه، أهي كلها تكليف من الله لخلقه، ورسول الله يقول: «**اللهم نعم**».

عندها يعلن ضِمام إسلامه، ويشهد شهادة التوحيد، ثم يعقب بقوله: " **سَأُؤَدّي هَذِهِ الْفَرَائِضَ، وَأَجْتَنِبُ مَا نَهَيْتَنِي عَنْهُ، ثم لا أَزِيدُ وَلَا أَنْقُصُ**".

ثم ينقلب عائداً إلى قومه.

فيعقب رسول الله على المشهد بعد انصرافه بقوله:: «**إِنْ صَدَقَ ذُو الْعَقِيصَتَيْنِ**[226] **دَخَلَ الجنة**» وفي رواية البخاري «**أفلح إن صدق**» [227]

وكأنه يقول لأصحابه من التزم المنهج الذي استفسر عنه الأعرابي، فاقتصر على فرائض الإسلام، وأحل ما أحله الله، وحرم ما حرمه الله، فهو من أهل الجنة.

بعد التأمل فيما جرى من حوار ضمام مع النبي -صلى الله عليه وسلم- نجد صورة مضيئة لبيئة العهد النبوي في المدينة، والجو العام لمجلس الصحابة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كل من الأصحاب في نفسه تساؤلات واستفسارات عن كثير من شؤون الرسالة التي آمنوا بها، ومازالت تفصيلات كثيرة منها يحبون فهمها، وكشف الغطاء عن مبهمها، لكنهم يهابون مقام النبوة، ويخشون أن يضيق رسول الله بكثرة أسئلتهم؛

كيف لا يكفون عن السؤال وقد سمعوا قول الله -عز وجل- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ** ﴾[228]

لذلك يترقبون الأعراب الذين ليس لهم عهد بالأدب بين يدي رسول الله، ويعلمون أن النبي يعذرهم لجهلهم، فيصبر عليهم، ويترفق بهم، ويجيبهم على كل ما يخطر ببالهم من تساؤلات.

ولعله يضيق بنا المقام عن ذكر الكثير من طرائف وفود الأعراب وأسئلتهم.

لكن وفود "ضمام" كان له الأثر الأبلغ في نفوس الصحابة - رضوان الله عليهم- حتى عبروا عن مكانة هذا الوافد، وأهمية أسئلته بأنه أحسن الوفود مسألة، وأصدقها حديثًا، لأنه أسس لمنهج واضح في رسالة الإسلام السهلة الميسرة.

---

[226] العَقِيصَةُ: الضفيرةُ. يقال لفلان عَقِيصَتانِ. وعَقْصُ الشعرِ: ضَفْرُهُ ولَيُّهُ على الرأس. انظر: الجواهري، *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية* ج3،ص1046

[227] البخاري، صحيح البخاري، رقم: 46، ج1، ص25، والسهيلي، *الروض الأنف في شرح السيرة النبوية*، ج7، ص 396، والحلبي، *السيرة الحلبية*، ج3، ص309، والصالحي، *سبل الهدى والرشاد*،ج9، ص227.

[228] سورة المائدة: 5/101.

حيث بشر النبي-صلى الله عليه وسلم- أصحابه بالنجاة والفوز بالجنة إن عملوا بما ورد في حواره مع الوافد، فقال: « **إِنْ صَدَقَ ذُو الْعَقِيصَتَيْنِ دَخَلَ الجنة**»

ثانيًا- مفاخرة الوفود بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفد الثلاثة من سادة بني تميم على رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وهم: قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ، وَالزِّبْرِقَانُ بْنُ بَدْرٍ، وَعَمْرُو بْنُ الْأَهْتَمِ.

تقدم الزِّبْرِقَانُ وعرف بنفسه مفتخرًا، فَقَالَ:

" يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا سَيِّدُ تَمِيمٍ، وَالْمُطَاعُ فِيهِمْ، وَالْمُجَابُ فِيهِمْ، أَمْنَعُهُمْ مِنَ الظُّلْمِ فَآخُذُ لَهُمْ بِحُقُوقِهِمْ، وَهَذَا يَعْلَمُ ذَاكَ." وأشار إلى عَمْرو بْنَ الْأَهْتَمِ.

أراد الزبرقان أن يحظى باحترام رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، وادعى أنه سيد قومه الآمر الناهي فيهم، وأشهد صاحبه ليزكيه ويمدحه أمام النبي عليه السلام.

فوافقه صاحبه عمرو وأثنى عليه، بصفات ترفع من قدره، وتعلي من شأنه فقال: **" وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ لَشَدِيدُ الْعَارِضَةِ[229]، مَانِعٌ لِجَانِبِهِ، مُطَاعٌ فِي نَادِيهِ".**

أثنى عمرو على صاحبه بما هو أهله، فوصفه بأنه جلد قوي في جسمه، يحمي الذمار، ويجير من استجار، ولا ترد كلمته في قومه.

كلمات قليلة موجزة، لخصت صفات جمة محمودة لصاحبه؛ وكأن الزبرقان لم يعجبه إيجاز صاحبه في إطرائه، وظن أنه يحسده لمنزلته في قومه، وينافسه عند النبي في مكانته.

فغضب وقال: **"وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ عَلِمَ مِنِّي غَيْرَ مَا قَالَ، وَمَا مَنَعَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ إِلَّا الْحَسَدُ "**.

لقد رأى نفسه فوق ما وصف صاحبه، وأنه غمطه حقه، وحط من قدره، فاتهمه بالحسد والمنافسة؛ فثارت ثائرة عَمْرو، وقلب ظهر المجن، وراح يذم الزبرقان بعدما مدح، ويصفه بأقذع الصفات، وأقبح الخصال، فاتجه إليه وخاطبه قائلاً: **" أَنَا أَحْسُدُكَ؟!. فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَئِيمُ الْخَالِ، حَدِيثُ الْمَالِ، أَحْمَقُ الْمَوَالِدِ، مُضَيِّعٌ فِي الْعَشِيرَةِ"**

طعن في خؤولته، واتهمه بحدوث النعمة والغنى بعد فقر، ونال من منبته، واتهم أمه بالحمق والسَّفَه، وأنه مضياع للوُدِّ، ولا يرعى الذمام.

---

[229] فُلانٌ شَدِيدُ العَارِضَةِ، أَيْ ذُو جَلَدٍ وصَرَامَةٍ. انظر: الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: عرض).

هنا دهش رسول الله لما سمع من الرجل، الذي مدح قبل قليل، فأَعزَّ ورفع، ثم ذم فأذل وأخضع؛ ففطن عمرو لما اعترى النبي من الدهشة والعجب، فأراد أن يبرئ نفسه من الزَّلل، ولسانه من الكذب، فقال: **" وَاللَّهِ - يَا رَسُولَ اللَّهِ- لَقَدْ صَدَقْتَ فِيمَا قُلْتَ أَوَّلًا، وَمَا كَذَبْتَ فِيمَا قُلْت آخِرًا، لَكِنِّي رَجُلٌ رَضِيتُ فَقُلْتُ أَحْسَنَ مَا عَلِمْتَ، وَغَضِبْتُ فَقُلْتُ أَقْبَحَ مَا وَجَدْتَ، وَوَاللَّهِ لَقَدْ صَدَقْت فِي الْأَمْرِيْنِ جَمِيعًا"**[230]

وهنا يتبسم رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - متعجبًا من فصاحة الرجل وحسن بيانه، ويقَولَ مقررًا حقيقة إنسانية، غدت مثلًا سائرًا: «**إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا، إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا**»[231]

إنه حُسْنُ البيان الذي يُعجِبُ الإنسان، ويعمل في شعوره وعاطفته عمل السحر،
لما فيه من بيان الإقناع، ولذيذ الإمتاع.

ثالثاً: الوفود على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب232

ومن أطرف الوفود في الإسلام، وفود عَمْرو بْن معدي كرب الزبيدي[233] الذي قدم المدينة، ودخل عَلَى عُمَر بْن الخطاب - رضي الله عنه - بعد القادسية، التي كان سعد بن أبي وقاص قائد المعركة فيها، وهي التي قصمت ظهر الفُرْسِ، ولم تقم لهم بعدها قائمة، وكان عمر قد أقر سعداً عاملاً له على العراق، وأراد أن يعلم أخبار عامله هناك. فسأل عَمرًا عن سَعْد وعن رضاء الناس عنه فقال:

---

[230] محمد بن عبد الله النيسابوري، *المستدرك على الصحيحين* (بيروت: دار الكتب العلمية، 1990م)، رقم 6568، ج3، ص710، و ابن كثير، *السيرة النبوية لابن كثير*، نشر:دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت1976م، ج 4، ص81.

[231] النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج3، رقم 6568، ص710.

[232] انظر الخبر مفصلًا في: البَلَاذُري، أحمد بن يحيى، *فتوح البلدان*، نشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت1988 م، ص274، وانظر: أحمد بن يحيى البلاذري، *أنساب الأشراف* (القاهرة: دار المعارف، 1959م)، ج3، ص293-294.

[233] أبو ثور عمرو بن معدي كَرِب الزَّبيدي: من أنجد فرسان العرب، وأشدهم بَأساً وأنكاهم للعدو، وكان كل فارسٍ من العرب يُدعى فارس بني فلان إلا عَمْراً فكان يقال له: فارس العرب، له وقائع وغارات مشهورة ظفِر في أكثرها. وأسر من الفرسان أكثر من أن يحصى، أسر عنترة العبسي ومَنَّ عليه. انظر: نشوان بن سعيد اليمني، *شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم* (بيروت: دار الفكر المعاصر، دار الفكر دمشق1999م)، ج 9، ص5800.

"تركته يجمع لهم جمع الذَّرَّة، ويشفق عليهم شفقة الأم البرة، أعرابي في نَمِرَتِه[234]، نبطي في جِبايته، يقسم بالسوية، ويعدل في القضية، وينفذ بالسرية".

لقد وصف سعدًا وصفًا يملأ القلب إجلالًا واحترامًا!، كيف لا وقد شبهه بالنمل الذي لا يكل ولا يمل عن جمع المؤونة، ويحرص على الدقيق والجليل منها، فهو لايفرط، ولا يسرف ولا يبذر. أما معاملة الرعية، فلا تسأل عن عطفه وحنانه، فهو كالأم الرؤوم الشفوقة، التي ترعى أبناءها وتُعنى بهم، أما عن زهده في المأكل والملبس، فهو متواضع يرتدي خشن الثياب، كساؤه ككساء الأعراب، بسيط الهيئة والمظهر، ما ينم عن زهد وتواضع؛ وأما الجباية فحدث ولا حرج عن دقة حساباته، ومبالغته في الاستقصاء، كمثل النبطي الذي يضرب به المثل[235]؛ فهو فِي جِبَايَةِ الخَرَاجِ وعِمَارَةِ الأَرَاضِي، كالنَّبَطِ حِذْقاً ومَهَارَةً[236].

وزاد في مدحه، فوصفه بالعدل في العطاء، لا يفضل ذا جاهة أو غنى، على ذي فاقة أو مسكنة، وإذا قعد لفصل القضاء، فلا تسل عن قسطه وإنصافه، فلا تفاضل عنده بين المتخاصمين، فالعدل عنده أساس الحكم، والكل سواسية في فصل القضاء.

وعلاوة على ذلك كله فهو لا يغفل الجهاد، ولا يقعد عنه، بل يرسل السرايا في كل الأنحاء، لحماية الثغور وقتال الأعداء.

تبسم عمر ونظر إلى عمرو نظرة ارتياب وقال له: **" كأنكما تقارضتما إلينا"**

إنها عبقرية الفاروق وبُعْدُ نظره، فقد كان سَعْد أرسل كتابًا إلى عمر، يثني فيه عَلَى عَمرو ويزكيه، من قبل أن يصل المدينة.

فأفصح عمر عن ارتيابه بالإطراء والمديح الذي أسرف فيه عمرو، فها هو سعد يسبقه بتزكية لعمرو، وعمرو لا يقصر قي تزكية سعد. لذلك لم يكتم الفاروق ماحاك في صدره من شك، حيث صرح بقوله: **" كأنكما تقارضتما إلينا"** كأنما تواصيتما بالإطراء والتزكية، يكافئ أحدكما الآخر.

شعر عمرو بالحرج فاطرق قليلًا ثم قَالَ: **"كلا يا أمير الْمُؤْمِنِين، ولكني أنبأت بما أعلم"**.

---

[234] النمرة: كساءٌ أسودُ تلبسه الأعراب، انظر: الحسن بن عبد الله العسكري، *ديوان المعاني* (بيروت: دار الجيل، د.ت)، ج2، ص54.

[235] انظر: الزبيدي، *تاج العروس*، ج20، ص 132.

[236] والنَّبَطُ: جِيلٌ يَنْزِلُونَ بالبَطَائحِ بَيْنَ العِراقَيْنِ، أو يَنْزِلُون السَّوَادَ. انظر: الزبيدي، *تاج العروس*، ج 20، ص131.

وساد جَوٌّ من الصمت عقب ذلك، فأراد عمر أن يطيب خاطره، ويسري عنه، وكان يحبه ويكرمه، ويعترف له بالفروسية والسيادة.

فقَالَ: **" يا عَمْرو: أَخْبَرَنِي عَنِ الحرب".**

لعل الفاروق لايقل خبرة بالحرب وفنونها عن عمرو، ولكنه يدرك ما لعمرو من تجربة فروسية، وممارسة قتالية، وشغف بمقارعة الأقران، ومنازلة الفرسان؛ فأحب أن يجامله ويسايره، فسأله عن الحرب بشكل عام، وكأنه فتح على عمرو باباً من أبواب السرور والانشراح بالحديث عن الحرب وفنونها، فأخذ يصفها ويقول: **" مُرَّةُ المَذاق، إذا قامت عَلَى ساق. من صبر فيها عُرِف، ومن ضَعُف عنها تَلِف."**

وصف دقيق، وتعبير أنيق، وظف فيه عمرو فنون البيان والبديع، ليضفي على أسلوبه جمالًا بلاغيًا، دلَّ على حنكة في الفروسية، وخبرة قتالية، لا يساميه أحد في ذلك.

فالحرب كريهة للنفس البشرية، لأنها تزهق النفوس والأرواح، وتورث الأحزان والأتراح، فلا أحد يشتهيها أو يرغب فيها، ولكنها إذا نشبت، وحمي وطيسها، فالصابر على حَرِّ لظاها، ينال شرف السبق في المجد والرفعة، أما الخَوَّار في ميدانها ومضمارها، فتعركه عرك الرحى بثفالها، وتورده موارد مناياها.

أعجب الفاروق بوصف عمرو، وأراد أن يستزيده فيما يعلم من أدوات الحرب والقتال، ويستثيره للحديث عما يحب من مفرداتها، فقال له: **" فأخبرني عَنِ السلاح"**

لقد عمم الفاروق السؤال، ولم يخصص، فأي السلاح يريد التفصيل في وصفه؟ فبادره عمرو طالباً التحديد، ليسهب له في الوصف والبيان، فقَالَ:**" سل يا أمير الْمُؤْمِنِين عمَّا شئت منه"**، فأخذ عمر بتفنيد آلة الحرب وسلاحها، وبدأ بأهمها في القتال، فقَالَ: **"الرمح"**، قَالَ: **" أخوك وربما خانك"**.

فالرمح ملازم للفارس مقترن به لا يفارقه كأخيه، وهو خير سلاحه وعتاده، ولكنه ربما انقصف، فأخلف ظن صاحبه، ولربما نبا ولم يحقق هدفه ومطلوبه، وكلُّ مَاغيَّرك عَن حالك فقد تَخَوَّنَكَ.

ثم سأله عن النبال التي يتراشقها الفرسان فيما بينهم، فقال: **"فالسِّهام"؟**

فأجاب إجابة الخبير المحنك الذي حلب أشطر الدهر، فخبر نوائبه ودواهيه، فقال في السهام: **"هي رسل المنايا تخطئ وتصيب"**.

فشبه السهام بالرسل التي تحمل صنوف الموت والهلاك، وتوصلها لغاياتها، وقد تتخلف عنها، فتخرم مقاصدها، فهي تخطئ وتصيب.

واستمر عمر بالسؤال عن أدوات الحرب والقتال فقال: **" فالترس"**

ذاك الذي يحتمي به الفارس من ضربات السيوف وطعنات الرماح، فأجاب على البديهة: **"ذاك المجن عَلَيهِ تدور الدوائر"**.

فهو الذي يستجن به الفارس ويحتمي، وهنا تظهر مهارة الفرسان وقدرة الأبطال على المناورة والمداورة، ينتظر القرن من قرنه فرصة سانحة ليسدد ضربته، ويصرع خصمه.

ثم سأله عن **" الدرع"** فأجاب إجابة شافية، بصورة وافية فقال: **"مشغلة للفارس مَتْعبة للراجل، وإنها لحصن حصين"**

إنها سربال من حديد ثقيل الحمل، عبء على الفارس في حلبة القتال، تشغله عن المناورة في الميدان، ومجاولة الأقران، أما الراجل فيرهقه حملها إذا خطا، ويتعبه ثقلها إذا مشى؛ ولكنها تحمي جسد المحارب من الطعان، وتصون نفسه من المهالك، فهي حصن منيع، وركن شديد، يتقي بها المقاتل ضربات الأقران، وطعنات الفرسان.

وكان أخر ما سأل عنه الفاروق **"السيف "** فلما قال له: **" والسيف"** هنا تجلى البسط والسرور لدى عمرو وأراد أن يُفَصِّل ويسترسل وبدأ الإجابة بما اعتاده في الجاهلية من محط كلام فقال: **" هناك ثَكَلَتْكَ أُمُك"** أراد أن يصف السيف بالمكانة العالية الرفيعة لدى الفارس المحارب فقال: **"هناك..."**.

فرد عليه عُمَر على الفور ومن غير لبث: **" بل ثكلتك أمك"**[237].

وكأن عمر عدها شتيمة، لأنه دعا عليه بالموت والهلاك، فكان رده حاسمًا قاطعًا

وهنا صمت عمرو بن معد يكرب، وأطرق هنيهة، ثم نظر إلى عمر معتبًا وقال: **"الحُمَّى أضرعتني إليك"** [238]

---

[237] العسكري، *فتوح البلدان*، ص274، والبلاذري، *أنساب الأشراف*، ج3، ص293- 294.

[238] أَضْرَع فُلاناً: أَذَلَّه، وَفِي حَدِيث عليٍّ رَضِي الله عَنهُ: أَضرعَ اللهُ خُدودَكُم. أَي أَذَلَّها، وقيلَ: كانَ مَزْهُوَّاً فأَضرَعَه الفَقْر. انظر: الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: ضرع).

قال أبو عبيد: ومن أمثالهم في الذل بعد العز: " الحمى أضرعتني إليك " إذا ذل للحاجة تنزل به. وقالوا في الذي يتعذر ثم يلين: "الحمى أضرعتني إليك". انظر: علي بن سعيد الأندلسي، *نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب* (عمّان: مكتبة الأقصى، د.ت)، ص723.

وكأنه أراد أن يقول: الاسلام قيدني لك وأذلني، ولو كنتُ في الجاهلية ما كلمتني بهذا الكلام.

"الحمى أضرعتني إليك" إنه مثلٌ تضربهُ العرب عند الشيء يضطرها إلى الخضوع.

عمرو السيد المطاع الفارس المغوار، يخاطب بهذا الخطاب؟

ما كان يقصد شتيمة أمير المؤمنين، ولكن أمير المؤمنين شتمه، فهل إلى رد من سبيل؟ كلا!

فلوكان زمن الجاهلية، وأيام العنجهية، لكان الرد المناسب حاضرًا، ولكن الإسلام الذي اعتنقه عمرو عن قناعة ورضا، ومكانة أمير المؤمنين خليفة رسول الله، ومقامه الذي يُجِلُّه ويُقَدِّره المسلمون؛ كل ذلك يحجزه عن الرد، ويمنعه من الإجابة.

هذا الحوار بين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وبين الفارس المجرب عمرو بن معد يكرب يرسم لوحة فنية لملامح الصحابة الكرام، وتعاملهم فيما بينهم.

يبرز لنا عبقرية عمر وبعد نظره وحنكته وذكائه، وأسلوب تعامله مع الوفود، كما يُجَلِّي لنا ملامح شخصية الفارس العربي الذي لا يعرف الذل، لكنه يخضع لولي الأمر وإن نالته منه إهانة أو شتيمة.

لذلك يمكننا القول: بأن تماسك مجتمع الصحابة وتآلفهم، قد أسهم في نجاحاتهم المتتابعة لفتوح البلدان، ونشر الإسلام.

المبحث الثالث: موازنة بين الأثر الإعلامي لكل من الشعر والنثر في أدب الوفود.

إن لكل من الشّعر والنثر في الأدب العربي أثرًا في نفس السامع والقارئ ولكل من الاتجاهين مكانته عند العرب؛ وقد اختلف النقاد في أيهما الأفضل، فمنهم من يقول: إنّ الشّعر أفضل من النثر، ومنهم من يقول: إن النثر أفضل من الشّعر، ولكل منهما خصائص تميّزه عن الآخر، ويمكن تلخيص الفرق بينهما فيما يلي:

1- الشّعر مقيّد بالوزن والقافية ويكلّف صاحبه حث الفكر، وعصف الذهن ليضبط في القصيدة وزنها وقافيتها، إلى جانب المعاني والأفكار، والتصوير والخيال، حيث يحرص الشاعر على

توفيرها في قصيدته، ليتيح لمن يتلقاها الإقناع والإمتاع فيما يسمع أو يقرأ؛ بينما نجد الناثر غير مقيّد بوزن أو قافية، ومن ثَمَّ فهو لا يتكلّف ما يتكلفه الشاعر، ولربما ارتجل خطبة أو وصية، أو نطق بحكمة، فأجاد وأفاد.

2- إذا كان الشّعر ديوان العرب حيث دُوِّنت فيه مآثرهم ومفاخرهم وأيامهم وأمجادهم. كذلك لا تُنسى خطب البلغاء ووصايا الحكماء؛ من أمثال خطب قُسِّ بن ساعدة[239]، وسحبان بن وائل [240]، ووصايا ذي الأصبع العدواني لولده[241] وأمامة بنت الحارث الشيبانية لابنتها[242].

فما زالت آثارهم ترن في أذن الزمان ومسامع أهله، يعجبون من حكمهم وأمثالهم، ويدهشون من فصاحة أقوالهم، وبلاغة أخبارهم، ومن جميل أسجاعهم، وتناسق عباراتهم.

3- وإذا كان الشعر يخاطب في المقام الأول العاطفة والشعور والوجدان، فإن النثر يخاطب أولاً العقل والفكر والمنطق .

4- مدار الشعر على مخاطبة العاطفة بالتأثير والإمتاع، ومدار النثر على مخاطبة العقل بالحجة والبرهان والإقناع.

5- يحشد الشاعر في شعره الصور الخيالية، والمحسنات البديعية، ويعنى الناثر بالأدلة المنطقية، والحجج والبراهين العقلية.

ولأدب الوفود في كل من النثر والشعر الأثر البالغ في تبليغ الرسالة الإعلامية، التي يودُّ الوافد إيصالها، إذا وفق بالحكمة وفصل الخطاب؛ ولربما يخفق الفصيح والبليغ من الخطباء، والمطبوع الملهم من الشعراء، إذا خانه الحظ، ولم تحالفه الحكمة.

---

[239] قس بن سَاعِدَة بن عَمْرو الْإِيَادِي خطيب الْعَرَب وشاعرها وحكيمها وحليمها فِي عصره وَهُوَ أول من علا على شرف وخطب عَلَيْهِ وَأول من اتكأ فِي خطبَته على سيف أَو عَصا وَأول من قَالَ فِي كَلَامه أما بعد وأدركه رَسُول لله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قبل النُّبُوَّة وَرَآهُ بعكاظ وَكَانَ يُؤثر عَنهُ كَلَاما سمعه مِنْهُ، وَسُئِلَ عَنهُ فَقَالَ يحْشر أمة وَحده، انظر: خليل بن أيبك الصفدي، *الوافي بالوفيات* (بيروت: دار إحياء التراث، 2000م)، ج24، ص180.

[240] سحبان وائل: الّذي يضرب به المثل في البلاغة... كان خطيب العرب غير مدافع، وكان إذا خطب لم يعد حرفا، ولم يتلعثم، ولم يتوقّف. انظر: العسقلاني، *الإصابة في تمييز الصحابة*، ج3، ص206.

[241] ذو الأصبع العدواني: واسمه حرثان بن حارثة بن محرث ويقال الحارث بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن الحارث. وقيل له ذو الأصبع لأن أفعى ضربت إبهام رجله فقطعها، وهو أحد الحكماء الشعراء. انظر: الحسن بن بشر الآمدي، *المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء* (بيروت: دار الجيل، 1991م)، ص149.

[242] المفضل بن سلمة، *الفاخر*، انظر التفصيل في ص186.

ولا يمكننا أن نحكم لأحد الفريقين بالغلبة على الآخر حتى نصغي للفريقين، أيهما ألحن بحجته، وأبلغ في رسالته.

المطلب الأول: وافد النثر وخطاب العقل بالإقناع والحجة والبرهان:

إن قوام النثر في الخطاب الإعلامي الإقناع بالحجة والبرهان.

ولبلاغة الكلمة وفصاحة المنطق الأثر الكبير في تسويق الخطاب، وإنجاح مهمة الوافد.

أ- وفي المشهد الطريف الآتي دليل مقنع على نجاح مهمة الوفد، إذا تمتع برباطة الجأش، وامتلك الحكمة وفصل الخطاب، وخاطب العقل بالحجة والبرهان.

عندما يقف صبي تقتحمه العين أمام أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك[243] ويستأذن بالكلام، فيزدريه الخليفة لصغر سنه، ورث حاله، ولكنه عندما ينطق العبارة الأولى من خطابه يذهل الخليفة، بل ويذهل كل من حضر لبلاغته وفصاحته.

فلما قحطت البادية في العصر الأموي أيام هشام بن عبد الملك، واجتاحت المجاعة جزيرة العرب، قدمت الوفود من أقطارها على الخليفة، يبتغون الغوث والمساعدة، فهابوا أن يتكلموا في حضرته، وكان فيهم درواس بن حبيب، فتى لا يتجاوز السادسة عشرة سنة من عمره، له ذؤابة وعليه شملتان رثتان، وقعت عليه عينا هشام، فقال لحاجبه مغضبًا: **" ما يشاء أحد يدخل علي إلا دخل حتى الصبيان؟!"** فوثب حينها درواس بن حبيب حتى وقف بين يديه وأطرق هنيهة، ثم قال: **" يا أمير المؤمنين إن للكلام نشرا وطيّا، وإنه لا يُعرف ما في طيه إلا بنشره، فإن أذنت لي أن أنشره نشرته."**

لقد كان بارع الاستهلال في مقدمة خطبته، فأوجز الكلام، وسعى لتشويق الخليفة في نشر ما انطوى من الحاجات، فجعله يندهش من هذه العبارة الموجزة البليغة حتى قال له: **"انشر لا أبا لك "**، وكأنه أعاد النظر في تقديره لشخصية الصبي، لما سمع من حسن منطقه، وبراعة استهلاله، مع حداثة سنه، فاستحثه بالكلام بهذه العبارة التي توحي بالإعجاب والاستغراب. فقال الصبي:

---

[243] هشام بن عبد الملك بن مروان ابن الحكم أبو الوليد الأموي، بويع له بالخلافة بعد أخيه يزيد بن عبد الملك بعهد منه...." . انظر ترجمته في ابن عساكر، *تاريخ دمشق*، رقم 10061، ج74، ص22.

"إنه أصابتنا سنون ثلاث: سنة أذابت الشحم، وسنة أكلت اللحم، وسنة أنْقَت العظم، وفي أيديكم فضول أموال، فإن كانت لله ففرّقوها على عباده، وإن كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم؟ وإن كانت لكم فتصدّقوا بها عليهم، إنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ" [244].

لقد لخص حاجة القبائل للغوث والعون في زمن القحط والمحل، فكشف عن سوء الحال، بعدما انقطع الغيث لسنين ثلاث متتاليات، يبس فيها الزرع، وجف الضرع، وجاع الناس، فألجأ الخليفة إلى خيار واحد من ثلاث، جعله يقول:

"ما ترك لنا الغلام في واحدة من الثلاث عذرًا."

لقد كان للكلمة البليغة التي تكسوها الحكمة أثرًا عظيمًا في نفس من سمعها، حتى أمر الخليفة للقبائل بمائة ألف دينار توزع بينهم، وأمر لدرواس بمائة ألف درهم، لفصاحته وبلاغته وحكمته في عرض قضيته، وإذا بالخليفة يفاجأ بما هو أبلغ من الفصاحة حيث يفصح درواس عن عفة نفس ومروءة، فيقول: **"اردها يا أمير المؤمنين إلى جائزة العرب، فإني أخاف أن تعجز عن بلوغ كفايتهم."**

ويسأله هشام مستغربًا مندهشًا: **"أما لك حاجة؟"** فيجيبه بأنفة وعزة نفس**:" مالي حاجة في خاصّة نفسي دون عامة المسلمين".**

يقول من حضر المشهد**" فخرج وهو من أنبل القوم.**[245]

نجد أنَّ بلاغة الكلمة في خطاب الغلام، قد أقنعت الخليفة ودفعته للجود بوافر المساعدة للوفود المنتظرة، وجعلته يسارع بالغوث والإسعاف.

وإلى جانب جرأة الغلام وطلاقة لسانه، نلاحظ اختياره الكلمات المقنعة المعززة بالدليل والبرهان، فقد اختار كلماته بعناية فائقة، ورغم ازدراء هشام له، وعدم الرغبة في سماع مقاله بداية، فإنه لم يندهش من هول الموقف وجلال المكان؛ بل نطق بحكمة بالغة استهل بها خطابه، حيث جعل للكلام طيًا ونشرًا، واستأذن لنشر ما انطوى. مادفع الخليفة للاستواء في جلسته ويصغي لكلامه، بل ويقول له معجبًا: **" انشر لا أبا لك!"**[246]

---

[244] اقتبسها من قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ (يوسف: 12/88).

[245] ابن حمدون، *التذكرة الحمدونية*، ج2، ص22-23.

[246] تقَوْلِ الْعَرَبِ لَا أَبا لَكَ: مَعْنَاهُ لَا كافيَ لَكَ. وَقَالَ غَيْرُهُ: مَعْنَاهُ أَنك تَجُرُّنِي أَمرك حَمْدٌ ، وَقَالَ الْفَرَّاءُ: قَوْلِهِمْ لَاأَبَا لَك، كَلِمَةٌ تَفْصِلُ بِها الْعَرَبُ كلامَها. ابن منظور، *لسان العرب*، (مادة أبي).

بدأ درواس ينشر ما انطوى من درر الكلام، فذكر السنين الممحلة التي مرت بالعرب، وما نالهم فيها من عناء ولأواء، " **فسنة أذابت الشحم، وسنة أكلت اللحم، وسنة أنقت العظم،** " استخدم الترتيب المنطقي في عرضه؛ ففي السنة الأولى من القحط استهلكت المدخرات، ونفدت المؤن المختزنة من زمن الخصب، وفي السنة الثانية اجتاحتهم المجاعة والفاقة، وفي السنة الثالثة أتت على الحرث والنسل، ولم تبق لهم إلا الأثر بعد العين.

لقد ساد المنطق خطاب درواس، بغية إقناع الخليفة بتلبية المطالب، وتحقيق المقاصد، رغم تطريز الخطاب بالقليل من الخيال، حيث استعار للكلام صفة الكتاب الذي يُطوى فيُخفي ما في صُحُفِهِ من أسرار، ويُنشر فتنكشف ما احتوت صُحُفُهُ من أخبار، كما استعار لتصوير السنة الممحلة صفات الوحش الكاسر الذي يفترس أهل البادية، فيأتي على اللحم والشحم والعظم.

ثم ينتقل بمهارة فائقة إلى عرض الحاجة، وطلب المساعدة؛ فيفترض أن الخليفة يمتلك المال الوفير، والخير الكثير، فبيت مال المسلمين بيده، وله السلطان عليه، ومطلق الحكم فيه.

ثم يعرض الاحتمالات الثلاثة لحيازة هذا المال: فإما أن يكون المال مال الله، فلا ينبغي أن يحبس عن عباده، وإما يكون المال للناس، فَلِمَ يُحبس دونهم؟، والاحتمال الثالث، إن كان المال لأمير المؤمنين، فليتصدق به على المحتاجين فإن الله يجزي المتصدقين.

وهنا ينحصر الأمر، فلا سبيل إلى الاعتذار، ولا مناص للرد أو المنع؛ فما كان من هشام إلا أن قال: **"ما ترك لنا الغلام في واحدة من الثلاث عذرا."** ثم أمر بإمداد القبائل بالمال، وأمر للغلام بجائزة كبيرة تقديرًا له وإكرامًا. ولكن الغلام فاجأ الخليفة بما هو أعجب من البلاغة والفصاحة والعقل؛ فحينما قدمت له الجائزة طلب من الخليفة أن يردها في المال العام، ولما سأله عن حاجته أعرب عن إيثار عامة المسلمين على خويصة نفسه.

وهنا عَظُمَتْ مكانة الغلام في نفس الخليفة، بل في أنفس حاشيته، وكل من حضر من الوفود. وخرج من المشهد، ولا يُرى أنبل من شخصيته.

ب- ومشهد آخر يتجلى في الخطاب الإعلامي أثر الكلمة الرصينة، والحكمة البالغة، حيث يستطيع الوافد برباطة جأشه، وجرأة جَنَانِه أن يخاطب عقل الموفود عليه، فيقنعه بالحجة والبرهان:

حينما يقف شاب من تميم بين يدي الحجاج، مع جماعة حكم عليهم بضرب أعناقهم، لتمردهم وخروجهم على الحاكم؛ وبعدما قُتِل السواد الأعظم منهم، ووصل السيَّافُ إلى التميمي لينفذ فيه القضاء، رفع رأسه برزانة ووقار وقال:

" أيها الأمير، والله لئن أسأنا في الذنب ما أحسنت في العقوبة؛ فقال الحجاج: وكيف ذاك؟ قال: لأنّ الله تعالى يقول: ﴿فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقابِ حَتَّى إِذا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِداء ...﴾[247]، فو الله ما مننت ولا فاديت."

وبهذا الخطاب يضع التميمي الحجاج في موقف لا يملك سوى الانصياع لحكم الله

فيقول: **أفٍّ لهذه الجيف، أما كان منهم من يحسن مثل هذا؟ وأمر بإطلاق من بقي، وعفا عنهم."** [248]

لقد سفك الحجاج دماء الكثيرين ممن سيقوا الى الموت بين يديه، ورهبة الموت تلجمهم وتعقد ألسنتهم، وكأني بهم قد اصطفوا أرتالاً، كل منهم ينتظر دوره لتضرب عنقه، حتى تسنى لهذا الفتى أن يقول هذه الكلمة، التي تركت أثرها في نفس أعتى سفاح في تاريخ الإسلام.

لقد قَدَّم خطابًا إعلاميًا تسوده الحجة التي لا يَفطن إليها من كان في موقفه، ولكنه برباطة جأشه، وفصاحة منطقه، استطاع أن يعرض على الأمير معادلة منطقية، من مسلمات أحكام الإسلام، مدعومة بالبرهان القرآني؛ وكأنه أراد أن يبين له حكماً شرعياً للتعامل مع الأسرى وإن كانوا كفاراً، في لحظة حاسمة، أيقظت في نفس الحجاج العدل والإنصاف.

فقد أقر الأسير بالذنب، واعترف بالجرم، لأن خروجهم على الحاكم جرم لا يغتفر؛ إلا أنه كان يمتلك حجة بالغة تقنع الخصم بالصفح والعفو.

حيث ساق الآية القرآنية، ليضع الحجاج أمام خيار صعب في الحكم، فالمنتصر بعد إثخانه في العدو، وبعد كسر شوكته، يواجه مع الأسير قول الله تعالى :

﴿ فإما منًا بعدُ وإما فداءً﴾

---

[247] سورة محمد: 47/4.

[248] النويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، ج8، ص172، وابن عبد ربه، *العقد الفريد*، ج 2، ص47، و عبدالله بن مسلم الدينوري، *عيون الأخبار*(بيروت: دار الكتب العلمية، 1418هـ)، ج1، ص179، والجاحظ، *البيان والتبيين*، ج1، ص217.

وكانت استجابة الحجاج سريعة ومدهشة؛ حيث أنحى باللوم على من قتل من قبل فقال كلمته: " **أفٍّ لهذه الجيف، أما كان منهم من يحسن مثل هذا؟ ".**

هَلَّا سبق بهذه الحجة أول من ضربت عنقه من قبل؟ لو قالها الأول منهم ما أريقت قطرة دم ممن سبق إليه السيف!

لقد أمر الحجاج بإطلاق سراح من بقي من الأسرى، وعفا عنهم. بفضل هذه العبارة الحكيمة الجريئة.

تتجلى شخصية الوافد الذي يمتلك الحجة والحكمة في خطابه، الواثق بمقدور الله وحكمه؛ فتقنع حجته خصمه، وتلزمه الوقوف عند حده.

يتبين لنا من قراءة المشهدين السابقين من نثر الوفود، أثر الكلمة الرصينة، والعبارة البليغة، المدعومة بالحجة والبرهان، ومدى فعلها في ذهن الموفود عليه، حتى يبلغ به الإقناع للمطاوعة والاستجابة لخطاب الوافد.

ولا يتسنى هذا الأمر إلا لمن أوتي الحكمة وفصل الخطاب، " فالمرء بأصغريه لسانه وقلبه" [249]

المطلب الثاني: وافد الشعر وخطاب العاطفة والشعور

إن قوام وفد الشعر مخاطبة الشعور، وإثارة الوجدان والعاطفة، بما يضمن للوافد التأثير في قرار الموفود عليه، فتقضى الحاجات، وتحقق المقاصد والغايات.

من أطرف ما يروى في أدب الوفود، ذاك الوافد المحكوم عليه بالإعدام حيث يقف بين يدي الخليفة، شامخًا غير هائب ولا مكترث، وهو ينتظر ضرب عنقه، وإزهاق روحه، فالجريرة عظيمة، والذنب جلل، لا ينمحي ولا يغتفر.

أ- إنه تميم بن جميل الذي خرج على الخليفة المعتصم بن هارون[250]، وتمرد عليه، ثم أدركته الجنود، فتغلبت عليه، فاعتقل وسيق أسيرًا، ليقف بين يدي غريمه، وقد أُحضر السيف والنطع

---

[249] الميداني، *مجمع الأمثال*، ج2، ص294.

[250] هو مُحَمَّدٍ الْمُعْتَصِمِ بِاللَّهِ بْنِ هَارُونَ الرَّشِيدِ بْنِ الْمَهْدِيِّ بْنِ المنصور العباسي، يقال له المثمن، لأنه ثامن ولد العباس، وأنه ثَامِنُ الْخُلَفَاءِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، وَمِنْهَا أَنَّهُ فَتَحَ ثمان فتوحات، وَمِنْهَا أَنَّهُ أَقَامَ فِي الْخِلَافَةِ ثَمَانِيَ سِنِينَ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ.(ت: 227 هـ)، انظر:ابن كثير، *البداية والنهاية*، ج10، ص324.

استعدادًا لضرب عنقه؛ بيد أنه أدهش الخليفة وكل من حضر بموقفه العجيب، حيث بدا قسيمًا وسيمًا مبتسم الثغر، رابط الجأش، غير هائب ولا مكترث بما ينتظره.

وطفق الخليفة يصعد فيه النظر، فأعجبه منظره، وأراد أن يستجلي مخبره، فقال له: **" يا تميم، إن كان لك عذر فأت به"** فما كان من تميم إلا أن حمد الله وأثنى عليه، ثم أخذ يعتذر من خطيئته بكلمات رصينة وعبارات موزونة موجزة

أُرَى المَـــوتَ بَـــيْنَ السَّـــيفِ والنَّطَـــعِ كَامِنًـــا ... يُلاحِظُنِـــي مِـــنْ حَيثُمَـــا أَتَلَفَّـــتُ

وأَكْبَـــرُ ظَنِّـــي أَنَّـــكَ اليَـــوْمَ قَـــاتِلِي ... وأَيُّ امـــرِئٍ مِمَّـــا قَضَـــى اللهُ يَفْلَـــتُ؟!

ومَـــنْ ذَا الَّـــذِي يُـــدْلِي بِعُـــذرٍ وَحُجَّـــةٍ ... وَسَـــيْفُ المَنَايَـــا بَـــيْنَ عَيْنَيْـــهِ مُصْـــلَتُ

يَعِـــزّ عَلَـــى أَبْنَـــاءِ تَغْلِـــبَ مَوْقِـــفٌ ... يُسَـــلَّ عَلَـــيَّ السَّـــيْفُ فِيـــهِ وَأَسْـــكُتُ

وَمَـــا جَزَعِـــي مِـــنْ أَنْ أَمُـــوتَ وَإِنَّنِـــي ... لَأَعْلَـــمُ أَنّ المَـــوْتَ شَـــيْءٌ مُؤَقَّـــتُ

وَلَكِـــنّ خَلْفِـــي صِـــبْيَةً قَـــدْ تَـــرَكْتُهُمْ ... وَأَكْبَـــادُهُمْ مِـــنْ حَسْـــرَةٍ تَتَفَتّـــتُ

كَـــأَنِّي أَرَاهُـــمْ حِـــيْنَ أَنْعَـــى إِلَـــيْهِمُ ... وَقَـــدْ خَمَشُـــوا تِلْـــكَ الوُجُـــوهَ وَصَـــوَّتُوا

فِـــإِنْ عِشْـــتُ عَاشُـــوا خَافِضِـــينَ بِغِبْطَـــةٍ ... أَذُودُ الـــرَّدَى عَـــنْهُمْ وَإِنْ مِـــتُّ مُوّتُـــوا

وَكَـــمْ قَائِـــلٍ: لَا يُبْعِـــدُ اللهُ دَارَهُ ... وَآخَـــرُ جَـــذْلَانٌ يُسَـــرُّ وَيَشْـــمَتُ [251]

فلما سمع المعتصم شعره رق له واستعبر، وتمثل بقولَ رَسُول الله - صلى الله عَلَيْهِ، وَسلم-: «**إن من الْبَيَان لسحرًا**»[252]. ثمَّ عفا عنه، من أجل صبيته الذين يرقبون رجوعه.

كانت الأبيات مؤثرة، نبعت من شعور مرهف، وعاطفة صادقة، عملت عملها، في وجدان المعتصم، فجعلته يعفو ويصفح، ويخلع عليه الخلع، ويهبه لصبيته، بل وينصبه أميرًا على شاطئ الفرات.[253] لقد كان الوافد فطنًا ذكيًا، يعرف كيف يأسر القلوب، ويثير العاطفة، ويسلب الألباب، بفصاحته وبلاغته وجمال تصويره.

---

[251] انظر: المحسن بن علي التنوخي، *الفرج بعد الشدة* (بيروت: دار صادر، 1978م)، ج4، ص90-89. والنويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، ج2، ص62- 63، وابن عبد ربه، *العقد الفريد*، ج2، ص33.

[252] انظر:السجستاني، *سنن أبي داود*، رقم: 5007، ج 7، ص354، إسناده صحيح متصل.

[253] انظر: تفصيل الخبر فيما سبق من المراجع.

فقد اختار لقصيدته البحر الطويل، ليحشد في تفعيلاته المتناوبة المتعددة كل ما يمكنه من أحاسيس ومشاعر، كما اختار القافية المطلقة، لينفث الزفرات التي تنبع من انفعالاته، وتترجم مكنون نفسه.
فأخذ يشخص الموت، ويشبهه بوحش كاسر يترصد به، ويوشك أن ينقض عليه . وأنى له أن يدلي بحجة أو برهان، أو يعبر عن موقف يتنصل فيه من التهم التي لبسته، وهو يرى بريق السيف يلوح لعينيه، ويوشك أن يخطف نَفْسه، ويزهق روحه.
ويفصح عن مكانته في قومه، ومنزلته في قبيلته، فيصور أسفهم على فقده، وتفجعهم لفراقه. ثم يعرب عن فهمه لفلسفة الموت، حيث يؤمن أن الآجال مؤقتة، لها موعد لا تستقدمه ولا تستأخره؛ فهو لا يهاب الموت، ولا يخشى الردى، ولكن الذي يَحِزُّ في نفسه، فيذيب قلبه أسى وحسرة مشهد أطفاله، أولئك الصبية الذين يسعدون بوجوده، ويشقون بفقده، يعيشون بحياته، ويموتون بموته.
ويعرض صورة مؤثرة لأولئك الصبية حينما يبلغهم خبر مقتله، وقد شقوا الثياب، وخمشوا الوجوه، وارتفعت أصواتهم بالنحيب والعويل.
ثم لا يفوته رغم مرارة الموت التي تستعر في صدره، أن يستشعر حال الناس من بعد مقتله، ما بين شامت جذل، قد سُرَّ بمصرعه، ومحب حزين، يأسف لفراقه.
كان لهذه الأبيات أثر بالغ في نفس المعتصم ونفوس من حضر مجلسه، حتى عبَّر عن دهشته ببلاغة الوافد وفصاحته، وتأثره وإعجابه بقصيدته التي عرضها برباطة جأش، وحسن منطق، إلى جانب ما حباه الله به من مظهر حسن، وسمت بَهِيٍّ.
فتمثل بقول النبي - صلى الله عليه وسلم- «**إن من الْبَيَان لسحرًا**» ما دعاه للعفو عنه، والإحسان إليه، وإكرام وفادته.
لقد استطاع تميم بخطابه أن يؤثر في شعور خصمه، فأثار عاطفته، بما حشد من صور مفعمة بالمشاعر الإنسانية الصادقة، ما أدى للتجاوز عن زلته، والعفو عن خطيئته. فنجا من الموت المحتم، بل وحاز نيل الخليفة وثقته.

ب – نموذج أخر من وفود الشعر، نلمس من خلاله أثر العاطفة الصادقة والصورة الماتعة في إثارة وجدان الموفود عليه، وقبول عذر الوافد.

إنه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، الذي طالما أحفظ رسول الله -صلى الله عليه وسلم – وأغضبه، وهو ابن عمه وأخوه من الرضاع-، لكثرة ما قال من الشعر في هجائه وهجاء أصحابه، حتى أهدر دمه؛ ولما حان فتح مكة، خشي على نفسه القتل، فجاء إلى النبي -عليه السلام- بصحبة عمه العباس -رضي الله عنه- مقرًا بخطيئته، معتذرًا إليه نادماً عما أسلف من إيذاء، معلنًا إسلامه وإيمانه.

حيث وقف بين يديه وأنشده هذه الأبيات:

لَعَمْـرِيَ إِنِّـي يَـوْمَ أَحْمِـلُ رَايَـةً ... لِتَغْلِـبَ خَيْـلُ الـلَّاتِ خَيْـلَ مُحَمَّـدِ

لَكَالْمُدْلِجِ الْحَيْرَانِ أَظْلَمَ لَيْلَهُ ... فَهَذَا أَوَانِي حِينَ أَهْدَى وَأَهْتَدِي

وَهَادٍ هَدَانِي غَيْرَ نَفْسِي وَنَالَنِي ... مَعَ اللَّهِ مَنْ طَرَّدْتُ كُلَّ مُطَرَّدِ[254]

أَصُدّ وَأَنْأَى جَاهِدًا عَنْ مُحَمَّدٍ ... وَأَدْعَى وَلَوْ لَمْ أَنْتَسِبْ مِنْ مُحَمَّدِ

هُمُ مَا هُمُ مَنْ لَمْ يَقُلْ بِهَوَاهُمُ ... وَإِنْ كَانَ ذَا رَأيٍ يُلَمُّ[255] وَيُفْنَدِ[256]

أُرِيدُ لأَرْضِيهِمْ وَلَسْتُ بِلائِطٍ[257] ... مَعَ الْقَوْمِ مَا لَمْ أَهْدَ فِي كُلِّ مَقْعَدِ[258]

لقد سكب في هذه الأبيات كل ندمه وحسرته، متعجبًا من جهله وطيشه، كيف حمل راية الشرك والضلالة، يبتغي التغلب على راية الحق والإيمان. وأنى لراية الشرك أن تسمو على راية التوحيد؟ لقد عرض صورة خيالية رائعة، حينما شبه نفسه في ضلالته وجهالته بمن يمشى في أسداف الظلمات، لا يبصر دربه، ولا يهتدي لمقصده.

وقد آن الأوان لإعلان إيمانه برسالة التوحيد، ودعوة الحق، بعدما شرح الله صدره لها، وبَصَّرهُ بها.

---

[254] وقد قيل: إنه حين أنشد رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قوله:" ونالني مع الله من طردت كل مطرد" ضرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم- في صدره وقال: «أنت طردتني كل مطرد؟ بل الله طردك كل مطرد». فقال: يا رسول الله هذا قول قلته بجهالة، وأنت أولى الناس بالعفو والحلم.

انظر: ابن كثير، *البداية والنهاية*، ج4، ص329.عبد الملك بن هشام، *السيرة النبوية لابن هشام* (بيروت: دار الجيل، 1411هـ)، ج5، ص58، والنويري، *نهاية الأرب*، ج17، ص298.

[255] اللَّمَمُ: مُحَرَّكَةً: الجُنُونُ، أَوْ طَرَفٌ مِنه، يُلِمُّ بِالإِنْسَانِ ويَعْتَرِيه، انظر: الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: لمم).

[256] الفَنَدُ بِالتَّحْرِيكِ: الخَرَف، وإِنكارُ العَقْلِ لِهَرَمٍ أَو مَرَضٍ، وَقد يُستعمَل فِي غير الكِبَرِ، وأَصْلُه فِي الكِبَرِ. والفَنَدُ: الخَطَأُ فِي القولِ والرَّأْيِ، والفَنَد: الكَذِبُ...انظر: الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: فند).

[257] لَطَّ البابَ لَطّاً: أَغْلَقَهُ. ولَطَطْتُ الشَّيْءَ أَلْصَقْتُه،... ولَطَطْتُ حَقَّهُ: جَحَدْتُه..الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: لطط).

[258] الطبري، *تاريخ الطبري*، ج3، ص51، وابن كثير، *البداية والنهاية*، ج4، ص329، وابن هشام، *السيرة النبوية لابن هشام*، ج5، ص56.

ويعود ليعجبَ كيف ناصب العداء لابن عمه وأخيه، وقد كان حريًا به أن يكون ألصق الناس به وأقربهم إليه.

لقد أيقن الآن أن كل من وقف في وجه دعوة محمد، مصاب بالخبل أو الجنون، وإن كان موصوفًا برجاحة العقل، ورزانة الرأي.

ثم يتمثل بالآية القرآنية التي تحكي اعتراف أولاد يعقوب بفضل أخيهم يوسف، بعدما كُشف الغطاء، وانجلى الأمر:﴿**تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ**﴾[259] فيرد عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-﴿ **:لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾[260]

لقد استطاع أبو سفيان أن يستل السخيمة من قلب النبي - صلى الله عليه وسلم –

بهذه الأبيات التي نبعت من عاطفة صادقة، ووجدان مفعم بالأسى، مثَّلَ فيها أسفه وندمه، وحسرته على ما فرط في جنب الله، من قبل أن يهتدي إلى نور الحق المبين، الذي طالما ناصبه العداء، وسعى في إطفائه بهجائه النبي وصحابته.

أما وقد أبصر نور الهداية، وأحس به يباشر قلبه، فقد أعلن إيمانه وتصديقه برسالة الإسلام، وانصاع للرسول الكريم الذي يحمل هذه الرسالة.

لقد حشد أبو سفيان كل ما يملك من عاطفة جياشة، ليستدر بها شفقة النبي ورحمته،

وتم له ذلك، فقد صفح عنه النبي- صلى الله عليه وسلم – بعد ذلك وسامحه، ثم قربه وأدناه.

المطلب الثالث: أي الوافدين أعلى رتبة، الشاعر أم الناثر؟

يبدو لي بعد عرض هذه النماذج من أدب الوفود نثره وشعره، أن الكلمة التي يتحلى صاحبها بالمنطق الفصيح، والحكمة المواتية، تفعل فعلها، وتؤتي أكلها في نفس الموفود عليه؛ فينال الوافد الحاجة عند الطلب، وينجو بالاعتذار من العطب، حينما يستطيع أن يقنع من وفد عليه بحاجته فيكرمه، أو يدلي بعذره، فيستل السخيمة من صدره، ويطفئ سورة الغضب من نفسه.

---

[259] سورة يوسف:12/91.

[260] سورة يوسف: 12/92.

فالوافد الناثر يخاطب عقل الموفود عليه، ويسوق الأدلة العقلية، والبراهين المنطقية ليصل إلى إقناع من يخاطبه برسالته، كي ينال مراده، وتقضى حاجته .

وكذلك الشاعر الذي يحشد الصور الخيالية، والمحسنات اللفظية، في قالب شعري ماتع، يخاطب عاطفة الموفود عليه، بغية التأثير في أحاسيسه ومشاعره؛ فيحظى برضاه، وينال مبتغاه.

ولطالما وفد الشعراء والخطباء على الأمراء والخلفاء، يمدحونهم وينالون أعطياتهم الجزيلة، لكن بعضهم قد يخونه الحظ، ولا يوفق للحكمة، فيأتي بالكلمة الرائعة في غير محلها، ويعرض الصورة البديعة في غير موضعها؛ فلكل مقام مقال، ولكل حادث حديث. فيقع المحظور خلاف المقصود، ولربما يُوَبَّخُ الشاعر، أو الخطيب ولربما يُصفع ويُطرد، فيفوته المراد، ويخسر المقصود.

أ ـ فهذا الشاعر جرير[261] يفد على الخليفة عبد الملك[262]، ويُؤذن له بالدخول بعد لأيٍ وجهد، ويقف بين يديه لمدحه، طامعًا بنيله وعطائه، ويستهل قصيدته بعبارة غير موفقة حيث يقول:

أَتَصْحُو أَمْ فؤادُكَ غَيْرُ صَاحِ عَشِيَّةَ هَمَّ صَحْبُكَ بِالرَّوَاحِ[263]

وكان عبد الملك ذواقة للشعر، فقاطعه وَرَدَّ عليه مغضبًا:

" بل فؤادك أنت غير صاحٍ" كانت صفعة شديدة لجرير، الذي لم يحسن الاستهلال.

لقد أخفق وكان غير موفق في استهلاله؛ حيث خاطب الخليفة بهذه العبارة.

فنسب إليه الغفلة، عندما استعمل كاف الخطاب وما كان قصده ذلك، ولكن الحظ خانه، والحكمة جانبته، فاستفتح بهذه العبارة.

لم يتوقف جرير عند هذه الصدمة بل امتصها متغافلاً، فلربما لا تسنح له الفرصة بعد هذه المناسبة للمثول بين يدي الخليفة، فتابع إنشاده، حتى إذا انتهى إلى قوله:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا وَأَنْدَى العَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

---

[261] جرير بن عَطِيَّة بن الخطفى وَاسم الخطفى حُذَيْفَة بن بدر ابْن سَلمَة بن عَوْف بن كُلَيْب بن يَرْبُوع، انظر: محمد بن سلّام الجمحي، *طبقات فحول الشعراء* (جدة: دار المدني، د.ت)، ج2،ص297، رقم 387.

[262] عبد الملك بن مروان بن الحكم ابن أبي العاص الأموي بويع له بالخلافة بعد أبيه مروان بعهد منه. انظر: وابن عساكر، *تاريخ دمشق*، ج37، ص110.

[263] ابن عبد ربه، *العقد الفريد*، ج1، 331، وابن عساكر، *تاريخ دمشق*، ج52، ص262.

وكان عبد الملك متكئا فاستوى جالسا، وتبسم ثم قال:**" كذلك نحن، وما زلنا كذلك".** "لقد أدهشه المديح بهذه الصورة، التي تمثل منتهى الإعزاز والإكبار، لذلك خاطب الشعراء الحاضرين بقوله**: من مدحنا منكم فليمدحنا بمثل هذا أو ليسكت!"** [264]

لقد أخفق جرير في استهلاله القصيدة حتى أغضب عبد الملك، فقاطعه وزجره، وأوشك أن يطرده من مجلسه، لكن إصرار جرير على استمراره بالإنشاد عارضًا سوء حاله، وحال أهل بيته، ثم مهارته في مدح الخليفة بوصف لم يسبقه شاعر من قبل؛ جعل الخليفة يغضي عن سقطة الابتداء، لما تضمنته القصيدة من براعة المدح في الانتهاء.

ويفد رؤبة بن العجاج[265] على أبي مسلم الخرساني[266]، ويقف ببابه منتظرًا الإذن بالدخول، فلما أبصره ناداه: **يا رؤبة**. فأجابه:

لَبَّيْكَ إذ دَعَوْتَنِي لَبَّيْكَا أَحْمَدُ رَبًّا سَاقَنِي إِلَيْكَا

الحَمْدُ وَالنِّعْمَةَ فِي يَدَيْكَا[267]

فأحس أبو مسلم أن رؤبة تجاوز حدود المدح، فأفرط وأسرف عندما جعل الحمد والنعمة في يديه، فقاطعه مستدركًا: **"بل في يدي الله تعالى".** وكان متلطفاً معه، فصحح عبارته ولم يوبخه.

ولكن رؤبة نفسه يفد على سليمان بن عبد الملك، وعنده بعض الصحابة، وقد أعد لهم الأعطيات والجوائز، فأراد رؤبة أن يتزلف للخليفة، ويكسب وُدَّه،

فأنشأ يقول:

خَرَجْتَ بَيْنَ قَمَرٍ وَشَمْسِ بَيْنَ ابْنِ مَرْوَانَ وَعَبْدِ شَمْسِ

يَا خَيْرَ نَفْسٍ خَرَجَتْ من نَفْسِ

---

[264] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[265] رؤبة بن العجاج الراجز المشهور من أعراب البصرة، انظر:ابن عساكر، *تاريخ دمشق*، رقم2195، ج 18، ص212.

[266] أبو مسلم الخُراساني هو عبد الرحمن بن مسلم الخراساني، صاحب الدعوة العباسية في خراسان، وهازم جيوش الدولة الأموية، والقائم بإنشاء الدولة العباسية. انظر: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، *سير أعلام النبلاء* (القاهرة: دار الحديث، 2006م)، ج6، ص219.

[267] ابن عبد ربه، *العقد الفريد*، ج1، ص268.

وكان عمر بن عبد العزيز جالسًا إلى جانب سليمان، فلم يستطع أن يتحمل السكوت عن الإسراف والمبالغة في المدح، فما إن سمع قوله: **" يَا خَيْرَ نَفْسٍ خَرَجَتْ مِنْ نَفْسٍ"** حتى ثارت الحمية في نفسه، وصرخ به: **" كذبت؛ ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم!"**[268]

وهل من نفس خير من نفس رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ؟ فكيف تدعي كاذبًا إطلاق الخيرية لنفس سليمان؟

فبهت رؤبة، وعمّ المجلس صمت رهيب، ولم يعلّق أحد على رد عمر.

هذه الوفود كان نصيبها النقد والصد والاستهجان، بسبب المبالغة في المدح

بيد أنَّ بعض الوفود من الشعراء لم يتسنَ له المتابعة، ولم يوفق لإكمال مديحه، حيث وضع صورة شعرية رائعة في غير موضعها، فكان مآلُهُ الصفعَ والطردَ من حضرة الخليفة، وهذا ما حدث لأبي النجم العِجْلِي مع هشام بن عبد الملك.

فحينما دخل الشعراء على أمير المؤمنين هشام [269]ومعهم أبو النّجم العجلي[270]. فقال لهم هشام: **" صفوا لي إبلًا فَقَطِّرُوهَا [271] وأوردوها[272] وأصدروها[273]، حتى كأنّي أنظر إليها"**. فأنشده الشعراء كل على سجيته، وجاء دور الشاعر المخضرم أبي النّجم، فوقف بين يدي الخليفة، وبدأ أرجوزته الرائعة بقوله:

الحَمْدُ للهِ الوَهُوبِ المُجْزِلِ أَعْطَى فَلَمْ يَبْخَلْ وَلَمْ يُبَخَّلِ

وأخذ يصف الإبل بتفاصيل دقيقة، وصور ماتعة، من ساعة ورودها في الغدو حتى ساعة صدورها عند الرواح قبيل المغرب، فأراد أن يصور الشمس عند الغروب، فقال: **"والشَّمْسُ فِي الأُفْقِ كَعَيْنِ**

---

[268] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج18، ص 218.

[269] هشام بن عبد الملك، أبو الوليد، ولد سنة نيف وسبعين واستخلف بعهد من أخيه يزيد. انظر: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، *تاريخ الخلفاء* (القاهرة: مكتبة نزار الباز،2004م)، ص180.

[270] أبو النجم العجلي اسمه الفضل بن قدامة بن عبيد بن عبيد الله بن عبدة عجل. انظر: محمد بن عمران المرزباني، *معجم الشعراء* (بيروت: مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، 1982م)، ص310.

[271] قطر الإبل والقِطارُ: أَن تَقْطُر الإبل بَعْضَهَا إِلى بَعْضٍ عَلَى نَسَقٍ وَاحِدٍ. ابن منظور، *لسان العرب*،(مادة: قطر).

[272] الوَرْدُ: الإِشْرَافُ عَلَى الماءِ وغيرِه، دَخَلَه أَو لَمْ يَدْخُلْه، وَقد وَرَدَ الماءَ وعَلَيْهِ وِرْداً ووُرُداً. الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: ورد).

[273] الصُّدُورِ، وَهُوَ الانصرافُ، أَصْدَرْنَا رِكَابَنَا. أَي صُرِفْنَ رِوَاءً، فَلم نَحْتَجّ إِلى المُقَامِ بهَا للماءِ. الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة صدر).

... " ثم سكت وأرتج عليه، فقد أراد أن يقول: " **كَعَيْنِ الأَحْوَلِ**" ثم فطن لعين هشام الحولاء، فلم يتمّ البيت .

فصرخ به هشام: " **أجز البيت**". فقال: "**كعين الأحول**".

ولم يمهله هشام ليتم القصيدة. بل قاطعه مغضبًا وأسكته، وأمر به فَوُجِيَء عنقه، وصُفِعَ قفاه، وأخرج من مجلسه. وقال لصاحب شرطته: "**يا ربيع إيّاك وأن أرى هذا**" [274]

و تعد أرجوزة أبي النجم من عيون الشعر العربي، لكن حظه المعثور أتى بالصورة الرائعة في غير محلها، فكان المقال لا يناسب المقام، فتسبب بطُرده من مجلس الخليفة، صاغرًا ذليلًا خاوي الوفاض.

ب - وكذلك وافد النثر أيضًا قد لايوفق لعرض رسالته الإعلامية

إما لافتقاره إلى الحكمة في وضع المحز على المفصل، فيأتي بالمقال في غير مقامه، وينطق بالكلام في غير نطاقه، وإما لإخفاقه في عرض رسالته الإعلامية.

فهذا عيينة بن حصن سيد بني فزارة[275]، يفد على عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، يطلب الغوث والعون لقبيلته في عام الرمادة، حيث وفدت القبائل على المدينة تستمد المعونة؛ وبعد أن يستأذن له ابن أخيه الحر بن قيس[276]، وكان من القراء الذين يدنيهم عمر، فلما أذن له وقف أمام عمر، وخاطبه بغلظة الأعراب وجفائهم، فقال:" **هِي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجَزْل، ولا تحكم بيننا بالعدل**" عندها استشاط عمر غضبًا، ورفع الدِّرة فوق رأسه، يريد أن يضربه، فيتدخل ابن أخيه الحر مسرعًا، وفي اللحظة الحاسمة، ويقول: " **يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِض عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾**[277]**. وإنَّ هذا من الجاهلين".**

وهنا يستكين عمر ويطرق عندما يسمع القرآن، وكان من أكثر الناس انصياعًا لكلام الله تعالى.[278]

---

[274] انظر: تفصيل الخبر في:علي بن الحسين الأصبهاني، *الأغاني* (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1415هـ)، ج10، ص 348، والبغدادي، *خزانة الأدب*، ج2، ص391، وابن عبد ربه، *العقد الفريد*، ج2، ص323.

[275] عيينة بْن حصن بْن حذيفة بْن بدر الفزاري. يكنى أَبَا مَالِك. أسلم بعد الْفَتْح. وقيل: قبل الْفَتْح، وشهد الْفَتْح مسلما، وَهُوَ من المؤلفة قلوبهم، وَكَانَ من الأعراب الجفاة ... قَالَ عنه رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَذَا أَحْمَقُ مُطَاعٌ- يَعْنِي فِي قَوْمِهِ...، انظر:القرطبي، *الاستيعاب في معرفة الأصحاب*، ج3، ص125.

[276] الحر بن قيس بن حصن الفزاري، ابن أخى عيينة. كان جلساء عمر بن الخطاب أهل القرآن شبابًا وكهولاً...، انظر: القرطبي، *الاستيعاب في معرفة الأصحاب*، ج1، ص404.

[277] سورة الأعراف: 119.

[278] محمد يوسف بن محمد إلياس الكاندهلوي، *حياة الصحابة* (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشروالتوزيع، د.ت)، ج3، ص312.

لقد أراد عيينة أن يوصل رسالة إعلامية، مفادها أن قومه بحاجة إلى غوث ومعونة، وهو وافدهم إلى الخليفة؛ ولكنه أخفق في تبليغ الرسالة، ولم يوفق في عرضها؛ وشتَّان بينه وبين ذاك الغلام "درواس" الذي طوى الكلام ونشره بأدب ولياقة، بين يدي هشام، ولم يترك له مجالاً للاعتذار.

إنها الكلمة ومناسبتها، فلربما كانت بليغة فصيحة، لكنها لم تكن في مكانها، ولافي زمانها، فتسببت بإخفاق صاحبها في تبليغ رسالته الإعلامية .

والآن وبعد هذه التطوافة مع وفود النثر ووفود الشعر، نتساءل: أي الوافدين وُفِّق في وفادته؟ هل كان وافد النثر أوفر حظًا، أم وافد الشعر؟

يتبين لنا بعد التأمل أن التوفيق يلازم من كان حكيمًا في عرض خطابه الإعلامي، لبقًا في إيصال رسالته، التي يريد أن يوصلها إلى الموفود عليه. إن كان الوافد ناثرًا أو كان شاعرًا.

قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [279]

[279] سورة البقرة: 2/269.

الفصل الثالث: سمات التعبير في الخطاب الإعلامي لأدب الوفود.

إنَّ التعبير هو الطريق الوحيد الذي به يفصح الوافد عن مقصده، ويكشف عما في داخله، ومكنون نفسه، ومن خلاله يبث أفكاره ومشاعره، فيعرض رسالته الإعلامية للموفود عليه، في قالب مقنع ممتع، يخاطب عقله وفكره، ويستدر عاطفته ووجدانه، طمعًا في استنجاز موعود، أو قضاء حاجة.

ويحرص الوافد على اختيار كلماته وعباراته بعناية فائقة، ليحظى بقبول من وفد عليه، وينال رضاه.

وتعد اللغة العربية من أغنى اللغات وأثراها؛ حيث تزخر بالمرادفات والصور والدلالات.

فالألفاظ الموحية، والأساليب المعبرة، والصور الخيالية الماتعة، تعد كنزًا وفيرًا للوفود؛ يتفننون في تدبيج رسائلهم الإعلامية، بانتقاء المفردات، وتلوين الأساليب، والبراعة في التصوير والتحبير.

وسنتناول في هذا الفصل الدلالات اللفظية للخطاب الإعلامي، من خلال إيحاء الكلمة المفردة ودلالتها المعنوية في السياق، وأثر ذلك في إنجاح خطاب الوفد.

وكذلك نقف على الأساليب الأدبية، وأغراضها البلاغية، ومدى توظيفها في رسائل الوفود.

ونتأمل الصور الخيالية التي يطرز بها الوافد خطابه ورسالته الإعلامية، ومدى تأثيرها في وجدان الموفود عليه.

المبحث الأول: الدلالات اللفظية في الخطاب الإعلامي لأدب الوفود.

إن الكلمة هي اللَّبِنَة الأساس التي ينبني عليها كل خطاب إعلامي؛ إن كان شعرًا أو نثرًا، في الجاهلية، أو في الإسلام؛ فإن وُفِّقَ الوافد لاختيار أحسنها، فوضعها في موضعها، بلغ بخطابه المقصود، وحقق الغاية. وإن خانه الحظ، ولم تسعفه الحكمة، خاب مسعى الوفد، ولم يبلغ المأمول.

المطلب الأول: الدلالات اللفظية في نثر الوفود الجاهلية.

من طرائف أخبار الوفود ما يترجم أثر العاطفة في صياغة الكلمة، وذلك ما رواه أصحاب التاريخ والسير، من خبر عَبِيد بن الأبرص والملك المنذر بن ماء السماء؛ حيث كان للمنذر في كل عام يومان، يوم بؤس ويوم نعيم، فمن أتاه في يوم بؤسه ذبحه وطلى بدمه الغريين[280]، ومن أتاه في يوم نعيمه أعطاه وأنعم عليه.

وإنَّ عَبِيدَ بن الأبرص[281] أتاه زائرًا، قاصدًا نيله ورفده، فصادف يوم بؤسه، وكان المنذر يحبه ويحبوه ويطرب لشعره، فلما رآه رقَّ له، وكره إراقة دمه، وساد المكانَ جوٌّ نفسي مؤثر، ثم بادره الملك بقوله:

" هلا كان الذبح لغيرك يا عَبِيد؟" إنه استفهام يوحي بالتفجع والأسى، فهو بين أمرين أحلاهما مرٌّ، يَعِزُّ عليه ذبح عَبيد، كما يربأ بنفسه أن يخترم سنة سنها، واشتهر بها.

وكان عبيد حكيمًا فصيحًا فأجابه على الفور **"أتتك بحائن[282] رجلاه"**[283]

لقد غَشَّتْ عاطفة الخوف والحزن وجدانه، فغدت كل كلمة من كلماته مصبوغة بهذه العاطفة.

فقد اختار عبارة تحمل في ثناياها ملامح الموت، فكلمة **"حائن"** تعني الهلاك المؤجل، وكأنه أراد أن يوصل له رسالة مفادها أنه يؤمن بالقدر المحتَّم، الذي يحكم الإنسان، وقد ساقه قدره إلى مقتله، من غير طلب من قاتله.

ويؤكد له المنذر مقولة القدر فيجيبه مستدركًا: **"أوْ أَجلٌ بلغ مداه"** فاستخدم كلمة الأجل ليعبر عن الموت، وكلمة المدى ليعبر عن غاية العمر ومنتهاه، وكأنه يقول له: لقد انتهى أجلك، وحانت ساعة مصرعك.

---

[280] وَهُمَا بناءَان طَوِيلَانِ، يُقَالُ هُما قَبْرُ مالكٍ وعَقِيلٍ نَديمَي جَذيمَةَ الأَبْرش، وسُمِّيا الغَرِيَّيْن لأَنَّ النُّعْمَانَ بْنَ المنذرِ كَانَ يُغَرِّيهما بدَمِ مَنْ يَقْتُلُه فِي يَوْمِ بُؤْسِه، انظر: ابن منظور، *لسان العرب*، (مادة: غرا).

[281] عبيد: بفتح العين المهملة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة، وهو شاعر مشهور، وكان في الولادة من أقران عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم. انظر: أحمد بن محمد بن خلكان البرمكي، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان* (بيروت: دار صادر، د.ت)، ج4، ص 329.

[282] حان الرجل: هلك، ابن منظور، *لسان العرب*، (مادة: حين)

[283] «أتتك بحائن رجلاه» مثل عربى قديم، قيل: قائله عبيد بن الأبرص الأسدى للنعمان بن المنذر، ويقال: إن هذا الملك هو عمرو بن هند، مضرط الحجارة. وقيل: قائله الحارث ابن جبلة، إذ هجاه الحارث بن عيف العبدى ثم وقع فى أسره. انظر: المفضل بن سلمة، *الفاخر*، ص 250- 251، و الميداني، *مجمع الأمثال*، ج 1، ص 23، ويعقوب بن إسحاق بن السكيت، *كتاب الألفاظ* (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 1998م)، ص332.

وأراد المنذر أن يسمع منه شعرًا، طالما طرب له، وانتشى عند سماعه، فطلب منه أن ينشده من شعره الذي كان يعجبه، فأجابه إجابة اختصر فيها حال الإنسان عند الشدة والضيق، كما عبَّر عن سعة تجربته في الحياة، وحكمته في مواجهة الأمور.

فقال مستنكفًا عن الإنشاد، معتذرًا بما يحول بينه وبين قرض الشعر: **"حال الجريض دون القريض[284] وبلغ الحزام الطّبيين[285]"**

فمن كان يلوح له شبح الموت، ويلمع بريق السيف لعينيه، أَنَّى له أن يقرض الشعر؟

وقد استخدم كلمة **" الجريض"** ليوحي للملك بالغصة، التي تمنعه من النطق الصحيح بالشعر الفصيح، وأتبعها بقوله: **" بلغ الحزام الطبيين"**، ليُبْلِغَ الملك رسالة تنم عن حالة نفسية صعبة، جاوزت حد الإطاقة والتحمل.

وقد انتزع من البيئة مفردات يتداولها البدو في معيشتهم، حزام الناقة، وضرعها، فإذا زلَّ الحزام عن بطنها، وانزاح حتى بلغ ضِرعيها، يوشك أن يسقط رحلها. فأصر عليه المنذر أن يسمعه، وزجره قائلًا **"أسمعني"**، فأجابه إجابة صورت ما يعتريه من عاطفة الهلع والجزع، فقال: **"المنايا على الحوايا"**[286] ؛

أين حال الملك من حال عبيد؟.

كل منهما في جو نفسي مختلف، فالملك يريد الطرب، ويرغب الإمتاع بالسماع، وعبيد لا يُحسُّ إلا وقد حُمَّ الحُمَامُ، ونَزَلَ به المَوْتُ الزُّؤَامُ، فلا ينطق إلا بما يعتريه من شعور، ولا يجري على لسانه إلا المفردات التي تمثل الشدة واللأواء، وشبح الموت والهلاك، فهو يظن أَنْ لا مفر من المصير المشؤوم، فإذا حانَ حِينُ المرء، صرعه الموت، ولو كان في كامل عدته، وتمام جاهزيته.

وقد اختار كلمة **"المنايا"** جمع منية ليوحي بالمدى الذي يعانيه من الخوف، وكأنه يرى شبح الموت يتراءى لعينيه متعدد الشخوص؛ وكذلك انتزع من بيئته كلمة الحوايا، ليقول: إن الموت سيصله ولو كان جالساً متمكنًا من ظهر البعير؛ وكأنه يوافق قول الله-تعالى-:

---

[284] الجَرِيضُ: الغُصَّةُ، والقَرِيضُ: الشِّعْرُ. الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: جرض).

[285] والطِّبْيُ والطِّبْيُ: حَلَماتُ الضَّرْع الَّتِي فِيهَا اللَّبَنُ لذَواتِ الحافِرِ والسِّباعِ، كالثَّدْي لِلْمَرْأَةِ وكالضَّرْعِ لغَيْرِها، جاوَزَ الجِزامُ الطُّبْيَيْن، كِنَايَةٌ عَنِ الْمُبَالَغَةِ فِي تَجاوُزِ حَدِّ الشَّرِّ والأَذى، لأَن الْجِزَامَ إِذَا انْتَهَى إِلَى الطُّبْيَيْنِ فَقَدِ انْتَهى إِلَى أَبعد غاياتِه.انظر: ابن منظور، *لسان العرب*، (مادة: طبي).

[286] المنَايا على الحَوايَا أي قد تَأتي المنيَّةُ الشجاعَ وَهُوَ على سَرْجه. والحويَّةُ كسَاء يَحوي سَنَامِ الْبَعِير ثمَّ يُركب. انظر: محمد بن أحمد الهروي، *تهذيب اللغة* (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2001م)، (مادة: حوي).

﴿أَيْنَمَـــا تَكُونُـــوا يُـــدْرِكْكُمُ الْمَـــوْتُ وَلَـــوْ كُنْـــتُمْ فِـــي بُـــرُوجٍ مُشَـــيَّدَةٍ﴾ .[287]

وهنـا يغضـب الملـك، ويزجـر عبيـدًا يسـتحثه علـى قـول الشـعر، فيقـول لـه: **"قـد أمللتنـي فـأرحني قبـل أن آمـر بـك"**، فيتجـه إليـه عبيـد، وينطـق بعبـارة تلخـص الحـال الـذي وصـل إليـه مع الملك فيقول له: **"مَنْ عزّ بزّ"**[288]،

فالملك عزيز في ملكه وبين جنده، وعبيد غريب في غير أرضه وقومه، والملك غالب بحوله وقوته، على أسيره الذي لاحول له ولا قوة، فله الحكم فيه يفعل به ما يشاء.

وعندما يضجر المنذر، ويأس من استجابة عبيد لإنشاد الشعر، ويظن أنه قد أرتج عليه من هول الموقف، فيريد أن يفتح عليه، فيقترح عليه أن ينشده من قصيدته المشهورة التي مطلعها:

أقفـــر مـــن أهلـــه فَالقَطَبِيّـــاتُ فَالـــذَّنوبُ

فيجيبه عبيد مرتجلًا:

أقفَرَ مِنْ أَهْلِهِ عَبِيدُ فَاليَوْمَ لَا يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ

ويتجلى في قوله هذا مدى أثر الحالة الشعورية التي اعترته، فهي التي تملي عليه ما يترجم أحاسيسه ومشاعره، فقد نطق بلسان الحال، ومكنون الوجدان.

كان ينطق بما يهيمن عليه من عاطفة الوحشة والخوف، وما سيؤول إليه حاله بعد الموت؛ حيث يفتقده أهله، ويخلو المكان من شخصه، لأنه قد حلَّ يوم مصرعه، الذي لامفر له منه.

ويلح عليه المنذر، ويستنطقه فلا يزيد عن قول ما يعتلج في صدره، وما يختلج في في وجدانه.

وهنا يفصح المنذر عن عزمه على قتله، لكيلا يخترم سنته التي اشتهر بها، فيقول له: **"إنه لا بد من الموت، ولو أن النعمان عرض لي في يوم بؤسي لذبحته"** ثم يخيره بين ثلاث صور من الموت، إن شاء أن يفصده من الأكحل، أو من الأبجل، أو من الوريد. وكلها عروق يجري بها دم الإنسان. فيجري على لسان عبيد عبارات تمثل مصيره، وتصور مصابه، فيقول: **" أبيت اللعن، ثلاث خصال**

---

[287] سورة النساء: 4/78.

[288] مَن عزَّ بَزَّ، أَي مَن غَلَبَ سَلَبَ. وبَزَّه ثِيابَه بَزّاً، انْتزَعَها. الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: بزز).

كسحاب عاد، وُرَّادُهَا شَرٌّ وُرَّاد، ومُقادُها شَرٌّ مُقَاد، ولا خير فيها لمرتاد، ولكن إن كنت لا محالة قاتلي، فاسقني الخمر، حتى إذا ماتت لها مفاصلي، وذهلت لها ذواهلي، فشأنك وما تريد"

لقد شبه موارد التهلكة التي خيره بين ثلاث منها بسحاب عاد، وهو مثال الشؤم عند العرب، حيث يتداولون خبر قوم أهلكهم سحاب أمطر عليهم كسفًا من النار، وقد وثق القرآن هذ ا الخبر في آيات متفرقة من القرآن الكريم، منها قوله ـ تعالى-: ﴿ **فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيم* تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ** *﴾[289]

لقد جرى على لسان عبيد محسنات لفظية رائعة، من غير تكلف ولا صنعة،

فاتسمت عباراته بالسجع والمزاوجة، وحسن التقسيم، مثل قوله: " **ورّادها شرّ ورّاد، ومُقادُها شرّ مُقاد، ولا خير فيها لمرتاد... حتى إذا ماتت لها مفاصلي، وذهلت لها ذواهلي،** " وكلها مفردات تمثل صدق العاطفة والشعور، فلا تتجاوز معاني الشرَّ والموت والفناء، والأجل المحتوم.

ونفذ المنذر رغبة عبيد فأمر له بالخمر، فسقي، حتى إذا أخذت منه كل مأخذ، فطابت نفسه وسكر، أمر به، ففصدت عروقه، فلما مات غرّي بدمه الغريّين.[290]

وبعد هذا المقام الذي أقيم فيه عبيد، وهذه المفردات التي ولدتها عاطفته؛ أصبحت كل عبارة من عباراته مثلًا سائرًا، تضربه العرب عند المناسبات.

المطلب الثاني: الدلالات اللفظية في نثر الوفود الإسلامية.

- لقد برع كثير من الرجال ببلاغة الخطاب وفصاحة المنطق، وضُرب بهم الأمثال، ولكن المرأة قد لا تقل عن الرجال في فصاحتها وبلاغتها، بل ربما تفوق الكثير من الفصحاء والبلغاء، فالبيئة العربية بصفاء سمائها، وسعة آفاقها، ولَّدت الفصاحة والبلاغة في النساء كما ولدتها في الرجال.

---

[289] سورة الأحقاف: 24- 46/25.

[290] ابن حمدون، *التذكرة الحمدونية*، ج8، ص16-17، وعمر بن أحمد بن العديم العقيلي، *بغية الطلب في تاريخ حلب* (بيروت: دار الفكر، د.ت)، ج9، ص 4303.

وفي الخبر الآتي من أدب الوفود نرى نموذجًا صادقًا لبلاغة الكلمة في خطاب أعرابية، أفضى بها خطابها الإعلامي لتحقيق مرادها، ونيل مطلوبها.

لقد مثلت هذه الوافدة فصاحة العرب، وبلاغتهم في خطابها، من غير تكلف ولا صنعة.

- ففي عصر الخلافة الراشدة شهد أهل المدينة المنورة قدوم أعرابية من هوازن، ألجأتها الحاجة والفاقة لطلب المعونة؛ فَدُلت على عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق[291] - وقد اشتهر بين قومه بالجود والسخاء- فوقفت ببابه وقالت: **" إني أتيت من أرض شاسعة، تهيضني هائضة[292]، تخفضني خافضة، وترفعني رافعة في بَوَادٍ بَرَيْنَ لحمي، وهِضْنَ عظمي: وتركنني وَالهةً[293]، قد ضاق بي البلد، بعد الأهل والولد، وكثرة من العدد؛ لا قرابة تؤويني، ولا عشيرة تحميني، فسألت أحياء العرب: من المرتجى سَيْبُهُ، المأمونُ عَيبُهُ، الكثير نَائلُهُ، المكفيُّ سَائِلُهُ؟ فَدُلِلْتُ عليك؛ وأنا امرأة من هوازن، فقدت الولد والوالد، فاصنع في أمري واحدة من ثلاث: إما أن تحسن صَفَدِي[294]، وإما أن تقيم أَوَدِي[295]، وإما أنْ تردَّني إلى بلدي. قال: بل أجمعين لك! ففعل ذلك بها أجمع."** [296]

- لقد استخدمت الأعرابية المفردات المتولدة من البيئة، فالأرض الواسعة البعيدة التي مثلتها البوادي والقفار التي قطعتها، حيث ترفعها الكثبان والهضاب، وتحطها الوديان والوهاد، ومشقة السفر الطويل، التي أهزلتها، فبرت اللحم، وهاضت العظم، وأذهلت العقل.

ثم أفصحت عن مصابها، فقد ضاقت بها مرابع بلادها، حيث اجتاحتها جائحة، فأهلكت الوالد والولد، وانعدم الرافد والسند، وتفرق شمل العشيرة، بعدما نزلت بهم المحن، وحلت بهم الرزايا؛ فلا عشيرة تؤويها، ولا قرابة تلوذ بها.

---

[291] عبد الرحمن بن أبي بكر، أمه أم رومان بنت الحارث الكنانية، فهو شقيق عائشة. شهد بدرًا وأحدًا مع قومه كافرا، ثم أسلم وحسن إسلامه، وصحب النبي صلى الله عليه وسلم في هدنة الحديبية. (ت: 53هـ) انظر: القرطبي، *الاستيعاب في معرفة الأصحاب*، ج2، ص824.

[292] هاضَ العَظْمَ يَهيضُه هَيْضاً: كَسَرَهُ بَعْدَ الجُبور، وَهُوَ أَشَدُّ مَا يكونُ من الكَسر، وكَذلِكَ النُّكْسُ فِي المَرَض بعد الانْدِمالِ، أَو بعد مَا كادَ يَنْجَبِرُ، كاهْتاضَهُ، وَهُوَ مَهيضٌ ومُهْتاض، انظر: الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: هاض).

[293] الوَلَهُ: الْحُزْنُ، وَقِيلَ: هُوَ ذِهَابُ الْعَقْلِ وَالتَّحَيُّرِ مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ أَو الْحُزْنِ أَو الْخَوْفِ. .. وامرأَة وَلْهَى ووالهٌ ووالِهَةٌ ومِيلاةٌ: شَدِيدَةُ الْحُزْنِ عَلَى وَلَدِهَا، وَالْجَمْعُ الوُلَّه، وَقَدْ وَلَّهها الحُزْنُ والجَزَعُ وأَوْلَهها، انظر: الزبيدي، *لسان العرب*، (مادة: وَلَهَ).

[294] الصَّفَدُ، محرَّكَةً، وروى بالتسكين: (العَطَاءُ)، وَقد أَصْفَدَه: أَعطاهُ ووَصَلَه، انظر: الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: صفد).

[295] الأَوَدُ: الْعِوَجُ، وَالثِّقَافُ: هُوَ تَقْوِيمُ الْمُعْوَجِّ. انظر: ابن منظور، *لسان العرب*، (مادة: أود).

[296] انظر: ابن عبد ربه، *العقد الفريد*، ج4، ص18، والحسن بن عبد الله العسكري، *الأوائل* (طنطا: دار البشير، د.ت)، ص307.

ثم أخذت تقدم بين يدي مطلوبها، ما يبعث على الشفقة، ويثير المروءة، في نفوس الأحرار من الرجال.

فكشفت عن الحال الذي ألم بها؛ حيث ضاقت بها السبل، وتقطعت الأسباب، وبحثت عمن يُسدي لها يدًا، ويقدم لها عونًا، فيسعفها ويغيثها، فأشار عليها الناصحون أن تقصد صاحب اليد البيضاء، والسجية السمحاء، فدلت على فاعل الخيرات، وجابر العثرات، الكريم ابن الكرام عبد الرحمن بن أبي بكر.

حيث أفصحت عما في نفسها، فخيرته بين ثلاثة مطالب: إما أن تجزل لي العطاء فتغنيني، وإما أن تعدل ما أحنى به الزمان من كاهلي، فتصلح من شأني، ولو بالقليل من نيلك، وإما أن تردني إلى مرابع قومي.

وكانت المفاجأة من الجواد الكريم؛ أن حقق رجاءها، وبلَّغها مقصدها، فجمع لها مطالبها كلها؛ حيث أغناها بعطائه، وأصلح شأنها بهباته، وحملها على كرائم الإبل إلى ديارها ومواطن قومها.

لقد حشدت البدوية المفردات التي تخدم قضيتها، فكان لها الأثر البالغ في تحقيق مطلوبها، حيث أفصحت للموفود عليه عن المشقة التي عانتها حتى وصلت إليه، فاختارت عبارة الأرض **الشاسعة،** و الشاسع يعني البعيد الموغل في البعد، والواسع المترامي الأطراف. وقد نكرت الأرض لتفيد الشمول والعموم، ووصفتها بالشسع لتفيد مطلق البعد، ومطلق السعة؛ فوَصْفُها القدومَ من تلك الآفاق البعيدة يستدر العطف والشفقة.

ثم تزيد في تصوير معاناتها، فتختار كلمة **"الهيض"** الذي يوحي بالكسر والنكس، وقد نكرت الكلمة لتفيد الغموض والإبهام، فيما كسر خاطرها، وزاد في سقمها وبؤسها.

وتوغل في وصف مشقة الرحلة بقولها: " **تخفضني خافضة وترفعني رافعة"**.

فهي تمضي بين كثبان تعلوها، ووهاد تنحدر فيها، وكأنها أسيرة الهضاب والوهاد، التي تخفضها وترفعها.

وتحث السير في مفازة مقفرة موحشة، يمتد سفرها، ويطول أمدها، حتى يأخذ منها الجهد كل مأخذ؛ فيبري لحمها، ويهيض عظمها.

لقد وظفت كلمتي" **برى، وهاض"** لتصور مدى المعاناة التي قارفتها، فبرى تفيد النحت والقشر، وهاض تفيد الكسر والسقم، وقد ناسب ذلك مشقة السفر الطويل.

وأعقبتها بكلمةٍ مثلت قمةَ المعاناة والمكابدة فقالت: **"وتركْتَنِي وَالِهةً"** والوله يوحي بالحيرة والحزن، بل بالطيش وفقد العقل والصواب.

وهذا أقصى ما يمكن أن تصوره للبيئة النفسية التي تعتريها، إلى جانب الحالة الجسدية التي آلت إليها.

وتفصح عن حاجتها بعد وصف عجزها وضعفها، فهي منقطعة عن الأهل والعشيرة، ليس لها وافد ولا رافد، نازحة عن الديار والأوطان.

لتنتقل إلى مرحلة تالية من الخطاب، فتختار الكلمات المناسبة لمدح الموفود عليه بحيث تستدر شفقته، وتستحث نخوته ومروءته.

فهي قد سألت عمن **" يرتجى سيبه"** والسيب: الدائم الجريان؛ قال ابن فارس في المقاييس: **" السِّينُ وَالْيَاءُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى اسْتِمْرَارِ شَيْءٍ وَذَهَابِهِ. مِنْ ذَلِكَ سَيْبُ الْمَاءِ: مَجْرَاهُ. وَهُوَ الْعَطَاءُ، كَأَنَّهُ شَيْءٌ أُجْرِيَ لَهُ."** [297]

فمثلت بهذه الكلمة سخاءه وجوده وعطاءه الدائم؛ ثم أخذت في تعداد شمائله بكلمات موحية معبرة، فهو**" المأمونُ عَيْبُهُ، الكثير نَائلُهُ، المَكْفِيُّ سَائِلُهُ"**.

فوظفت في عبارتها المحسنات البديعية من السجع، والمزاوجة لتعبر عن رفع شأنه، وإعلاء مكانته؛ وللمحسنات اللفظية جرس موسيقي، يبعث في النفس البهجة والنشوة، ويثير النخوة والمروءة؛ بحيث تجعل سامعها يبذل ما يملك، وهو راض مسرور.

وأعقبت ذلك كله بالإفصاح عن مصابها، فهي مفجوعة بفقد أحب الناس وأقربهم إليها، الوالد والولد، فوظفت الجناس الناقص والطباق في كلمتين حبيبتين إلى النفس البشرية، **الولد والوالد** لتزيد في زخم الشفقة والعطف.

وأخيرًا عرضت على الممدوح خيارًا بين ثلاث، حشدت خلالها محسنات لفظية رائعة في عبارة سائغة رائقة: **" إما أن تحسن صَفَدِي، وإما أن تقيم أَوَدِي، وإما أنْ تردَّني إلى بلدي."**

فقد جمعت خلال هذه العبارة بين السجع والجناس وحسن التقسيم؛ ما جعل الرجل يفصح عن طربه وسروره بهذه العبارات الساحرة، فيجمع لها كل مطلوبها.

---

[297] ابن فارس، *مقاييس اللغة*، (مادة: سيب).

إن الذي جعل خطاب الأعرابية، مقبولًا مأنوسًا، رغم جزالة الكلمات، وغرابة بعض المفردات، سلاسته وعذوبة ألفاظه؛ وقد نطقت بها على سجيتها وطبيعتها البدوية؛ فهي غير متكلفة ولا متبذلة.

إن فصاحة الوافدة وبلاغتها، بعثت الحمية في نفس الرجل، فأكرمها، وأحسن رفادتها، وردها معززة مكرمة، مجبورة الخاطر، موفورة الحظ.

ولعل أبرز ما في خبر هذه الوفادة، ما وثق لنا صورة البيئة العربية، التي ولَّدت الفصاحة في الكلمة، والبلاغة في الخطاب، كما وثَّقَ لنا العادات العربية الموروثة، حيث الكرم والجود، الذي عهده العرب منذ الجاهلية، واستمر حاله في ظل الإسلام، الذي جاء رسوله، ليتمم مكارم الأخلاق.

المطلب الثالث: الدلالات اللفظية في شعر الوفود الجاهلية.

ومن عجيب فعل العاطفة في وجدان الشاعر، حينما يفد على سيد قوم آملاً رفده وعطاءه، لكنه يخيب مسعاه، ولا يجد لديه مأموله، فيهجوه ويذمه، ويعرج على سيد آخر فيكرمه وينعم عليه، فيمدحه ويثني عليه.

وهذا ما جرى للأعشى ميمون[298] حينما وفد على الحارث بن وعلة[299] فلم يلقَ عنده الإكرام الذي كان يرجوه، فارتحل عنه إلى هوذة بن علي[300] ذي التاج. فوجد ما يسره ويثلج صدره؛ فجاشت عاطفته، ليهجو هذا ويمدح ذاك؛ حيث يقول:

أَتَيْتُ حُرَيْثاً زَائِراً عَنْ جَنَابَةٍ فَكَانَ حُرَيْثٌ عَنْ عَطَائِيَ جَامِدَا
إِذَا مَا رَأَى ذَا حَاجَةٍ فَكَأَنَّمَا يَرَى أَسَداً فِي بَيْتِهِ وَأَسَاوِدَا
لَعَمْرُكَ مَا أَشْبَهْتَ وَعْلَةَ فِي النَّدَى شَمَائِلَهُ وَلَا أَبَاهُ مُجَالِدَا

---

[298] أعشى ميمون بن قيس، وكان أعمى، ويكنى أبا بصير. ويسمّى «صنّاجة العرب» وكان يفد على ملوك فارس وملوك الحيرة، انظر: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، *الشعر والشعراء* (القاهرة: دار الحديث، د.ت)، ج1، ص250.

[299] هو الحارث بن وعلة الرقاشي كان رئيسا في بكر وائل، وهو الذي قصده الأعشى فلم يحمده، فهجاه. انظر: ابن سعيد الأندلسي، *نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب*، ص637.

[300] هوذة بن علي بن ثمامة الحنفي ذو التاج، كان ذا شرف ومكانة في قومه. الحلي، *المناقب المزيدية*، ج1، ص53.

وَإنّ امْرَءًا قَدْ زُرْتُهُ قَبْلَ هَذِهِ بِجَوٍّ[301] لَخَيْرٌ مِنْكَ نَفْساً وَوَالِدَا
تَضَيَّفْتُهُ يَوْمًا فَقَرَّبَ مَجْلِسِي وَأَصْفَدَنِي عَلَى الزّمَانَةِ قَائِدَا
وَأَمْتَعَنِي عَلَى العَشَا بِوَلِيدَةٍ فَأَبْتُ بِخَيْرٍ مِنْكَ يَا هَوْذَ حَامِدَا
يَرَى جَمْعَ مَا دُونَ الثَّلَاثِينَ قَصْرَةً وَيَعْدُو عَلَى جَمْعِ الثَّلَاثِينَ وَاحِدَا[302]

المتأمل نص الأعشى يجد أثر العاطفة في اختيار المفردات التي تعبر عن مشاعر قائلها وأحاسيسه. فلما كانت عاطفة الشاعر تجاه الحارث تتسم بالسخط والبغضاء، تولدت مفردات ترسم ملامح شخصية المذموم؛ فتنتقصه وتشهر به.

لقد صغر اسمه بدل الحارث، حيث أطلق عليه اسم **حويرث**، وكرر الكلمة في البيت الأول مرتين. وفي الحالتين ذمه بما ينتقص قدره؛ ففي الشطر الأول جاءه غريبًا **"عن جنب"**، وكرام العرب تكرم الغريب وتقريه، وتتولى شؤونه وغالب أمره، ولكنه لم يفعل، فجاء بكلمة **"جامدًا"** ليصور مدى الشح والبخل الذي طبع عليه.

وزاد على ذلك في تشنيع صورة الرجل، فجعله يفزع ويهلع عند رؤية الضيف إذا نزل بيته، وكأنما يرى سبعًا يريد افتراسه، أو ثعبانًا يبتغي إهلاكه.

فيوظف كلمتي **" الأسد والأساود"**، بما فيهما من خطر على الإنسان، وما تحملان من جرس موسيقي في الجناس الناقص بينهما؛ حيث يبعث في النفس الرعب والرهبة.

ثم يستخدم القسم بكلمة **"لعمرك"** ليؤكد مقولته بأن الحارث منفرد بطبيعته القبيحة ساقط الهمة دنيء المروءة، لا يشبه أبًا ولا جدًا.

وفجأة تنقلب صبغة العاطفة من السخط والبغضة إلى الرضا والإعجاب؛ ويظهر هذا في الكلمات، التي ولدتها مشاعر الاحترام والتقدير لهوذة ذي التاج، الذي أكرم وفادته، وأحسن ضيافته، ووصله فأحسن صلته .

حيث بدأ مدحه بإضمار اسم المضيف، **"تضيفته"** ليدل أنه قصده في بلد غير بلده بـ**"جَوٍّ"** على غير معرفة سابقة به، فوجده خيرًا من الحارث نفسًا، وأعرق نسبًا، ثم يبرهن على خيرية الرجل

---

[301] جو: اسم منزل من منازل العرب.
[302] المبرد، *الكامل في اللغة والأدب*، ج3، ص12.

بالمكرمات المحسوسة، من حسن الضيافة، وإكرام الوفادة، فاستعمل كلمة **"قَرَّبَ"** و **"أَصْفَدَ"** و **"أَمْتَعَ"**، وكلها مفردات توحي بسخاء الرجل وجوده، كما يوظف كلمة **"الزَّمَانَة"** ليوحي بعجزه ومرضه، وكلمة **"قائدًا"** التي تكشف عن علته، فقد كان كفيفًا لا يبصر، يحتاج إلى من يقوده. وكلها مفردات أضافها إلى ضمير الغائب، وفجأة يلتفت بكاف الخطاب، وياء النداء، ليفصح عن اسم الموفود عليه، فيخاطبه ويناديه، وكأنه أصبح ملازمًا له لايفارقه.

ولسان حاله يحمده ويشكره، على جوده ومعروفه، **"فَأُبْتُ بِخَيْرٍ مِنْكَ يَا هَوْذُ حَامِدَا"**

وأخيرًا يضيف إلى ممدوحه، خصلة أخرى، لا تقل أهمية عن صفة الجود والسخاء، بل ربما تفوقها؛ وهي الشجاعة والإقدام، فقد جعل منه فارسًا لا طاقة للفرسان به، يقابل الثلاثين منهم وحده، ولا يهابهم.

وها هو ذا الأعشى نفسه، ينزل بالمحلق، وهو شخصية خاملة، ليس لها حضور في محافل العرب، حيث كان فقير الحال معدمًا، معيلاً لبنات عوانس، ولا رغبة لأحد بهن.

فلما نزل به أكرم وفادته، على الرغم من القلة والعوز الذي يكابده، طمعًا بمديحه، حيث ذاع صيت الأعشى في العرب، بأنه ما مدح أحدًا إلا رفعه، ولا هجا أحداً إلا وضعه، وكان المحلق لا يملك إلا لَقْحَةً يعتاش بها، فأنزله بيته ونحر له ناقته، وخبزت امرأته خبزاً، وجاءته بِنِحِيِ سمن، وَوَطَبِ لبن، فقدم إليه الشراب، واشتوى له من كبد الناقة وسنامها، وأطعمه من أطايبها، فلما أخذ منه الشراب مأخذه، شكا المحلق إليه حاله، وذكر بناته العوانس، فرقَّ له الأعشى، وقال له: **"كفيت أمرهن"**، وأصبح بعكاظ ينشد قصيدته:

أَرِقتُ وَمَا هَذَا السُّهَادُ المُؤَرِّقُ وَمَا بِيَ مِنْ سُقْمٍ وَمَا بِي مُعَشَّقُ

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاحَتْ عُيُونٌ كَثِيرَةَ إِلَى ضَوْءِ نَارٍ بِاليَفَاعِ تُحَرَّقُ

تَشُبُ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالمُحَلَّقُ

رَضِيْعَيْ لِبَانٍ ثَدْيِ أُمٍ تَقَاسَمَا بِأَسْحَمَ دَاجٍ، عَوْضُ لَا نَتَفَرَّقُ

نَفَى الذمَّ عَنْ رَهْطِ المُحَلَّقِ جَفْنَة كَجَابِيَةِ الشَّيْخِ العِرَاقِيِ[303] تَفْهَقُ[304]

تَرَى الجُودَ يَجْرِي ظَاهِرًا فَوْقَ وَجْهِهِ كَمَا زَانَ مَتْنَ الهُنْدُوَانِيُّ رَوْنَقُ

أَبَا مَالِكٍ قَدْ سارَ مَا قَدْ فَعَلْتُمُ وَأَشْأَمَ أَقْوَامٌ بِذَاكَ وَأَعْرَقُوا[305]

لقد كان الأعشى بارعًا في تخير المفردات التي تؤثر في نفوس سامعي شعره

لذلك افتتح قصيدته بكلمتي **"الأرق والسهاد"**، ليلفت النظر ويشدَّ الانتباه؛ فما يكون الأرق والسهاد إلا من عشق أو سقم، ولكنه أقسم لهم بقوله**: "لعمري"** إن أرقه لغير ذلك! إذن فما الذي أرَّقَهُ؟ إنها النار التي تشتعل ولا تنطفئ.

ويشوق السامع إلى من يوقد هذه النار ومن يصطليها؛ وهناك يجد المفاجأة!

رفيقان لا يفترقان **الندى والمحلق**، وقد اختار كلمة **"الندى"**[306] التي توحي بالسخاء، والاجتماع، والبعد، ليوحي ببعد الصيت، ورفعة المكانة، إلى جانب الجود والكرم.

ودوام اشتعال النار، ليهتدي بضوئها السُّفارُ، وينزل على صاحبها الأضياف

وقد شخَّص الكرم فجعله رضيعًا للمحلق، قد رضعا لبان أم واحدة.

ويرفع الأعشى سقف المدح، ليصف الجفنة العظيمة الواسعة، التي يقدمها المحلق لأضيافه، فيشبهها بجفان كسرى ملك الفرس، بل وحياضه.

وقد اختار كلمة **"تفهق"** وأضافها للجفنة، ليصفها بالسعة والامتلاء، ويكسبها هالة من التعظيم والإجلال، وكل ذلك يعود على الممدوح بصفات ترفع من شأنه، وتعلى من مكانته.

ويصف سماحة وجهه، وتَبَسُّطَهُ لأضيافه، فيختار كلمة **"الهندواني"** ليشبه طلاقة وجهه، حينما يبرق بالسرور لقدوم الأضياف، ببريق لمعان السيف الهندي الصقيل، الذي تعده العرب من أجود السيوف وأرهفها.

---

[303] أراد بالشيخ العراقيّ كسرى، فشبه جفنته بجفنته.ومنها: حياض الماء؛ وهي حياض من جلد تحمل في السفر ليبقى الماء فيها لسقي الدّوابّ ونحوها، وكبر قدرها دليل على رفعة قدر صاحبها وفخامته، لدلالتها على كثرة دوابه، واتساع عسكره.انظر: أحمد بن علي القلقشندي، *صبح الأعشى في صناعة الإنشاء* (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ج2، ص147.

[304] فَهَقَ: الْفَاءُ وَالْهَاءُ وَالْقَافُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى سَعَةٍ وَامْتِلَاءٍ. والْفَهْقُ: الِامْتِلَاءُ. ابن فارس، *مقاييس اللغة*، (مادة: فهق).

[305] ابن سعيد الأندلسي، *نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب*، ص612، والقيرواني، *العمدة في محاسن الشعر وآدابه*، ج1، ص49.

[306] انظر: ابن فارس، *مقاييس اللغة*، (مادة: ندي).

وأخيرًا يلتفت بالخطاب إلى المحلق، ويكنّيه **بـ"أبي مالك"** معززًا مكرمًا، ليخبره أن الركبان قد سارت بمديحه في الشام والعراق؛ وقد اختار **"أشأم وأعرق"**، ليوحي بسعة انتشار صيت المحلق، فالركبان مشرقة مغربة بذكره، ولا أوسع ولا أرقى عند العرب من الشام والعراق.
وكانت النتيجة أن أقبل الناس على المحلق مهنئين مباركين، كما تسابق الأشراف من القبائل لخطبة بناته، فلم تبق واحدة إلا وأمست تحت رجل من أشراف العرب.

المطلب الرابع: الدلالات اللفظية في شعر الوفود الإسلامية.

- ومن أطرف الوفادات التي يختار فيها الوافد الكلمات المعبرة، والألفاظ الموحية ما نشهده في وصف النابغة الجعدي لرحلته، حينما قدم على عبد الله بن الزبير زمن خلافته في الحجاز، يطلب النَّيْل والغوث، بعدما عضه الدهر بنابه، وأناخ عليه البؤس بكلكله، فمدحه وأثنى عليه، ثم قال:

أَتَاكَ أَبُو لَيْلَى يَجُوبُ بِهِ الدّجَى دُجَى اللَّيْلِ جَوَّابُ الفَلَاةِ عَثَمْثَمُ[307]

لِتَجْبُرَ مِنْهُ جَانِبًا زَعْزَعَتْ بِهِ صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالزّمَانُ المُصَمِّمُ[308]

لقد حشد في شعره مفردات توحي بمشقة السفر، وبعد الطريق، كما أراد أن يعرض حاجته من خلال كلمات تنم عن معاناة ومكابدة.
فوظف كلمة **"الدُّجى"** وهي الظلمة الحالكة، وأكدها بقوله دجى الليل، ليوحي للموفود عليه بالوحشة، التي يستشعرها المسافر حينما يرخي الليل سدوله، وتشتد ظلمته؛ واختار كلمة **"الفلاة"** ليشعره بمشقة اجتياز المسافات الشاسعة، كي يصل اليه، كما اختار كلمة **"عثمثم"** للبعير الذي حمله إليه، ليوحي بقوة الراحلة، وشدة مِراسها، كي تتحمل المعاناة في هذه الرحلة الطويلة الصعبة، حيث قطع اليه الفيافي الشاسعة والقفار البعيدة، وقد أتاه ليجبر منه ما انكسر،

---

[307] العَثَمْثَمُ: كَسَفَرْجَلٍ: (الأَسَدُ)، لِثِقَل وَطْئِه، والعَثَمْثَمُ: الجَمَلُ الشَّدِيدُ؟ الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: عثم).
[308] ابن عبد ربه، *العقد الفريد*، ج 1، ص340.

بسبب ما أصابه من شدائد الدهر ونوائبه، فاختار كلمة **"زعزع"** لتوحي بالتحريك الشديد، والدفع والإزاحة، **والزعازع شدائد الدهر**، كما اختار كلمة **"صروف"** وأضافها لليالي ليوحي بشدة النوائب التي حلت به، ووصف الزمان **"بالمصمم"**، ليوحي بِعُتُوّهِ وقسوته.

لقد حشد كل هذه المفردات الموحية، ليعبر عن عظم مصابه، وفداحة خطبه، وما حل به من لأواء الحياة وضَرَّائها.

ولقد هدف الشاعر من هذه الرسالة الإعلامية، إلى استعطاف قلب الأمير، واستدرار مشاعره وأحاسيسه، كي ينال عطاءه، ويحظى برفده؛ وقد كان له ما تمنى.

- والأعجب من هذا ما وثق لنا التاريخ من وفود أعرابي على داود بن المهلب' يريد مدحه لينال رفده ومعروفه.

ولكن ابن المهلب اشترط على الأعرابي شرطًا مرعبًا، بعد أن استل سيفه وشهره في وجهه، وقال له: **" إن أحسنت حَكَّمْنَاك، وإن أسأت قتلناك"** ورضي الأعرابي الشرط ثم أنشأ يقول:

أَمِنْتُ بِدَاوُدٍ وَجُودِ يَمِينِهِ مِنَ الحَدَثِ المَخْشِيِّ وَالبُؤْسِ وَالفَقْرِ

فَأَصْبَحْتُ لَا أَخْشَى بِدَاوُدَ نَبْوَةَ مِنَ الحَدَثَانِ إِذْ شَدَدْتُ بِهِ أَزْرِي»

لَهُ حُكْمُ لُقْمَانٍ وَصُوْرَةَ يُوسُفٍ وَمُلْكُ سُلَيْمَانٍ وَعَدْلُ أَبِي بَكْرِ

فَتَىً تَفْرَقُ الأَمْوَالُ مِنْ جُودِ كَفِّهِ كَمَا يَفْرَقُ الشَّيْطَانُ مِنْ لَيْلَةِ القَدْرِ[309]

كان الامتحان صعبًا، فهل يستطيع الأعرابي إقناع ابن المهلب بشعره، فينجو من القتل، ويحظى بالعطاء الذي له أن يُحَكَّمَ فيه؟.

لقد كان الأعرابي ذكياً، فاختار الكلمات التي يستدر بها عطف الأمير من خلال مدحه بصفات تهفو إليها كل نفس بشرية.

فقد اختار الفعل الماضي **"أمنتُ"** ليشعره بأنه آمنٌ من وعيده، ثم نسب ليمينه صفة **"الجود"** وتوحي هذه الصفة بمعانٍ شتى منها**:** **"** التَّسَمُّحُ بِالشَّيْءِ، وَكَثْرَةُ الْعَطَاءِ. والْمَطَرُ الْغَزِير" [310]. وأراد بذلك أن يوحي لابن المهلب بأن الكريم يصفح ولا ينتقم.

---

[309] ابن عبد ربه، *العقد الفريد*، ج1، ص217، ومحمد بن إبراهيم الوطواط، *غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائض الفاضحة* (بيروت: دار الكتب العلمية، 2008م)، ج1، ص240.

[310] انظر: ابن فارس، *مقاييس اللغة*، (مادة: جود).

ثم لمَّحَ إلى ما يعتريه من التوجس والخوف من البطش، فاختار العبارة المناسبة " **الحدث المخشي**" ثم أردفها بـ **"والبؤس والفقر"** ليفصح عن ما يطمح إليه من كشف الضراء عنه والبأساء.

ثم استمر يعزز ثقته بداود الذي لا يشك بحمايته من نوازل الدهر، مادام **"يشد به أزره"**؛ وقد اقتبس هذا المعنى من القرآن الكريم على لسان موسى حينما طلب من ربه أن ينصره بأخيه فقال: ﴿ **وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي**﴾*[311].

ويرفع سقف المدح، ليصف ابن المهلب بأوصاف تنم عن الكمال في شتى الخصال؛ فاختار له ملامح سامية، وثقها القرآن الكريم لشخصيات امتازت عن غيرها بما خلد ذكرها؛ فقد نسب للممدوح الحكمة البالغة التي اتصف بها لقمان؛ قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ** ﴾[312].

ونسب له الجمال اليوسفي الذي خلده القرآن حيث قال: ﴿**فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ** ﴾[313].

وجعل له مُلكًا عظيمًا كمُلك سليمان، الذي خلد القرآن صفة ملكه الواسع فقال: ﴿ **قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِيۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ** ﴾[314]

واختار له صفة العدل التي يتصف بها خير هذه الأمة بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم- الصديق أبو بكر، الذي وصفه عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رضي الله عنهما - بقوله: **" لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ بِإِيمَانِ أَهْلِ الْأَرْضِ لَرَجَحَ بِهِمْ."**[315]

وأخيرًا يختتم خطابه الإعلامي بشميلة من أسمى الشمائل التي يتحلى بها الممدوح؛ الجود والكرم، فقد نسب إلى المال حالة تنم عن كثرة بذل الممدوح، فاختار كلمة **"يَفْرَق"** للمال، فيبعث فيه الحياة، ويشخصه، ويجعله يذعر ويجزع من كف ابن المهلب، التي لا تنفك تبدد شمله، بالسخاء الذي يقضي عليه، ولا يبقي على حياته.

ويطور الصورة الممتدة ليشبه الهلع الذي يصيب المال من هذه الكف السخية التي تتلفه كلما امتدت إليه، بهلع الشيطان من ليلة القدر، لما فيها من أذكار وأنوار تبعث في نفسه الذعر والفزع.

---

[311] سورة طه: 29-30-20/31.
[312] سورة لقمان: 31/12.
[313] سورة يوسف: 12/31.
[314] سورة ص: 38/35.
[315] أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، *فضائل الصحابة*، (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت)، ج1، ص418، رقم 653.

لقد استطاع الأعرابي باختياره هذه المفردات، التي وظفها في خطابه الإعلامي أن يثير عاطفة ابن المهلب، ويعصف بمشاعره، فيتبسم له، ويغمد سيفه، ويعطيه ما يرضيه ويغنيه.

ويلاحظ المتصفح لتاريخ الأدب عند العرب، مدى اهتمامهم بدلالات الكلمة وإيحاءاتها، ويبدو ذلك جليًا عند وفود ليلى الأخيليّة [316]على الحجّاج تطلب رفده وتأمل نيله، فلما دخلت عليه أنشدته:

إِذَا وَرَدَ الحَجَّاجُ أَرْضًا مَرِيضَة تَتَبَّعَ أَقصَى دَائِهَا فَشَفَاهَا

شَفَاهَا مِنَ الدّاءِ العُضَالِ الّذِي بِهَا غُلَامٌ إِذَا هَزّ القَنَاةَ سَقَاهَا

فبادرها قائلاً: **" لا تقولي غُلام، ولكن قولي: هُمام."** [317]

مدحته الأخيلية، وأسرفت في المدح، فنسبت إليه علاج كل سقم في الأرض، ومداواة كل داء على ظهرها، مهما كان مستعصيًا، فهو يسقي الرماح من دماء الأعداء فيرويها، ولم لا؟ وهو الذي وطَّد بسيفه الملك لبني مروان، وقد اختارت في مدحها كلمة **"غلام"** رغم إيحائها بمعنى القوة والفتوة والشباب، والحيوية والنشاط، إلا أن من معانيها العبد الرقيق، فالعربي يكني عبده بالغلام، فيقول: "جاء غلامي، وناديت غلامي"، فلم تَرُقْ هذه الكلمة للحجاج، فاختار كلمة أخرى بمعنى أسمى وأدق وأشمل **"الهُمَام"** لما تتضمنه من إيحاء بالهمة والعزيمة والإقدام، و"الْهُمَامُ: هو الْمَلِكُ الْعَظِيمُ الْهِمَّةِ"[318] كما يقول صاحب المقاييس.

نلاحظ سرعة بديهة الحجاج، ومدى درايته بدقائق اللغة، ومدى اهتمام العرب باختيار الكلمة المناسبة، للمعنى الأدق والأشمل.

---

316 ليلى بنت عبد الله الأخيلية الشاعرة المشهورة، كانت من أشهر النساء، لا يتقدم عليها إلا الخنساء، توفيت في عشر الثمانين للهجرة. وكان توبة بن الحمير يهواها، انظر: صلاح الدين محمد بن شاكر، *فوات الوفيات* (بيروت: دار صادر، د.ت)، ج3، ص226.

317 ابن عبد ربه، *العقد الفريد*، ج1، ص 273، والمبرد، *الكامل في اللغة والأدب*، ج1، ص242.

318 انظر: ابن فارس، *مقاييس اللغة*، (مادة: همَّ).

المبحث الثاني: الأساليب التعبيرية في الخطاب الإعلامي لأدب الوفود.

لقد اتسم أدب الوفود برقي الأساليب[319] التعبيرية وتنوعها، والوافد أجدر المتفننين في أساليب الكلام، كونه يسعى لإقناع الموفود عليه وإمتاعه، وإثارة عاطفته ووجدانه؛ فهو ينوع في أساليب الكلام مراوحًا بين الخبر والإنشاء، والمدح والذم، والحصر والقصر، والإطناب والإيجاز، معربًا عن أغراض بلاغية شتى تخدم خطابه، وتوضح رسالته.

وسنقف على بعض أساليب الوفود في الجاهلية والإسلام، نستجلي أثرها في الخطاب الإعلامي

المطلب الأول: الأساليب التعبيرية في نثر الوفود الجاهلية:

لما وفدت أشراف العرب على كسرى، أخذ كل منهم يدلي بدلوه، ليكشف عن عقل رجيح، ولسان فصيح، وهمة عالية، ونفس عزيزة.[320]

وكان أكثم بن صَيْفي أفصحهم لساناً وأحكمهم منطقاً، فقال: **" إنَّ أفضل الأشياء أَعاليها، وأَعلى الرجالِ مُلوكها، وأفضلَ الملوك أعمُّها نفعًا، وخير الأزمنة أخصبُها، وأفضل الخطباء أصدقُها. الصدقُ مَنجاة، والكذبُ مَهواةٌ، والشرُّ لَجاجَةٌ[321]، والخيرُ عادةٌ"** .

كان عامَّة خطابه الأسلوب الخبري، الذي أكَّدَه في بداية حديثه **" بإنَّ "** ليقنع السامع بصدق الحديث،

---

[319] الأُسْلُوبُ لغة: الفَنُّ. يُقَال: أَخَذَ فُلَانٌ فِي أَسَالِيبَ من القَوْل، أَي أَفَانِين مِنْه. انظر: *الزبيدي، تاج العروس*، (مادة: سلب) والأسلوب الأدبي اصطلاحًا: «هو الأسلوب الجميل ذو الخيال الرائع والتصوير الدقيق الذي يظهر المعنويّ في صورة المحسوس والمحسوس في صورة المعنوي» يشيع هذا الأسلوب في الشعر والنثر الفني.انظر: محمد أحمد قاسم، *علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»* (بيروت: المؤسسة الحديثة للكتاب،2003 م)، ص40.

[320] انظر: خبر وفود أشراف العرب على كسرى " ص66 ومابعدها" من هذه الرسالة.

[321] اللَّجَاجُ واللَّجَاجَةُ واللَّجَجُ محرَّكةً، والمُلاَجَّةُ: التَّمادِي فِي الخُصُومة . وَقيل: هُوَ الاستمرارُ على المُعارَضةِ فِي الخِصام. واللَّجَاجُ: هُوَ التَّمادِي فِي الأَمر وَلَو تَبيَّنَ الخَطَأُ. انظر: الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: لجج).

واستخدم في خطابه أسلوب التفضيل :**" أفضل، وأصدق، وخير، أعمَّ، أعلى"**، ليقرر حقيقة خيرية الأشياء في الحياة.

كما اتسم خطابه بقصر الجمل، وتوليد بعضها من بعض.

فمن جملة أعالي الأشياء وأفضلها، وَلَّدَ أعالي الرجال وهم الملوك، ومن جملة أفضل الملوك، ولد جملة أعمهم نفعًا؛ ثم انتقل إلى توصيف الخطباء، فذكر أفضلهم، فخصه بالصدق، ومن الصدق ولد ثمرته، وبيَّن عاقبة الكذب.

وكانت عامة الجمل التي صاغها اسمية، ليجعل المعاني أكثر رسوخًا وثباتًا في ذهن السامع، وأشد تمكنًا واستمرارًا؛ لما للجمل الاسمية من فضل على الفعلية بالتمكن والرسوخ.

واستخدم السجع في أواخر الجمل، ليكون للجرس أثر في نفس السامع وشعوره، **" أخصبها ...وأصدقها"، و" منجاة ...مهواة" ، "لجاجة ...عادة"**

كما طرز خطابه بالمقابلات **" الصدقُ مَنجاة، والكذبُ مَهواةٌ، والشرُّ لَجاجَةٌ، والخيرُ عادةٌ"**

وقد اتسمت أساليب أكثم في خطابه بإيجاز العبارات، وخصوبة المعاني،، ما يمثل البلاغة في التعبير، والفصاحة في القول فـ**" خير الكلام ماقل ودل"**

حتى غدت كل عبارة نطق بها أكثم مثلًا سارت به الركبان، وتناقلته العربان.

- أما الحارث بن عباد البكري فقد كان معتدًا بنفسه، مفتخرًا بشجاعته: بدأ خطابه بالنداء **" أيها الملك"** أراد أن ينبهه، ليستمع إليه جيدًا، ثم جعل عامة خطابه الأساليب الخبرية، التي بدأها بأداة التوكيد **"إنَّ"** ليشعر السامع بصدق الخبر، ثم يصف الفارس المعتاد خوض المعارك فيقول:**" إنَّ الفارس إذا حَمل على الكتيبة يَقْدُمُ على الموت" فهي حياة استدبرها، ومنيّة استقبلها، ومتى استَعَرت نارُ الحرب واشتدَّ لظاها، جعلتُ مَقادَها رُمحي، وبَرقَها سيفي، ورَعدَها زَئيري، ولم أقصِّر عن خَوْض ضَحضاحها، حتى أنغمس في غَمرات لُجَجها، فأَترك حُماتَها جَزْرًا للسِّباع، وكلِّ نَسْرٍ قَشْعَم.**

فاستخدم أسلوب الشرط في قوله: **" إذا حمل على الكتيبة يَقْدُم على الموت" "ومتى استعرت نارها ...جعلت مقادها رمحي..."**

ليؤكد بجملة الشرط والجواب حقيقة الفارس الذي يدرك خطورة المعركة، فترخص حياته، فيقدمها أمامه حين التقاء الفرسان.

كما استخدم أسلوب النفي بالجزم في قوله:" **ولم أقصِّر عن خَوْض ضَحضاحها"** ليعبر عن جده وعزمه وعدم تردده في اقتحام غمار المعركة.

ويريد أن يقدم للملك صورة صادقة عن فروسيته وبطولته، فيجسد مهارته في القتال، حيث يوظف البرق والرعد، لجو المعركة التي كان يقود عِنانها، ويخوض غمارها، فيردي أبطالها، ليجعل منهم طعمة للسباع والنسور.

وقد وظف في أسلوبه التقابلات بين الموت والحياة، فاستدبر الحياة واستقبل الموت، ليوحي للموفود عليه بجسارته وإقدامه.

وكان الغرض من أخباره كلها الفخر والاعتزاز، بالشجاعة والإقدام.

- ويقوم عمرو بن مَعدي كَرِب الزبيدي، ليتكلم، فيختلف أسلوبه عمن سبقه من خطباء الوفود، فيبدأ خطابه بأسلوب القصر والحصر " **إنما المرء بأصغَرَيْه: قلبه ولسانه"** ليقرر حقيقة إنسانية: بأن الإنسان لا يقاس إلا بمنطقه إذا تكلم، وثبات قلبه إذا تقدم.

ثم أخذ يخاطب الملك بأساليب متنوعة، ما بين الطلب الذي غرضه النصح والإرشاد؛ حيث طلب من الملك أن يملك ناصية العرب ويضمن طاعتهم، بالإحسان إليهم؛ لإن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها، والإنسان عبد للإحسان، فقال له**:" فاشترَ طاعتَنا بفضلك"** وأتبعها بطلب آخر، يبين له كيف يستطيع أن يمتص غضبهم، فيُغضي عن إساءاتهم بحلمه وسعة صدره، فقال له: **" واكظم بادِرَتَنا بحِلمك"**، ثم يصوغ له معادلة، مادتها الطلب وجوابه فيقول: **" وأَلِنْ لنا كَنفَك، يَسلُس لك قيادُنا"** ليكشف له بهذا الأسلوب عن طباع عرف بها العرب، وهي العزة والإباء؛ فهم لا ينقادون لمن يمارس معهم العسف والظلم، ولا يخضعون لمن يتكبر عليهم، ولا ينصاعون لمن يزدريهم ويستخُّفهم. بل يطاوعون من يتواضع لهم ويحترمهم.

وكأنه يريد أن يوصل إلى الملك رسالة مفادها أن العرب تلين لمن لان لها، وتَعِزُّ أمام من ترفع عليها.

ثم ينتقل إلى الخبر الذي يؤكد فيه صلابتهم وقوتهم، بأدوات التوكيد **" إنَّ، وقد"**

ليختم خطابه، بأخبار تجلي صفات قومه ومعادنهم، فيقول:

" فإنا أُناسٌ لم يكسر صَفاتَنا[322] قِراعُ مناقيرِ من أراد لها قَضمًا، وقد مَنَعْنا حِمانا عن كل من أراد له هضمًا".

فيوظف الجملة الاسمية التي تفيد الثبات والاستقرار: **" فإنا أُناسٌ لم يكسر صَفاتَنا..."** ليؤكد على عزة قومه وثباتهم، ورسوخ أقدامهم، وينفي جملة الخبر بالجزم المطلق ليبرئ قومه من الذلة والهوان **" لم يكسر صَفاتَنا..."**

ويبين من خلال هذه العبارات مدى اعتزازهم بأنفسهم، واعتدادهم بمعدنهم.

فهم كالصخرة الصماء التي لا تفلح فيها مناقير الطيور، فعندهم المنية ولا الدنية، يحمون أعراضهم، ويذودون عن حياضهم، فلا يقدر عليهم أحد من الناس، ولا يخضعون لأمة من الأمم.

كل ذلك وكسرى يسمع ويصفح، حتى قام الحارث بن ظالم، فخاطب كسرى خطاب الأنداد والأتراب. فبادره بخبر مادته جملة اسمية عبر فيها عن صدق القول بلا مواربة ولا مداهنة، فقال:" **آفةُ المنطق الكذبُ"،**

ثم يكشف له عن خُلُق تأنف منه العرب، وتعافه ولا تقبله؛ إنه المداراة في غير كرامة، والتودد من غير قناعة، لأن هذه صفة الضعفاء والمغلوبين، وهذا مالا ترضاه العرب لأنفسها، فعبر عن ذلك بقوله **" ومن لؤم الأخلاقِ الملقُ" [323]،**

" ومن خَطَل الرّأي خِفَّةُ المَلِك المُسَلَّط،" فقدم الجار والمجرور الخبر على المبتدأ في الجملتين، للاهتمام ببيان حقيقة لؤم الأخلاق، وفساد الرأي.

ثم يوجه النصح إلى الملك بأسلوب صريح، وكأنه يرشده إلى السياسة التي ينبغي أن يتبعها للتعامل مع رعيته، وهي السداد في الرأي، والتؤدة في الحكم.

أما العسف والظلم والاستكبار فمن غوائل المُلك، ومن دواعي زواله.

ثم يرفع سقف الخطاب ليبين للملك، طبائع العرب وأخلاقهم، ومدى استجابتهم لمن يسوسهم، وذلك بأساليب خبرية مدعومة بالتوكيد، يبدؤها بجملة الشرط التي يحدد من خلالها كيفية التعامل مع قومه العرب، فيقول:

---

322 الصَّفاةُ صَخْرةٌ مَلْساءُ. يُقالُ فِي المَثَلِ: مَا تَنْدَى صَفاتُه؛ ج صَفَواتٌ، انظر: الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: صفو).

323 المَلَق، مُحرّكةً: الوُدُّ واللُّطْفُ الشّديدُ، وأصْلُه التّلْيينُ.وَقيل: التّرفُّقُ والمُداراةُ، والمَلَقُ: أَن تُعْطيَ باللِّسان مَا لَيْسَ فِي القَلب. وَمِنْه الحَدِيث: لَيْسَ من خُلُق المؤْمِن المَلَقُ. الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة" ملق).

فإن أعلمناك أنَّ مُواجهتَنا لك عن ائتلافٍ، وانقيادَنا لك عن إنصاف، ما أنت بقبول ذلك منا بخَليقٍ، ولا الاعتمادِ عليه بحَقيقٍ، ولكن الوفاءُ بالعهود، وإحكامُ العقود، والأمرُ بيننا وبينك مُعتدِلٌ، ما لم يَأتِ من قِبَلك مَيلٌ."

لقد عدَّ مكانة العرب لاتقل عن مكانة الملك، فإن أرادهم أن ينقادوا إليه لا يتسنى له ذلك إلا بالعدل والمساواة، والمعاملة بالمثل.

وقد وظف السجع وحسن التقسيم ليوحي للملك برفعة قومه، ومساواتهم للمَلك وقومه

وهنا ينتفض الملك مغضبًا ويسأله:**" مَن أنت؟"** فيجيبه بثقة عالية: **" الحارثُ بن ظالمٍ"**

فيقول له: **"إنَّ في اسم أبيك دليلًا على قِلَّة وفائك"**

وتلوح سَوْرَةُ الغضب في خطاب الملك، فقد أكَّد الخبر بـ**"إنَّ"** وقدم شبه الجملة على اسم إن للتركيز على اسم أبيه**" ظالم"** ليؤكد للحارث قناعته بغدره بعدم وفائه .

وهنا ينتبه الحارث لما أثار غضب الملك، ويذَكِّره بأخلاق الملوك العظام، ليبعث في نفسه الترفع عن السفه والحمق، فيقول له مستدركًا: **" الحِلم مع القُدرةِ، فلْتُشبهْ أفعالُك مجلسَك."**

فقد قدم لطلبه بجملة اسمية تمثل حكمة خالدة، ثم استخدم أسلوب النصح والإرشاد المتمثل بلام الأمر مع الفعل المضارع ليدل على الاستمرار والدوام، يذكره بالخصال الراقية، التي ينبغي أن يتخلق بها، بالترفع عن سفاسف الأمور، والتحلي بمعاليها.

عند ذلك يسكن غضب الملك، ويخلع على الوفد الخِلَع ويردهم إلى ديارهم غانمين سالمين.

ونذكر من أدب الجاهليين وفود حاجب بن زرارة على كسرى، حيث استخدم أسلوبًا خبريًا طريفًا، له غرضه كسب الثقة والمودة، إلى جانب التشويق والإمتاع.

فحينما طُلب منه التعريف بشخصه، أبى أن يجعل لنفسه أية صفة، حتى يقف بين يدي كسرى، فلما مثل بين يديه، سأله مستجليًا خبره: **من أنت؟**، قال:**"سيد العرب! "**

كان الجواب خبرًا يحتمل الصدق والكذب؛ أوجز فيه خطابه بجملة اسمية تحمل في طياتها الثبوت والتمكن، وحذف المبتدأ **"أنا"** أدبًا منه في مخاطبة الملك أراد بذلك أن يُوصل إليه رسالة إعلامية، مفادها أنه بالمثول بين يديه، حاز شرف السيادة على العرب.

ولم يكن غرضه الاعتزاز بسيادته، أو الافتخار بعروبته، وإنما أراد أن يُقَدِّس مكانة الملك، ويجل قدره، ويَشْرُف بالانتساب إليه، ويعلي من شأنه.[324]

المطلب الثاني: الأساليب التعبيرية في نثر الوفود الإسلامية:

- إن من أطرف أساليب حوارات الوفود ماجرى في مجلس أمير المؤمنين مُعَاوِيَة بن أبي سفيان - رضي الله عنه-، حينما وفد عليه أشراف الْعَرَب وسادتهم، ومعهم شَرِيك بن الْأَعْوَر الْحَارِثِيّ [325]. فَلَمَّا اطْمَأَن بِهِم المَجْلِس، أراد مُعَاوِيَة أن يلاطفهم ويمازحهم فالتفت إلى شريك، وسأله: **"مَا اسْمك؟"** فأجابه بلا تردد ولا حرج: **"شريك"**، وهنا بدأ معاوية أسلوب الدعابة الذي عرف به مع وفوده فقال: **"مَا لله من شريك! وإنك أعور، وَالصَّحِيح خير من الْأَعْوَر، وإنك لدميم، والجميل خير من الدميم، فَبِمَ سدت قَوْمك؟"**

كان أسلوب أمير المؤمنين مع شريك قاسيًا، ودعابته فجة، فاستخدم أسلوب القصر في تنزيه الله عن الشرك بإثبات الوحدانية له **"مَا لله من شريك!"** ووظف التوكيد بـ **"إن"** ليعيره بالعور، والدمامة، وأخذ يصف الرجل بأوصاف انتقصت قدره، وحطت من مكانته بين أشراف العرب، وهو سيد بني حارثة، فاستخدم الأسلوب الخبري في تعداد نقائص اتسم بها شريك، من اسمه المستهجن، إلى عينه العوراء، إلى قبح منظره وشكله؛ ثم فاجأه بالاستفهام الإنكاري، **"فبم سدت قومك؟"** رغم هذه النقائص التي تحط من مكانة الرجل يسود قومه؟. إنه أمر يدعو إلى العجب.

وهنا يعتدل شريك في مجلسه، و قد تملكته سَورة الغضب، فيعمى عن كل الأعراف في مخاطبة الملوك، ويتجه إلى أمير المؤمنين مخاطبًا، بلا تحفظ ولا تحرج، فيبدأ كلامه بأسلوب القسم الذي يؤكده بـ**"اللام وقد"**، يعبر فيه عن غضبه، وعزمه على الرد المناسب، واللائق بمن ابتدأ بالانتقاص، ويفصح عن حميته وغضبه فيقول له: **"وَالله لقد أحميت أنفي، ولابد من إجابتك"**، ثم يعقبه بقسم آخر يؤكده بإنَّ المقترنة بكاف الخطاب، حتى لا يتوهم أن الخطاب موجه لغيره، فيقول له: **" فوَاللَّه،**

---

[324] انظر: خبر وفود حاجب بن زرارة على كسرى " ص13" من هذه الرسالة.

[325] شريك بن الأعور الحارثي، شاعر، وفد على عمر بن الخطاب - رضوان الله عليه -، وكان من أصحاب عليّ عليه السلام، شهدَ معه الجمل وصفّين، ووفدَ على معاويةَ، وأشخَصَه ابنُ زياد من البصرة إلى الكوفة، فمات بعد خروج مسلم بن عَقِيل بثلاثة أيام. انظر: ابن قزغلي، *مرآة الزمان*،ج8،ص42.

إنك لمعاوية، وَمَا مُعَاوِيَةُ إلَّا كلبةٌ عَوَتْ فاستعوت، وإنك لابن صَخْر والسهل خير من الصخر، وإنك لابن حَرْب، وَالسّلم خير من الْحَرْب، وانك لابن أُميَّة، وَمَا أُميَّة إلَّا أَمَة صغرت فاستصغرت، فَبِمَ سدت قَوْمك؟!"[326]

لقد حشد لمعاوية صفات لم تخطر له ببال، فاستخدم أساليب خبرية كلها مؤكدة بإنَّ المتصلة بكاف الخطاب، يسودها الحصر والقصر، يكيل له من خلالها شتائم تقطع حجته وتسكته، فبدأ باسمه، وهو اسم مصغر موافق لاسم الكلبة الصغيرة التي تعوي، ثم ذكر اسم أبيه صخر، الذي يمثل الوعر من الأرض، وقارنه بالسهل، والسهل خير من الوعر، ثم ذكر اسم جده حرب، وقرنه بالسلم، وسِلم القوم خير من حربهم، ثمَّ أتى على اسم عشيرته بني أمية، فأخبره أنَّ أمية اسم مصغر للأَمة، وهي الجارية المُسْتَرَقَّة.

وأخيرًا ختم خطابه بالاستفهام الإنكاري **"فبم سدت قومك؟!"**

لقد بالغ شريك في الانتقاص من قدر الخليفة، وتمادى في إهانته، حتى أشعر معاوية بالحرج أمام الوفود، فطالبه الخروج من المجلس، فخرج مغضبًا وهو يرتجل أبياتًا من الشعر تنم عن الاعتزاز والإباء يقول في مطلعها:

أَيَشْتُمُنِي مُعَاوِيَة بنُ صَخْرٍ وَسَيْفِي صَارِمٌ وَمَعِي لِسَانِي[327]

لقد استطاع شريك أن ينتصر لنفسه، ويثبت لمعاوية ومن حضره من الوفود أن المرء بمَخبره لا بمظهره، وبأصغريه قلبه ولسانه.

ويذكرنا هذا بجفاء الأعراب عندما يفد عيينة بن حصن على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فيخاطبه بأسلوب فج غليظ، يفتقر إلى اللياقة والحكمة حينما يقول له:

" هِي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجَزْل، ولا تحكم بيننا بالعدل"

لقد راوح بين الأسلوب الخبري والأسلوب الإنشائي في خطابه الإعلامي، فانتزع من بيئته البدوية كلمة "هِي" التي تحمل معنى الزجر، يتخاطب بها البدو فيما بينهم، و يزجرون بها إبلهم، ثم يناديه باسمه المجرد "يا بن الخطاب" وفي هذا الأسلوب تقليل من شأن المخاطب، وحَطٌّ من مكانته، وكانه

---

[326] ابن عساكر، *تاريخ دمشق*، رقم 9963، ج73، ص166، والحارثي، *الكشكول*، ج1، ص276، و ابن قزغلي، *مرآة الزمان*، ج8، ص76.

[327] انظر: المصادر السابقة نفسها .

يخاطب من هو دونه رتبة، فلا لقب ولا كنية؛ ثم يختم خطابه بأسلوب القسم: **"فوالله ما تعطينا الجَزْل، ولا تحكم بيننا بالعدل"**

ليؤكد اتصاف الخليفة بصفتين قبيحتين مرذولتين: الشح في العطاء، والظلم في القضاء؛ وقد برء أمير المؤمنين من كلتا الخصلتين.

ما أثار غضب عمر، حتى هم أن يبطش به، لولا حكمة ابن أخيه الحر بن قيس.[328]

- أما تنوع الأساليب في المشهد الحواري، الذي دار بين الإمام الشعبي والحجاج، فيكشف عن مدى اهتمام العرب بصواب اللغة والمنطق، وذمهم اللحن والخطل في القول، فحينما **دخل** الشعبي[329] على الحجاج[330]، سأله عن عطائه، قال: **"كم عطاءك؟** ولحن في السؤال، فوافقه الشعبي باللحن في جوابه، قال: **" ألفين! "** فغضب الحجاج، وأعاد السؤال مصوبًا اللغة، قال: **" ويحك!**[331] **كم عطاؤك؟"** فرد عليه بالصواب قال: **"ألفان"** فعجب الحجاج من الإجابتين، وسأله**: "فلم لحنت فيما لا يلحن فيه مثلك؟"** وهنا يكشف الشعبي عن لطيفة من لطائف الأدب في مخاطبة الأمراء، والملأ من الناس، قال: **" لحن الأمير فلحنت، وأعرب الأمير فأعربت؛ ولم أكن ليلحن الأمير فأعرب أنا عليه، فأكون كالمقرِّع**[332] **له بلحنه، والمستطيل عليه بفضل القول قبله!"** فعجب الحجاج من فطنة الشعبي، وتلطفه في الخطاب. فأكرم وفادته، وأجزل عطاءه.[333]

والمتأمل في مادة هذا الوفد، يجد الطرافة في أدب الحوار بين العالم والأمير، فزلة الحجاج في سؤاله اغتنمها الشعبي ليظهر له ولاءه، ويكشف عن ذكاء وفطنة، قل من يمتلكهما.

مجاملة الحجاج للشعبي بأسلوب الاستفهام **"كم عطاؤك؟"**، ينم عن اهتمامه به، وقوله: **"ويحك!"**هو أسلوب ترحم يخاطب بها من نزلت به بلية، وكأن الحجاج عد اللحن في القول مصيبة حلت بالشيخ، فسقط سقطة عظيمة بلحنه.

---

[328] انظر: خبر وفود عيينة بن حصن الفزاري على عمر بن الخطاب، (ص91) من هذه الرسالة.

[329] عامر بن شراحبيل بن عَبْدِ بنِ ذِي كِبَارٍ - وَذُوْ كِبَارٍ: قيل من أقيال اليَمَنِ- الإِمَامُ، عَلاَّمَةُ العَصْرِ، أَبُو عَمْرٍو الهَمْدَانِيُّ، ثُمَّ الشَّعْبِيُّ.(ت:104هـ)، انظر:الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، ج5،ص171

[330] الحَجَّاجُ بنُ يُوْسُفَ الثَّقَفِيُّ، كَانَ جَبَّاراً، سَفَّاكاً لِلدِّمَاءِ، وَكَانَ ذَا شَجَاعَةٍ، وَإِقْدَامٍ، وَمَكْرٍ، وَدَهَاءٍ، وَفَصَاحَةٍ، وَبَلاَغَةٍ، وَتعَظِيْمٍ لِلْقُرْآنِ.(ت: 95هـ)، انظر: الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، ج4، ص 343.

[331] وَيَحَ: الْوَاوُ وَالْيَاءُ وَالْحَاءُ. يُقَالُ وَيْحَ: كَلِمَةُ رَحْمَةٍ لِمَنْ تَنْزِلُ بِهِ بَلِيَّةٌ. انظر: ابن فارس، *مقاييس اللغة*، (باب الواو والياء وما يثلثهما).

[332] التَّقْرِيع: التعنيفُ والتثريبُ، يُقَال: النُّصحُ بَين الملإِ تَقْرِيعٌ: هُوَ الإيجاعُ باللَّوْم. وقَرَّعَه تَقْرِيعاً: وَبَّخَه وعَذَلَه. الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: قرع).

[333] انظر: ابن عبد ربه، *العقد الفريد*، ج2، ص6.

وحينما يستفهم الحجاج مستغربًا عن سبب الخطأ الذي وقع فيه الشيخ، بأسلوب إنكاري تعجبي، يرد الشعبي اعتباره، بأساليب خبرية جزلة موجزة، يعبر من خلالها عن مدى أدبه وسعة علمه، وحدة ذهنه.

وكأنه يريد أن يوصل إليه رسالة إعلامية مفادها: إنَّ ولائي لك أيها الأمير على كل حال، فأنا معك في صوابك وخطئك، وسرائك وضرائك.

المطلب الثالث: الأساليب التعبيرية في شعر الوفود الجاهلية:

والأساليب الأدبية في الشعر، لا تقل تفننًا عن النثر، بل قد يفوق الشعر النثر في تلوين الأساليب وتنويعها، للتأثير في عاطفة المخاطب ووجدانه.

ولعل تنوع الأساليب في شعر الوفود الجاهلية والإسلامية، له الأثر الأبلغ في إيصال الرسالة الإعلامية، لنيل المطلوب، وحصول المقصود.

فعندما وفد رجل من طيء يقال له حنظلة بن عفراء على النعمان بن المنذر يبتغي الرفد والعطاء، لكن سوء حظه أورده في يوم بؤس النعمان، الذي كان يقتل فيه كل من يفد عليه، فأمر النعمان بضرب عنقه وإهراق دمه؛ فقال له:" **أبيت اللعن؛ إني والله أتيتك زائرًا، ولأهلي من خيرك مائرًا، فلا تكن ميرتهم قتلي"**؛

فأبى عليه النعمان، وما أراد أن يبدل سنته في يوم بؤسه؛ لكنه أعطاه فرصة ليقضي له حاجة قبل إزهاق روحه، فرجاه أن يمهله سنة قبل إنفاذ حكمه، ليودع أهله، ويوصيهم بوفاء دَينه، ثم يعود إليه، ليحكم فيه ما يشاء بعدها، فطلب الملك منه كفيلاً يضمن عودته، فأخذ يتفرس في وجوه جلساء الملك، فعرف فيهم شريك بن عمرو أبا الحوفزان، وتوسم فيه خيرًا، فاتجه إليه متوسلاً وهو يقول:

يَـا شَـرِيكًا يـا ابْـنَ عَمْـرٍو مَـا مِـنَ المَـوْتِ مُحَالـهْ

يَـا شَـرِيكًا يَـا ابْـنَ عَمْـرٍو يَـا أَخَـا مَـنْ لَا أَخَـا لَـهْ

يَـا أَخَـا شَـيبَانَ فـكّ ال يَـومَ رَهْنَـا قَـدْ أَتَـى لَـهْ

يَـا أَخَـا كُـلِّ مُصَـابٍ وَحَيَـا مَـنْ لَا حَيَـا لَـهْ

إنّ شَـــــــيْبَانَ قَبِيـــــــلٌ أَكْـــرَمَ اللهُ رِجَالَـــهّ [334]

لقد اختار الطائي في شعره مجزوء الرمل، لما يعتريه من اضطراب وجزع، أبيات ارتجلها، يسودها جو من الرعب والفزع، والرجاء والأمل، حيث يلوح له في الأفق شبح الموت، ويلمع في سمائه بريق السيف.

والمتأمل في الأبيات يلمح أسلوب النداء المتكرر في الشطر الأول من كل بيت، وقد غلب على وجدان الوافد مشاعر الحزن والأسى، تترجمها هذه النداءات التي تحمل في طياتها ملامح الندبة والاستغاثة.

وقد ضَمَّنَ نداءاته مفردات المدح والإطراء، لمن يأمل كفالته عند الملك.

ففي البيت الأول يخاطب المنادى باسمه واسم أبيه، معلنًا تسليمه للقضاء، وإذعانه للمصير المحتوم، من خلال أسلوب الحصر الذي يقرره في الشطر الثاني من البيت، **" ما مِنَ المَوْتِ مُحَالهْ"**

ثم يناديه في البيت الثاني ليبعث النخوة والحمية في نفسه، والمروءة والنجدة في وجدانه، فيصفه بتحمل ثقل التبعة التي لا يطيقها غيره؛ **"ياأخا من لاأخاله "**

ثم يكرر النداء، ويعقبه بأسلوب الأمر المتضمن معنى الالتماس في طلب فكاكه من الأسر الذي وقع فيه" **فُكَّ اليَومَ رَهْنًا قَدْ أَنَى لَه"** ويكرر مدحه بوصفه الوفي لدى المصاب، والمستجيب حين الطِلاب، في زمن الشدائد الصعاب.

فهو مجير من لا مجير له، ومغيث من لا مغيث له، ويشبهه بالغيث الذي يسقي الأرض العطشى، التي يئس صاحبها من أي غيث.

ثم يختم شعره بمدح قوم شريك وعشيرته، بأسلوب خبري معزز **بـ"إنَّ"** ليؤكد على أكرام الله - تعالى- لرجالها، وخصهم بالمكارم والمحامد.

وهنا يغلي الدم في عروق شريك، ويقوم بين يدي الملك ليقول: **" أبيت اللعن! يدي يده ودمي بدمه إن لم يعد إلى أجله."**

قبل النعمان كفالة شريك، وأطلق سراح الطائي، وأمهله سنة، ليعود في الموعد المحدد ليقضي فيه ما يشاء.

---

[334] ابن حمدون، *التذكرة الحمدونية*، ج8، ص18، والبغدادي، *خزانة الأدب*، ج11، ص273.

وبعد انقضاء العام، وحلول الموعد المضروب، دعا الملك شريكًا ليقتله، فحضر يحمل كفنه وحنوطه وافيًا بالعهد من غير تضجر ولا تذمر، لكنه استمهل الملك إلى آخر ساعة من النهار، كي ينقضي الموعد المحدد، فأمهله؛ وقبل غروب الشمس أقبل الطائي متحنطًا، يحمل كفنه بيده، مستعدًا للقاء مصرعه؛ وقد أحضر معه نادبة تندبه.

فلما رأى المنذر مشهد الرجلين، كل منهما مستعد لإنفاذ حكمه، عجب من وفائهما وكرمهما فأطلقهما، وأبطل تلك السُّنَّةَ التي اعتادها، وأكرم كلًا منهما، فأغدق عليه من فيض عطائه؛ عرفانًا منه بطيب مَحْتِدِهِ.[335]

لقد استطاع الطائي أن يوصل رسالته الإعلامية، لمن تأمل منه النصرة والغوث، من خلال أساليب إنشائية متتابعة متكررة، صب فيها حاجته، طالبًا نصرته، في مقام عَزَّ فيه النصير، وانعدم المغيث.

- وأما وفود لبيد بن ربيعة على النعمان، الذي بادره بقوله:

مَهْلًا أَبَيْتَ اللَعْنَ لَا تَأكُلْ مَعَهْ إنّ اسْـــتَـــهُ مِـــنْ بَـــرَصٍ مُـــلَـــمَّـــعَـــهْ

وَإنّـهُ يُـدْخِـلُ فِيهَـا إصْـــبُعَـهْ يُدْخِلَهَا حَتّى يُوَارِي أَشْجَعَهْ كَأنّمَا يطْلبُ شَيْئًا ضَيَّعَهْ [336]

فقد استخدم أسلوب الأمر بالمصدر مهلًا، الذي ينوب عن فعله، وكان غرضه تنبيه الملك وتحذيره مما لا يدري كنهه، ولا يعلم خافيته؛ ثم أعقبه بالتعبير الذي اعتاده العرب في مخاطبة الملوك **أبيت اللعن**، وكأنه ينزهه عن أن ينسب إليه اللعن

ثم يفصح عما انتواه من تشويه صورة نديم الملك.

فيسوق الأساليب الخبرية التي يكرر تأكيدها **بـ"إنَّ** " ليقنع الملك بصدق قوله، يرسم له صورة تبعث في نفسه النفور والاشمئزاز من جليسه.

وقد نجح الوافد بتبليغ رسالته، التي ابتغى من خلالها إقصاء الربيع عن الملك .

---

[335] الْمَحْتِدُ: وَهُوَ الْأَصْلُ ; يُقَالُ: هُوَ فِي مَحْتِدِ صِدْقٍ. المَحْتِدُ أَيضاً: الطَّبْعُ، انظر: ابن فارس، *مقاييس اللغة*، *وتاج العروس*، (مادة حتد).

[336] البغدادي، *خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب*، ج9، ص551.

المطلب الرابع: الأساليب التعبيرية في شعر الوفود الإسلامية

ربما تختلف الأساليب التعبيرية في العصور الإسلامية عنها في الفترة الجاهلية، لأن الأدب العربي قد اكتسب مفردات جديدة من المصطلحات الدينية التي لايخلو منها أي من خطابات الوفود الإعلامية. فحينما وفد كعب بن زهير على النبي - صلى الله عليه وسلم- وأنشد قصيدته في الاعتذار والمدح، وظف مصطلحات دينية، لا تعرفها العرب قبل الإسلام، كما استخدم أساليب تعبيرية متنوعة، لاستعطاف قلب النبي - صلى الله عليه وسلم – طالبًا الصفح عما سلف من عداوته.

وأَخْتَارُ نموذجين من قصيدته "البردة" لإبراز مدى قدرته على توظيف الأساليب التعبيرية في خطابه الإعلامي، والمراوحة بين الخبر والإنشاء، لتحقيق مراده في تبليغ رسالته.

فحينما التمس منه التمهل في الحكم عليه، والتريث قبل عقوبته قال:

مَهْلًا[337] هَدَاكَ الَذِي أعْطَاكَ نَافِلَةَ ال قُرْآنِ فِيهِ مَواعِظٌ وَتَفْصِيلُ

فاختار الأمر في قوله: "مهلًا" وهو مصدر ناب عن فعله، وغرضه الالتماس رجاء الصفح والعفو، ثم أعقبه بأسلوب خبري غرضه الدعاء بالهداية من الذي أنزل عليه القرآن، وفيه تذكير بما حباه الله من منزلة رفيعة، ومن أخلاق النبوة الكريمة، التي تدعوه للحلم والعفو، وعدم الانتقام. فقال: **هَدَاكَ الَّذِي أعْطَاكَ نَافِلَةَ القرآن...**

ثم اختار النهي الذي غرضه الاستعطاف والاسترحام، فقال:

لَا تَأخُذَنِّي بَأَقْوَالِ الوُشَاةِ .

لقد ساق هذه الأساليب طامعًا أن يتريث النبي في اتخاذ القرار بشأنه، وعدم التسرع في الحكم عليه، ثم أعقبه بالخبر المنفي الذي غرضه الإنكار، مُتَّهمًا المتقولين عليه بالافتراء: **" وَلَمْ أُذْنِبْ، وَإِنْ كَثُرَتْ فِيَّ الأَقَاوِيلُ"**

لقد استخدم النفي بعد النهي، متبرئًا من الذنب، رغم ما شاع عنه من اتهامات شتى.

ومن بديع ما ورد في قصيدته، مدحه للصحابة المهاجرين، والثناء عليهم بالفروسية والبطولة، فاستخدم أسلوب الخبر المعزز بالجمل الاسمية التي تفيد الثبوت والاستمرار، حيث قال في وصفهم:

---

[337] مهلًا: بِمَعْنى أَمْهِلْ: أَيْ ارفُقْ واسْكُنْ لَا تَعجَلْ. انظر: الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: مهل).

شُمُّ العَرَانِينِ[338] أَبْطَالٌ لَبُوسُهُمُ مِنْ نَسْجِ دَاودَ فِي الهَيْجَا سَرَابِيلُ

فقد اختار عبارات تصفهم بالرفعة، والعزة والشموخ، في قوله: " **شم العرانين**" كما يوحي التعبير بالثبات والرسوخ، لأن " العرن أصل في الثبات"[339]

ووصفهم بالأبطال البواسل، فلباسهم في المعارك الدروع السابغة، ليوحي باستعدادهم الدائم لملاقاة أعدائهم وقتالهم.

- ومن روائع شعر الوفود الذي راوح فيه الوافد بين الخبر والإنشاء، ووظف هذه الأساليب في إقناع أُ*لممدوح برسالته الإعلامية، وإمتاعه بسماعها، وذلك لتحقيق مراده، وبلوغه مناه؛ ما روي عن أعرابي قدم على يحيى بن خالد البرمكي[340] فأنشده:

سَأَلْتُ النَّدَى: هَلْ أَنْتَ حُرٌّ؟ فَقَالَ: لَا وَلَكِنَّنِي عَبْدٌ لِيَحْيَى بْنِ خَالِدِ

فَقُلْتُ: شِرَاءً؟ قَالَ: لَا بَلْ وِرَاثَةً تَوَارَثَنِي عَنْ وَالِدٍ بَعْدَ وَالِد [341].

لقد استهل خطابه ببراعة منقطعة النظير، فقد أتحف الأمير بخبر طريف، يدعي فيه أنه عقد حوارًا بينه وبين الكرم، فسأله عن حاله: أهو حر طليق، أم عبد رقيق، فأجابه السخاء بأنه عبد مملوك ليحيى بن خالد؛ وكأنه أراد أن يقصر هذه الخصلة عليه، فليس لأحد أن ينال شرف الاتصاف بها إلا هو، ولا سبيل لأحد أن يعثر على الجود والسخاء إلا عنده، وفي أعتابه، ثم يرفع سقف المدح ويدعي أنه سأل الكرم، هل هو حديث عهد بيحيى؟ هل اشتراه من أحد؟ فأجابه: بل تراث موروث، تلقاه من الآباء عن الأجداد، فهو عبد ملازم لهم منذ القدم، لا يفارقهم ولا يستغني عنهم.

لقد وصل بهذا الخطاب المبدع إلى عقل الممدوح وقلبه، وحقق مراده في إقناعه بوجوب مكافأته، وإجزال عطيته.

- وتتنوع أساليب الوفود، ويكثر التفنن بإبداعاتها، فيحرص كل شاعر على أن يكون متميزًا عن غيره من الشعراء، بالوصول إلى قلب الممدوح وعقله؛ فينال مبتغاه، ويبلغ مناه.

---

[338] العرانين جمع عرنين وهو الأنف، انظر: الزبيدي، *تاج العروس*، ج 35، ص389.

[339] انظر: ابن فارس، *مقاييس اللغة*، (مادة :عرن).

[340] يحيى بن خالد: كان من النبل والعقل وجميع الخلال على أكمل حال، وكان المهدي قد ضم إليه ولده هارون الرشيد، وجعله في حجره، فلما استخلف هارون عرف له حقه. انظر: ابن خلكان البرمكي، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، ج6، ص221.

[341] ابن عبد ربه، *العقد الفريد*، ج1، ص226.

فهذا أعرابي يستأذن على الأمير خالد بن عبد الله القسريّ[342]، ويخاطبه بقوله :

أَخَالِدُ إِنِّي لَمْ أَزُرْكَ لِخَلَّةٍ[343] سِوَى أَنَّنِي عَافٍ[344] وَأَنْتَ جَوَادُ

أَخَالِدُ بَيْنَ الحَمْدِ وَالأَجْرْ حَاجَتِي فَأَيَّهُمَا تَأتِي فِأَنْتَ عِمَادُ [345].

لقد بادره بأسلوب النداء واستخدم حرف "الهمزة" يخاطبه بها، ليوحي إليه بالقرب منه، كما يخاطبه باسمه، **"أخالد"** من غير لقب أمير، وكأنه رفع الكلفة بينهما، ليعبر له عن أنسه به، وقربه من قلبه، وحبه له.

وقد استخدم أسلوب النفي في قوله: **"لم أزرك لخلة"** ليجزم له أنه زائر وليس بسائل، ولم يفد على الأمير مستجديًا، ولا طالب صدقة، بسبب فقر أو مسكنة، ولكنه ضيف نازل على كريم، واستعمل الجمل الإسمية المؤكدة **بإنَّ** ليثبت له أنه ضيف والمضيف جواد كريم؛ ويضع حاجته بين الحمد والأجر، وإكرام الضيف محمدة ودِين: أما المحمدة، فيذيع صيته في العرب، فيشتهر بالجود والكرم، وأما الدين، فقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم -:«**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه** »[346].

وقد نَصَّب ممدوحه عميدًا[347] مقصودًا، لهاتين المحمدتين، فالمدح والثناء يأتيه، ويسعى إليه، لأن الضيف يمدح مكرميه، وهذه محمدة، كما يدَّخر الله له الأجر والثواب ليجازيه ويكافيه، ﴿والله يجزي المحسنين﴾؛ وهذه محمدة أجلُّ وأعلى.

وها هو ذا يحط رحاله بين الحالتين.

وكأنه أراد أن يحتاط لاستجابة الممدوح، فحَرَّض وجدانه، لسرعة الاستجابة، وبعث فيه حب الفخر والاعتزاز، كما أوقظ في ضميره مشاعر التدين وطلب الثواب.

فلا سبيل إلى الإفلات من البذل والسخاء لمادحه.

---

[342] خَالِد بن عبد الله بن يزِيد الْقَسرِي، أَمِير مَكَّة للوليد وَسليمَان، وأمير العراقين لهشام، وَهُوَ من أهل دمشق ... كَانَ جواداً سخياً ممدَّحاً فصيحاً، أنظر:الصفدي، *الوافي في الوفيات*، ج13، ص155.

[343] الْخَلَّةُ الْفَقْرُ; لِأَنَّهُ فُرْجَةٌ فِي حَالِهِ. وَالْخَلِيلُ: الْفَقِير، انظر: ابن فارس، *مقاييس اللغة*، (مادة: خلَّ).

[344] العافِي: الضَّيفُ. وكلُّ طالِبِ فَضْلٍ أَوْ رِزْقٍ:عافٍ. انظر: الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: عَفَوَ).

[345] ابن عبد ربه، *العقد الفريد*، ج1، ص226.

[346] انظر: سليمان بن الأشعث الأزدي، *سنن أبي داوود* (بيروت: دار الرسالة العالمية، 2009م)، رقم 5154، 7ج، ص463، إسناده صحيح.

[347] انظر: التفصيل في معنى عميد في: ابن فارس، *مقاييس اللغة*، (مادة: عمد).

المبحث الثالث: الخيال التعبيري في الخطاب الإعلامي لأدب الوفود.

ومثلما يختار الوافدون الكلمات المعبرة، والألفاظ الموحية، لإقناع من وفدوا عليهم وإمتاعهم، ويوظفون الأساليب المختلفة والمتنوعة، لتعزيز رسائلهم الإعلامية التي حرصوا على توصيلها إلى من وفدوا عليهم؛ كذلك يُعْنَى الوافد بالصور البلاغية التي تطرز خطابه، وتخدم رسالته، لتحقيق مراده.

وقد حشد الوافدون الكثير من الصور المتنوعة في خطاباتهم، حري بنا أن نقف على بعضها، نتأملها ونكشف أسرارها.

المطلب الأول: الخيال التعبيري في نثر الوفود الجاهلية:

إن من أطرف الوفود قدوم سادات العرب واشرافهم على الملك عمرو بن هند، لتعزيته بوفاة أخيه مالك، فَلَمَّا أخذُوا مجَالِسهمْ، قام حكيم العرب أكثم بن صيفيّ فوقف بين يديه وقال: **" أيها الملك، إنّ أهل هذه الدار سَفْرٌ[348] لا يحلّون عقد الرحال إلا فى غيرها."**

لقد شبه أكثم حال الناس في هذه الحياة الدنيا بركب مسافر، يفارق دياره، ليؤم غيرها، يطوي الفيافي والقفار، لا ينفك عن الرحيل، ولا يتوقف عن المسير. حتى يبلغ به السفر الدار الآخرة؛ وهذه الحقيقة التي لا يختلف عليها اثنان.

ثم يقول له:

"وقد أتاك ما ليس بمردود عنك، وارتحل عنك ما ليس براجع إليك، وأقام معك من سيظعن ويَدَعُكَ".

حيث شخص الموت الذي لابد منه، فشبهه بزائر قادم، لا يمكن لأحد أن يقف في وجهه، أو يرده عن مبتغاه.

---

[348] السَّفْرُ: الْمُسَافِرُونَ. قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ: رَجُلٌ سَفْرٌ وَقَوْمٌ سَفْر، انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة (مادة سفر).

ومَثَّلَ له حال فقيده الذي صرعته المنية، بمسافر مرتحل ليس له أن يراه بعد رحيله، وكشف له عن حقيقة الفناء التي تطال الناس جميعًا، فكل منهم لامحالة سيظعن ويرتحل، وبين له أن كل من حوله، من خدم وحشم وجند وحاشية سيتركونه ويرحلون، وسيواجه مصيره وحده

وكأنه يتفق مع الشاعر الفارس عمرو بن معدي كرب، حيث قال:

ذَهَـــــبَ الـــــذينَ أحِـــــبَّهُمْ وبَقِيـــتُ مَثـــلَ السَّـــيْفِ فَـــرْدا[349]

ثم يحث الملك ليشكر الله على المنن، والرضا بما قدر عليه من المحن، فيقول له:

" فما أحسن الشكر للمنعم، والتسليم للقادر!"

ثم يعرض له صورة بيانية رائعة، حيث يشبه الخلق بالشجر، الآباء أصولها، والأبناء فروعها؛ فيقول: **"وقد مضت لنا أصول نحن فروعها، فما بقاء الفرع بعد أصله!"**

فإذا ذهبت الأصول، فما مصير الفروع؟ إنها ستلحق بها حكمًا.

وأخيرًا يختم تعزيته بحكم خالدة، تمثل نظام الحياة الإنسانية في الوجود؛ حيث يقول: **"واعلم أن أعظم من المصيبة سوء الخلف منها، وخير من الخير مُعطيه، وشرّ من الشر فاعله"**[350]

إنه يقرر حقيقة إنسانية مفادها، أن المصيبة شديدة الوقع على النفس، صعب تحملها، ولكن الأصعب والأشد أثر المصيبة وعاقبتها، لأن المصيبة تنقضي وتنسى، أما جريرتها فأشد إن لم تكن هناك نفس قوية تستوعبها وتتكيف معها.

كما إن فعل الخير حسن الوقع على النفس، ولكن الأحسن منه أن تلقى فاعله، ويربطك به دوام التواصل، والشَّرُّ كريه تعافه النفس، ولكن فاعل الشر أكره منه وأسوأ.

- ولما وفد الربيع بن زياد، على النعمان بن المنذر وكان من أشراف قومه وبه برص مشوِّه، بادره النعمان بقوله: **"ما هذا البياض بك؟"**، فكانت إجابته مدهشة؛ لم يُحرج ولم ينكسف، وإنما أجاب من غير تلبث: **" سيف الله جلَّاه".**[351]

---

[349] البغدادي، *خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب*، ج11، ص229.

[350] النويري، *نهاية الأرب*، ج5، ص167، وابن عبد ربه، *العقد الفريد*، ج3، ص260، ومنصور بن الحسين الرازي، *نثر الدر في المحاضرات* (بيروت: دار الكتب العلمية، 2004م)، ج7،ص73.

[351] ابن عبد ربه، *العقد الفريد*، ج2، ص294، و النويري، *نهاية الأرب*، ج5، ص167.

لقد جعل من القبيح مليحًا، ومن النقص كمالاً، حيث شبه البياض الذي ظهر في وجهه، ببريق السيف الذي جُرد من غمده، فأنزل وجهه منزلة السيف، وظهور البياض فيه كظهور اللمعان في صفحة السيف عند تجريده.

وزاد ذلك التشبيه تشريفًا، حيث أضاف السيف لله، فأضفى على الوَضَح الذي ظهر في وجهه، صفة القداسة والتعظيم، فهو **"سيف الله جلاه"**

- ولما وفد أشراف قريش على سيف بن ذي يزن، ملك اليمن، مهنئين بالنصر على الأحباش، مباركين بعزة المُلك، وبسط السلطان.

تكلم باسم الوفد عبد المطلب بن هاشم، جد النبي- صلى الله عليه وسلم-؛ فرصع خطابه بصور بيانية أدهشت الملك وأخذت بمجامع قلبه، حيث قال:

" إن الله تعالى - أيها الملك - أحلك محلاً رفيعاً صعباً منيعاً باذخاً شامخاً،[352]

فجعل من مكانته الرفيعة في ملكه، ومنعته في سلطانه، حصنًا منيعًا، ومنزلًا رفيعًا، أنزله الله فيه؛ وكأنه في قمة جبل شاهق، لا يصله من الخلق إلا من أراد.

ثم أخذ في الثناء على حسبه ونسبه، فشبهه بشجرة مثمرة زكية، بذرتها طيبة نقية، جذورها راسخة ثابتة، وفروعها سامقة عالية، في أرض خصبة التربة، طيبة المنبت، فقال:**" وأنبتك منبتاً طابت أرومته،**[353] **وعزت جرثومته،**[354] **ونبل أصله، وبسق**[355] **فرعه، في أكرم معدن وأطيب موطن."**

ثم يرتقي في مدحه، ويسمو في وصفه، فيختار المفردات من البيئة العربية، فيجعلها مادة لتشبيهاته واستعاراته، فيقول:

" فأنت - أبيت اللعن - رأس العرب وربيعها الذي به تخصب، وملكها الذي له تنقاد، وعمودها الذي عليه العماد، ومعقلها الذي إليه يلجأ العباد،"

حيث شبهه بالربيع الخصب الذي يرتع فيه الناس، كما مثله بعمود البيت الرفيع الذي تنصب عليه خيامهم، فلا حياة للعرب بغير مراعٍ خصبة، ترتع فيها أنعامهم وأنفسهم، وخيام يبيتون فيها ليلهم،

---

[352] الشَّامِخُ: الرَّافِعُ أَنفه عِزّاً وَتَكَبُّرًا وَالْجَمْعُ شُمَّخٌ. وَقَدْ شَمَخَ أَنفه وبأَنفه يَشْمَخُ شُموخاً: تَكَبَّرَ وَتَعَظَّمَ. ابن منظور، *لسان العرب*، (مادة شمخ).

[353] والأَرُومة، الأَصلُ،: أصل الشَّجَرَة واستعملت للحسب يُقَال هُوَ طيب الأرومة كريم الأَصْل. إبراهيم مصطفى، *المعجم الوسيط*، (مادة: أرم).

[354] الجرثومة:أصل الشيء، ومصدره، ومجتمعُه. ابن منظور، *لسان العرب*، (مادة جرثم).

[355] بسق: بسَقَ الشَّيْءَ يَبْسُق بُسوقاً: تَمَّ طُولُهُ. وَفِي التَّنْزِيلِ: وَالنَّخْلَ باسِقاتٍ لَها طَلْعٌ نَضِيدٌ. ابن منظور، *لسان العرب*، (مادة بسق).

ثم شبه الملك بالحصن المنيع **"المعقل"** وهو الملاذ الأمن، لكل من يأوي إليه خائفًا، أو يلوذ به مستجيرًا.

ثم يعود فيثني على حسبه ونسبه، فيجعل آباءه خير الآباء، وهو بعدهم من خير الأبناء، ويربط عزَّ العرب بعزه، وذكرهم بذكره، فيقول:

" سلفك خير سلف وأنت لنا بعدهم خير خلف، ولن يهلك من أنت خلفه، ولن يخمل من أنت سلفه"[356].

لقد وظف عبد المطلب في خطابه بديع الخيال، فانتزع من البيئة بعض مفرداتها، وأضفى على الملك بعض صفاتها، لكي يقنعه برسالته الإعلامية، التي أراد أن يوصلها إليه؛ فيحظي بثقته، ويعزز سبل التواصل، وأواصر التعاون بين قريش ومملكة اليمن.

وقد نجح في ذلك، حتى لفت انتباهه إليه، فسأله عن شخصه، ومن يكون؟

ثم أكرمه، وأكرم من معه من الوفد؛ ورجعوا إلى قومهم معززين مكرمين.

المطلب الثاني: الخيال التعبيري في نثر الوفود الإسلامية.

إن من أبلغ خطابات الوفود وأفصحها، خطاب الأحنف بن قيس التميمي[357] بين يدي عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- حينما دخل عليه وعنده وفود العراق من أهل الكوفة والبصرة، فتكلم كل من الوافدين في نفسه وخاصته، ثم قام الأحنف وبدأ خطابه بوصف منازل أهل العراق والشام ومصر، وزعم أنها تمتاز بالرغد والسعة، حيث قال: **"... وإنّ إخواننا من أهل الكوفة والشام ومصر نزلوا منازل الأمم الخالية، والملوك الجبابرة، ومنازل كسرى وقيصر وبني الأصفر، فهم من المياه**

---

[356] ابن عبد ربه، *العقد الفريد*، ج1، ص291، وأبو الفرج الأصبهاني، *الأغاني*، ج17، ص199.

[357] الأحنف هو الضحاك بن قيس التميمي السعدي.، يكنى أبا بحر، أسلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يره، ودعا له رسول الله. انظر: القرطبي، *الاستيعاب في معرفة الأصحاب*، ج2، ص715.

العذبة، والجنان المخصبة في مثل حِوَلاءِ السَّلَى[358] وحَدَقِةِ البَعِيرِ[359]،تأتيهم ثمارهم غَضَّةً لم تتغيّر".

لقد أبدع صورة خيالية لخصب أرض الشام والكوفة ومصر، فشبهها بِحِوَلاءِ السَّلَى، وهي الجلدة الرقيقة التي يتغذى منها الحوار وهو جنين، ثم تنزل معه عند ولادته، والجامع بينها وبين خصب الأرض وريها، الرطوبة وكثرة الماء، وأردف صورة أخرى لتلك المنازل، فشبهها بحدقة البعير، والعرب تضرب المثل للخصوبة والري بعين البعير، وقد أراد أن يصور للخليفة وفرة مياه تلك الديار، وكثرة ثمرها، ونضارة زرعها، وقد انتزع عناصر التشبيه من بيئته البدوية، وأعز ما في بيئتهم الإبل، لذلك وظف في تشبيهه سلى الناقة، وعين البعير، ليقدم للخليفة صورة ترسم في تفاصيلها رغد العيش، وسعة الرزق، في تلك الديار المنعمة؛ لينتقل بعدها إلى وصف ديار قومه ومنازلهم في البصرة، فيصفها بشح مائها، ومَحْلِ أرضها، ومعاناةِ رجالها ونسائها وأطفالها، فيقول: **"وإنا نزلنا أرضا نَشَّاشَة، طَرفٌ في فلاة، وطَرفٌ في ملح أجاج، جانب منها منابت القصب، وجانب سبخة نشّاشة، لا يجف ترابها، ولا ينبت مرعاها، تأتينا منافعها في مثل مريء النعامة، يخرج الرجل الضعيف منّا يستعذب الماء من فرسخين، وتخرج المرأة بمثل ذلك ترنّق[360] ولدها ترنيق العنز، تخاف عليه العدوَّ والسَّبُع."**

لم يجد في بيئته أضيق من مريء النعامة، ليشبه به ضيق المعيشة في منازل قومه،

فأراضيهم سباخ مالحة، لا تصلح لزراعة ولا لرعي، ولا يأتيهم منها إلا النزر اليسير، كما أن الماء العذب بعيد المنال لا يصلون إليه إلا بشق الأنفس. وأراد أن ينقل إلى الخليفة صورة مؤثرة للمعاناة التي يكابدها قومه للحصول على الماء، فاختار لذلك صورًا تثير الشفقة والرحمة، يستدر بها عطف الخليفة، فعرض صورة الرجل الضعيف، الذي يسير مسافة فرسخين، يطلب لأهله عذب الماء، يحمله إليهم بمشقة بالغة، والمرأة التي تخرج من بيتها، تبتغي السقيا لأهلها، وهمها صبيها الذي لاتريد أن تفارقه، فهي تتلفت إليه، ثم ترجع وتحتضنه، وتكثر التلفت، حائرة ولهى، تخشى عليه من

---

[358] في المثل: حِوَلاء السَّلَى يُريدُون بذلك الخِصْبَ وكثرةَ الماءِ والخُضْرةِ لأنّ الحِوَلاءَ ملآى مَاء ريّاً، انظر: الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: ح و ل).

[359] نَزَلوا فِي مِثْلِ حَدَقَةِ البَعيرِ أَي: نَزَلوا فِي خصب، وشَبَّهَهُ بحَدَقَةِ البَعيرِ لأَنها رَيَّا من الماءَ، انظر: الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: ح د ق).

[360] ورَنَّقَت السَّفِينَةُ، فهي مُرَنِّقَة: إذا دارَتْ فِي مكانِها، وَلم تسِرْ. ورَنَّقَ: تَحَيَّرَ. والتَّرْنِيقُ: قِيامُ الرَّجُلِ لَا يَدْرِي أَيَذْهَبُ أم يَجِيءُ...انظر: الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: رنق).

خطر السباع، وقد شبهها بالعنز التي تحوط صغيرها، وتكثر التلفت حولها، حينما تخاف عليه من افتراس الكواسر.

وبعدما صور للخليفة معاناةِ أهل البصرة، وضيقَ عيشهم، وشحَ مائِهم، وسوءَ حالهم؛ عرض حاجتهم، وطلب من الخليفة إسعافهم وإغاثتهم فقال:

"فإلَّا ترفع خسيستنا[361]. وتنعش ركيستنا[362]، وتجبر فاقتنا[363]، وتزيد في عيالنا عيالا، وفي رجالنا رجالا، وتُصفّر درهمنا، وتكبّر قفيزنا، وتأمر لنا بحفر نهر نستعذب به الماء هلكنا."[364]

لقد أضاف إلى قومه كلمة "خسيسة" ليستحضر في ذهن الخليفة الناقة الضعيفة، وشبه حالهم بصغار الإبل التي تحتاج إلى رعاية ومعونة، لكي تتجاوز مرحلة ضعفها وهزالها؛ كما طمح إلى تحويل حال قومه من القلة والذلة إلى الكفاية والعزة، فاستخدم عبارة **"تنعش ركيستنا"** ليوحي إليه بسوء الحال الذي يعتريهم، فهم محتاجون إلى بعث الروح فيهم، وقلب نظام حياتهم؛ ثم أخذ في بيان حاجات قومه، فجسد حالهم مع الفقر المدقع الذي يلازمهم، فجعله كسيرًا، يحتاج إلى جبر، واستخدم الكناية لطلب المعونة في تزويج عزابهم وتكثير نسلهم فقال: **"وتزيد في عيالنا عيالًا، وفي رجالنا رجالًا "** كما وظف الكناية في طلبه إغناءهم والتوسعة عليهم، فقال: **" وتصفّر درهمنا "** فكأنه أراد أن يبدل دراهمهم الفضية بالدنانير الذهبية.

وأردفها بكناية أخرى" **وتكبّر قفيزنا"** حيث أراد أن يصور ضيق حالهم، وقلة مؤونتهم، فقرنه بصغر مكاييلهم، التي يمتارون بها، فطلب من الخليفة تكبيرها؛ وأخيرًا ختم مطالبه بالمساعدة في توصيل الماء العذب لهم بحفر الآبار، وشق الترع.

لقد أعجب الخليفة بهذا الوافد الذي لم يطلب لخاصة نفسه شيئًا، بل كانت مطالبه عامة، لكافة قومه، فما كان من عمر - رضي الله عنه - إلا أن أعلن على رؤوس الوفود أحقية هذا الرجل بالسيادة حيث قال: **"هذا والله السيد! هذا والله السيد!"**.

---

361 الْخَسِيسُ: الْحَقِيرُ...وَمِنْ هَذَا الْبَابِ جَاوَزَتِ النَّاقَةُ خَسِيسَتَهَا، إِذَا جَاوَزَتْ سِنَّ الْحِقَّةِ وَالْجَذَعَةِ وَالثَّنِيَّةِ وَلَحِقَتْ بِالْبُزُولِ. انظر: ابن فارس، *مقاييس اللغة*، (مادة: خسَّ).

362 رَكَسَ: قَلْبُ الشَّيْءِ عَلَى رَأْسِهِ وَرَدُّ أَوَّلِهِ عَلَى آخِرِهِ. انظر: ابن فارس، *مقاييس اللغة*، (مادة: ركس).

363 الفاقَةُ: الفَقْرُ والحاجةُ وَلَا فِعْلَ لَهَا. انظر: الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: ف وق).

364 انظر التفصيل في: ابن كثير، *البداية والنهاية*، ج1، ص31.

- ومن روائع التشبيهات في خطابات الوفود، ما أبدعه أَبُو الطُّفَيْلِ عامر بن واثلة الليثي[365]، حينما وفد عَلَى مُعَاوِيَةَ بعد مقتل علي - رضي الله عنه – وكان من شيعته، ومن أنصاره.

وأراد معاوية أن يستكشف مدى إخلاصه لعلي -كرم الله وجهه - فسأله: **" مَاأَبْقَى لَكَ الدَّهْرُ مِنْ ثُكْلِكَ عَلِيّاً؟ "** فأطرق مليًا والعَبْرَةُ تخنقُهُ، وتُغرقُ مقلتيه، ثم أجابه إجابة أدهشت من حضر حيث قال: **" ثُكْلَ العَجُوْزِ المِقْلاَتِ[366] وَالشَّيْخِ الرَّقُوبِ" [367].**

لقد ساق تشبيهين عبر من خلالهما عن مدى حزنه على الفَقْدِ، وغرامه بالمفقود.

فشبه نفسه بامرأة طوى الدهر عمرها، وأفنى شبابها، لديها ولد وحيد، ترى فيه كل آمالها وأحلامها، ثم فجعت بفقده!، فكيف يكون حزنها عليه؟ لقد كان حزن عامر وأساه على إمامه مثل حزنها على وحيدها، وأعقب هذا التشبيه بتشبيه أكثر تأثيرًا؛ فقد شبه نفسه بشيخ أحنى الزمان ظهره، وأثقل كاهله بالمصائب والمحن، كلما رزق ولدًا خطفته يد المنية، واخترمه الموت، فهو يرقب ولده الوحيد، الذي ينتظر الساعة التي يفارقه فيها، فلا يقر له عيش، ولا يطيب له نوم.

يدهش معاوية وكل من حضر لشدة الأسى الذي يعتري الرجل، ويعجب من الصور التي ساقها ليعبر فيها عن مدى التياعه لفقد إمامه، فيستزيده ليستثير خصوبة فكره، ولواعج حزنه، فيسأله: **"فَكَيْفَ حُبُّكَ لَهُ؟"**

وهنا يطلق عامر العِنان للزفرات والعبرات، ويسوق صورة طريفة، يعبر من خلالها عن مدى حبه لعلي فيقول: **"حُبُّ أُمِّ مُوْسَى لِمُوْسَى، وَإِلَى اللهِ أَشْكُو التَّقْصِيرَ"[368]**

أَيُّ حب هذا الذي يشبه حب أم موسى لموسى، وقد ألقى الله عليه محبة منه، وصنعه على عينه[369]؟.

---

[365] عامِرُ بنُ وَاثِلَةَ اللَّيْثِيُّ، الكِنَانِيُّ، رَأَى النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ, وَهُوَ يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ بمحجنه، ثم يقبل المحجن، كَانَ مِنْ شِيْعَةِ عَلِيٍّ. مَوْلِدُهُ: بَعْدَ الهِجْرَةِ. انظر: الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، ج4، ص460.

[366] المِقْلات: هِيَ الَّتِي لم يَبْقَ لَهَا وَلَدٌ، أو هِيَ الَّتِي تَلِدُ واحِداً ثمَّ لَا تَلِدُ بعد ذالك، انظر: الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: قلت).

[367] الرقوب:لِلرَّجُلِ والمَرْأَةِ إِذَا لَمْ يَعِشْ لَهُمَا وَلَدٌ،لأَنَّهُ يَرْقُبُ مَوْتَهُ ويَرْصُدُهُ خَوْفاً عَلَيْهِ، الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: رقب).

[368] ابن عساكر، *تاريخ دمشق*، ج26، ص116، وابن كثير، *البداية والنهاية*، ج12، ص672، والذهبي، *سير أعلام النبلاء*، ج4، ص460

[369] ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ سورة طه: 20/39.

إن حب عامر لعلي يفوق كل حب، فقلبه بعدما فارقه أصبح فارغًا إلا منه، كما كان فؤاد أم موسى فارغًا إلا من موسى؛ واللوعة تعتريه على فراقه، كما اعترتها على فراق ولدها بعدما ألقته في اليم.[370].

ويُعَقِّبُ بعد كل هذا بشعوره بالتقصير تجاه محبوبه، فيعتذر من ذلك، ويشكو إلى الله حاله.

- ومن أجمل ما ورد في جمال التعبير، ما قاله زيد بن منبه، حينما وفد على عتبة بن أبي سفيان[371] أمير مصر، حيث وصف له بُعد المسير، ووَحشة الطريق، ومخاطر السفر، من أجل الوصول إليه، فقال:

" إنّي سِرْتُ إلَيْك شَهْرَينِ، أَخُوضُ فِيهِمَا المَتَالِفَ، أَلْبَسُ أَرْدِيَةَ اللَّيْلِ مَرَّةً، وَأَخُوضُ فِي لُجَجِ السَّرَابِ أُخْرَى".

فقد شبه مخاطر الطريق التي تودي للهلاك والتلف، بمعارك يخوض غمارها، كما صور ظلمة الليالي التي قضاها في سفره بأكسية تلفه ويرتديها.

وصور سراب النهار الذي يحسبه الظمآن ماء، كأنه بحار يخوض لججها.

فهو في طريق رحلته إلى الأمير، ما بين مهالك يتعرض لها، وليال حالكة يوحشه ظلامها، إلى ساعات الضحى المحرقة التي يجتاز سرابها.

ثم يعرب عن أمله بنيل الأمير، وسعة جوده، وفيض عطائه، كاشفًا سوء حاله، وبؤس زمانه ويتابع رسالته، فيقول:

"مُوقَرًا[372] مِنْ حُسْنِ الظَّنِ بِكَ، وَهَارِبًا مِنْ دَهْرٍ قَطِمٍ[373]، وَدَيْنٍ لَزِمٍ، بَعْدَ غِنَىً جَدَعْنَا بِهِ أُنُوفَ الحَاسِدِينَ، فَلَمْ أَجِدْ إلَّا إلَيْكَ مَهْرَبًا، وَعَلَيْكَ مُعَوَّلًا". [374].

---

[370] ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا، إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، سورة القصص: 28/10.

[371] عتبة بن أبي سفيان، أخو معاوية بن أبى سفيان ابن حرب. ولد على عهد رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ، وَكَانَ فصيحا خطيبا، ولاه عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطائف وصدقاتها، ثُمَّ ولاه مُعَاوِيَة مصر، فأقام عليها سنة. توفي بها سنة 40هـ، انظر:القرطبي، *الاستيعاب في معرفة الأصحاب*،ج3، ص1026.

[372] (وَقَرَ) الْوَاوُ وَالْقَافُ وَالرَّاءُ: أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى ثِقَلٍ فِي الشَّيْءِ...وَالْوِقْرُ: الْحِمْلُ. وَيُقَالُ نَخْلَةٌ مُوَقَّرَةٌ وَمُوقِرٌ، أَيْ ذَاتُ حَمْلٍ كَثِيرٍ.انظر: ابن فارس، *مقاييس اللغة*، (مادة: وقر).

[373] (قَطَمَ) الْقَافُ وَالطَّاءُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى قَطْعِ الشَّيْءِ، وَعَلَى شَهْوَةٍ...وَالرَّجُلُ الشَّهْوَانُ اللَّحْمِ قَطِمٌ. وَفَحْلٌ قَطِمٌ: مُشْتَهٍ لِلضِّرَابِ. انظر: ابن فارس، *مقاييس اللغة*، (مادة قطم).

[374] انظر: ابن عبد ربه، *العقد الفريد*، ج1، ص320، والقلقشندي، *صبح الأعشى في صناعة الإنشاء*، ص304.

لقد استخدم صورًا بيانية طريفة، فجعل حسن الظن مجسدًا بحمل ثقيل ينوء بحمله، فلا يكاد يشك بتلبية طلبه، وتحقيق مأموله؛ وهو يلجأ إليه هاربًا من دهره الذي يشخصه بصورة وحش كاسر، قَرِمٍ إلى نهش لحمه، يطلبه حثيثًا ليفترسه؛ ويزيد على ذلك شكواه من الغُرْم الثقيل، والدَّين الكثير، الذي لزمه سداده، بعد فجأة النقمة، وزوال النعمة، التي كان يرفل في حُللها، ويحسد عليها.

وقد وظف الكناية بقوله " **جَدَعْنَا بِهِ أُنُوفَ الحَاسِدِينَ** " ليعبر عن إرغامه الحاسدين وقهرهم، فالأنف محل العزة والكبرياء والتعبير بـ"جدع الأنوف" كناية عن الإذلال، وتحطيم العزة والكبرياء.

وقد ضاقت به الآفاق، وتقطعت السبل، ولم يجد له ملجأً إلا إليه، ولا يحسب أن له معتمدًا إلا عليه. فكان لهذه الصور الرائعة التي ساقها، أثر بالغ في نفس عتبة، حيث رحب به وأكرمه، وقضى حاجته.

وعندما وفدت سودة بنت عمارة الهمدانية على معاوية، تشكو إليه ظلم عامل ولَّاه شؤون قومها، وأرادت أن تصور له مدى عسفه، وسوء سياسته، فقالت:" **... يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إِنَّكَ لِلنَّاسِ سيِّدٌ، وَلأُمُورِهِمْ مُتَقَلِدٌ، وَاللهُ سَائِلُكَ عَمَّا افْتَرَضَ عَلَيْكَ مِنْ حَقِّنَا، وَلَا تَزَالُ تُقْدِمُ عَلَيْنَا مَنْ يَنْهَضُ بِعِزِّكَ، وَيَبْسُطُ سُلْطَانَكَ، فَيَحْصُدُنَا حَصَادَ السُّنْبُلِ، وَيَدُوسُنَا دِيَاسَ البَقَرِ، وَيَسُومُنَا الخَسِيسَةَ**[375]**، وَيَسْأَلُنَا الجَلِيلَةَ...**" [376]

لقد بدأت خطابها بالثناء عليه، والإقرار له بالسيادة والحكم، ثم ذَكَّرَتْهُ بالمسؤولية التي تقلدها، والحقوق التي سيسأله الله عنها، ثم رفعت سقف لهجتها، فأخذت بالهجوم على سياسته في تنصيب الولاة، وسياسة عماله في التعامل مع قومها؛ فادَّعت: أنه يرسل عماله في البلاد لتوطيد ملكه، وتعزيز سلطانه، ولكنهم يعيثون في الأرض فسادًا، فيظلمون الناس، ويسيمونهم العسف، فيزهقون الأرواح، ويسلبون الأموال، يوقعون بالرعية كل إساءة، ويريدونهم على كل رذيلة، ويطالبونهم بما لا يطيقون.

وقد رسمت له صورًا خيالية تمثل: هَمَّ الولاة في تعزيز ملك سيدهم، وإحكام قبضته على البلاد، ولو كان ذلك على حساب حرية العباد، وهدر حقوقهم،

---

[375] السَّوْمُ: أَن تُجَشِّمَ إنساناً مَشَقَّةً... وسُمْتُه خَسْفاً أَي أَوليته إياه وأَردته عَلَيْهِ..انظر:ابن منظور، *لسان العرب*(مادة: سوم).

[376] العقد الفريد، ج1، ص344، وتارخ دمشق لابن عساكر، ج69، ص225،، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، *طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار* (القاهرة: مكتبة القرآن، د.ت)، ص223.

فجسدت عِزَّ الخليفة، وجعلت العمال يُنهضونه ويُقيمونه، كما جسدت سلطان الخليفة وهو يتسع في الأرض فجعلته كالبساط يُفرش ويُمدُّ، وشبهت الولاة وإجرامهم في قومها بمن يحصد السنابل، فهو لا يبقي بعد الحصاد شيئًا، كما شبهت بطشهم بالناس وتنكيلهم بهم، بالبقر التي تدوس الزرع فتفسده، وتتلف كل شيء تطؤه.

وكأنها أرادت أن توصل له رسالة إعلامية مفادها: أن العمال الذين ترسلهم لإدارة شؤون البلاد، يتصفون بصفتين بارزتين: صفة الظلم المجحف، والحمق المفرط .

فَهَمُّهُم الوحيد إلزام الناس بالطاعة لمولاهم، وسلب أموالهم، وإفساد معيشتهم.

المطلب الثالث: الخيال التعبيري في شعر الوفود الجاهلية

لم يغفل الشعراء من الوفود الجاهلية دور الخيال، في إمتاع الموفود عليهم وإقناعهم، فقد عجت قصائدهم بالصور الخيالية، التي استطاعوا من خلالها، إيصال وسائلهم الإعلامية.

فعندما أراد النابغة أن يوصل رسالة إعلامية إلى النعمان، يعبر من خلالها عن قلقه وخوفه من غضبه ووعيده، أبدع له صورة خيالية رائعة، تمثل حاله البائسة التي تدعو للإشفاق والعطف، حيث يقول:

فَبِتُّ كَأَنّ العَائِدَاتِ فَرَشْنَ لِي هَرَاساً، بِهِ يُعْلَى فِرَاشِي ويُقْشَبُ[377]

صورة طريفة للقلق، والسقم والسهر، وعدم الاستقرار؛ فالنساء العائدات اللاتي يزرنه، ويَحْدُبْنَ عليه، في مرضه وسُقمه، جعلن فراشه الذي يفترض أنه يستريح عليه ويستقر، قد علاه الشوك، ينخزه حيثما تقلب أو تحرك، فأنى له الراحة والقرار؟

ثم يبدع صورة أخرى يجلي من خلالها، جو القلق النفسي الذي يعتريه، والخوف الذي يعيشه، فيتوجه إلى النعمان بالرجاء، لينقذه من هذا الحال فيقول:

فَلَا تَتْرُكَنِّي بِالوَعِيدِ كَأَنَّنِي إِلَى النَّاسِ مَطْلِيٌّ بِهِ القَارُ أَجْرَبُ

لقد شبه نفسه بعزلته عن الناس الذين يتحاشونه خشية غضب النعمان، وبانفراده عمن حوله من المجتمع، بالبعير الأجرب الذي يُعزل عن قطيع الإبل، خوفًا من العدوى. فانفضاض الناس عنه

---

[377] انظر: ص 49 من هذه الرسالة.

وتباعدهم منه، جعله منبوذًا، كما ينبذ البعير السقيم، الذي يُفرد عن بقية الإبل، ويُطلى بالقَطِران للتداوي والعلاج.

وعندما يغلب على ظنه، تعطف الملك عليه، ورقته له، يبدع خياله صورة رائعة في مدحه وتعظيمه، فيقول له مخاطبًا:

أَلَمْ تَرَ أَنّ اللهَ أَعْطَاكَ سُوْرَةَ [378] تَرَى كُلَّ مَلْكٍ، دُونَهَا، يَتَذَبْذَبُ

فَإِنّكَ شَمْسٌ، وَالمُلُوكُ كَوَاكِبٌ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنّ كَوْكَبُ

لقد أحله منزلة رفيعة عالية، لا يبلغها ملوك الأرض، مهما علا شأنهم، ومهما ارتفعت مكانتهم؛ فقد شبهه بالشمس، وشبه الملوك بالكواكب، وامتد خياله بالصورة، ليجعل النعمان في منزلته هذه، إذا برز وتجلى، ينكفئ الملوك وينخنسون، فهو كالشمس التي إذا طلعت يملأ ضوؤها الآفاق، فيحجب أنوار الكواكب التي لا تضيء إلا في الظلام.

لقد أبدع النابغة هذه الصورة الشعرية، التي لم يسبقه بها أحد من الشعراء؛ ما دفع النعمان للصفح عنه، وتقريبه والإنعام عليه.

ويبدع صورة طريفة أخرى، لإظهار خوفه من سطوة المَلِك، الذي لا يمكنه أن ينجو من قبضته، فيقول:

فَإِنّكَ كَاللّيْلِ الّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنّ المُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ[379]

لقد شبهه بالليل الذي يلف الكون، فيغطي كل شيء، ولا مناص لأحد منه ولا مفر، وإن اتسعت به الآفاق، وامتدت المسافات، فالليل يصله ويُسَجّيه.

وله كذلك من شعر الاعتذار الذي وفد به على النعمان، يخاطبه فيصور له خوفه وقلقه من غضبه وبطشه فيقول:

أَنْبِئْتُ أَنّ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي وَلَا قَرَارَ عَلَى زَأْرٍ مِنَ الأَسَدِ

---

[378] السُّورَةُ بالضَّمّ:المَنْزِلَةُ، وخَصّها ابْن السَّيِّد فِي كتاب الفَرْق بالرَّفِيعَة، الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: سور).

[379] انظر: النويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، ج3، ص262.

لَا تَقْذِفَنِّي بِرُكْنٍ[380] لَا كِفَاءَ لَهُ وَإِنْ تَأَثَّفَكَ[381] الأَعْدَاءُ بِالرَّفَدِ[382]

مَا قُلْتُ مِنْ سَيِّئٍ مِمَّا أَتَيْتُ بِهِ إِذاً فَلَا رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَيَّ يَدِي[383]

لقد شبهه بالليث، الذي إذا زأر أرعب من سمعه، فكيف يقر قراره، ويسكن روعه مادام يسمع زئيره. ويطلب منه ألا يرميه بالأمر العظيم، الذي دبره أعداؤه، الذين تألبوا عليه

ويستعمل الكناية، متبرئًا من التهمة التي اتهم بها، فيقول **" إذًا فلا رفعت سوطي إليَّ يدي"** فجعل رفع السوط بيده، كناية عن القوة والاستطاعة، فيدعو على نفسه بانعدام القدرة والهلاك، إن كان قد اقترف ما يمس الملك بسوء.

ووفد يومًا على النعمان فأنشده:

مُتَوَّجٌ بِالمَعَالِي فَوْقَ مِفْرَقِهِ وَفِي الوَغَى ضَيْغَمٌ فِي صُورَةِ القَمَرِ

اذَا دَجَا الخَطْبُ جَلّاهُ بِصَارِمِهِ كَمَا يُجَلّى زَمَانُ المَحْلِ بِالمَطَرِ

أَخْلَاقُ مَجْدٍ تَجَلّتْ مَالَهَا مَثَلٌ فِي البَأسِ وَالجُودِ بَيْنَ الحِلْمِ والخَفَرِ

لقد وظف الخيال لمدح النعمان، وكسب وده، فجسد المعالي، واستعار لها صفة مايزين الرأس، حيث جعل على رأسه تاجًا مصوغًا من المجد والسيادة، كما شبهه بالليث الواسع الأشداق، ليرهب أعداءه في المعارك، لكنه يستدرك، ويضيف عنصرًا آخر للصورة، حتى لا يبدو الممدوح كريه المنظرة، فيشبهه بالقمر جمالًا ونورًا ورفعة

ثم يأتي بالصورة الممتدة لحال الممدوح في تفريج كربات قومه، إذا دهمتهم الخطوب، واشتدت المحن، فهو يكشف عنهم ظلمات البلاء بحد سيفه، فيشبهه في ذلك بالمطر الذي يغيث الأرض العطشى في زمن الجدب والقحط.

---

[380] الرُّكْنُ: الأَمْرُ العظيمُ، الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: ركن).

[381] تَأَثَّفَ المكانَ: إذا لَزِمَهُ، وَأَلِفَهُ. تَأَثَّفُوه، أَي تَكَنَّفُوه، وَفِي الأَساس: أَي اجْتَمَعُوا حَوْلَه، الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: أثف).

[382] وَالرَّافِدُ: الْمُعَيَّنُ، وَالْمُرْفِدُ أَيْضًا. وَرَفَدَ بَنُو فُلَانٍ فُلَانًا، إِذَا سَوَّدُوهُ عَلَيْهِمْ وَعَظَّمُوهُ، ابن فارس، *مقاييس اللغة*، (مادة: رفد).

[383] ابن سعيد الأندلسي، *نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب*، ص567.

ثم يختم خطابه بوصف أخلاق الممدوح الكريمة، وخصاله الحميدة، فيسمه بأسمى الخصال التي تزينه؛ الحلم والحياء، إلى جانب البأس والسخاء

وبعدما يسمع النعمان هذه الأبيات، يأمر بأن يحشى فمه بالجواهر والدُّرر، وأن يكسى أثواب القبول والرضا.[384]

المطلب الرابع: الخيال التعبيري في شعر الوفود الإسلامية:

ومن طرائف شعر الوفود ما جرى لابن هرمة[385] الشاعر، حينما عكف الشعراء بباب الخليفة المنصور[386] وكان هو من بينهم، وقد اشترط المنصور عليهم ألا يمدحه أحد بصفات لا تليق به، فلا يحب أن يشبه بحيوان، كالأسد أو الذئب مثلاً، ولا بحجر أو تراب كالجبل والصحراء، ولا بماء كالبحر أو النهر، ولا بسوى ذلك من الكائنات التي لا ينبغي لشاعر أن يمدح أمير المؤمنين فيشبهه بها.

إنه أراد أن يصرفهم عن بابه، لأنه يعلم أن الشاعر العربي ينتزع مفردات شعره من بيئته، فتشبيهاته واستعاراته ومجازاته، كلها منتزعة من مفردات البيئة، فإذا أراد أن يصف شجاعة الممدوح شبهه بالأسد، أو الذئب، أو الصقر، أو النسر، وما شابه ذلك؛ وإذا أراد أن يمدحه بالكرم شبهه بالبحر الزاخر، والريح المرسلة، وإذا أراد أن يعلي من شأنه شبهه بالشمس أو النجم، وإن أراد وصف جمال المرأة شبهها بالظبي، أو المها ...وهكذا.

---

[384] النويري، *نهاية الأرب*، ج3، ص177، وشيخو، *مجاني الأدب في حدائق العرب*،ج3، ص173، وابن سعيد الأندلسي، *نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب*، ص565-566،

[385] ابن هَرْمَة إبراهيم بن علي كان شاعرًا فصيحًا، وهو أحد المخضرمين، أدرك الدولتين بني أمية وبني العباس، وخرج مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن، فلما قُتل عاد إلى المدينة، فأقام بها إلى أن قدم فيمن قدم على المنصور. انظر: ابن قزغلي، *مرآة الزمان*، ج12، ص176، وأبو الفرج الأصبهاني، *الأغاني*، ج4، ص508.

[386] عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس بن عبد المطلب، أبو جعفر المنصور، بويع له بالخلافة بعد أخيه أبي العباس السفاح وأمه أم ولده. ابن عساكر، *تاريخ دمشق*، ج22،ص، 298 رقم:3523

فانصرف الشعراء كلهم من باب المنصور إلا إبراهيم بن هرمة، فإنه استعد لقبول شرط أمير المؤمنين، واستأذن بالدخول، فلما مثل بين يدي المنصور قال له: هات ما عندك. فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

لَهُ لَحَظَاتٌ عَنْ حَفَافَيْ سَرِيرِهِ إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عَذَابٌ وَنَائِلُ

لَهُمْ طِينَةٌ بَيْضَاءُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ إِذَا اسْوَدّ مِنْ كَوْمِ التُرَابِ القَبَائِلُ

إِذَا مَا أَبَى شَيْئًا مَضَى كَالَّذِي أَبَى وَإِنْ قَالَ إِنِّي فَاعِلٌ فَهُو فَاعِلُ[387]

لقد تحاشى الشاعر في مدحه تشبيه الخليفة بما يكره، فاستعمل الكنايات اللطيفة ليصفه بالحزم والعزم، واختار جمع القلة **"اللحظاته"** ليعبر عن قدرته الفائقة على تدبير شؤون رعيته، فبعض النظرات الكفيلة بالتنكيل بمن شاء ممن خالفه وعصاه، أو رفد من أطاعه ووالاه؛ وأما اختياره عبارة: **"حفافي سريره"** فأراد أن يكني عن بسط سلطانه على مملكته المترامية الأطراف، وهيمنته على كل ما فيها.

ثم انتقل إلى تمجيد حسبه ونسبه، فجعل الطينة التي تناسل منها بنو هاشم آل النبي - صلى الله عليه وسلم-، طينة متميزة، لا تماثلها طينة الناس، حيث وسمها باللون الأبيض لتتصف بالنقاء والطهر، وإليها نسب آباء الخليفة وأجداده، واختار الطينة السوداء التي تمثل الكدر والعكر، لينسب إليها بقية الناس وعامتهم.

وأخيرًا رسم صورة رائعة لإرادة المنصور المطلقة في المنع والعطاء، والقبول والإقصاء. فشخص أمره وجعله يمضي حيث يشاء، ويحتجب متى يشاء، فما أراد مضى ونفذ، وما لم يأذن به، فلا يمكن له أن يمضي أو ينفذ. فيعجب المنصور من قدرة الشاعر على اختيار العبارات اللطيفة، وإبداع الصور الطريفة، من غير أن يوظف التشبيهات المعهودة، والاستعارات المألوفة لدى الشعراء. حينئذٍ تنفرج أساريره، ويقول له: **"حسبك! ها هنا بلغت، هذا عين الشعر، قد أمرت لك بخمسة آلاف درهم"**[388].

---

[387] ابن عبد ربه، *العقد الفريد*، ج1، ص 272، والنويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، ج3، ص306.

[388] ابن عبد ربه، *العقد الفريد*، ج1، ص 272، والنويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، ج3، ص306.

- وأبو سفيان بن الحارث الذي قدم على النبي -صلى الله عليه وسلم- نادمًا على ما سلف من عناد وعداء لابن عمه، وظف صورة بيانية رائعة، لتمثيل حاله في زمن الضلالة والكفر، وقد أراد أن يوصل للنبي رسالة، مفادها الندم والأسى على ما فرط في جنبه، فقال:

لَعَمْرِيَ إِنِّي يَوْمَ أَحْمِلُ رَايَةً لِتَغْلِبَ خَيْلُ اللاّتِ خَيْلَ مُحَمَّدِ

لَكَالْمُدْلِجِ الْحَيْرَانِ أَظْلَمَ لَيْلُهُ فَهَذَا أَوَانِي حِينَ أَهْدَى وَأَهْتَدِي[389]

يقسم بعمره أنه حينما تَصدَّر لمعارضة الرسالة المحمدية، ومناكفة صاحبها، فأعلن ولايته لأهل الضلال والغواية، ليحارب دين الحق والهداية؛ كان مثله كمثل مسافر سائر في ليل داج مظلم، لا يبصر طريقًا، ولا يهتدي إلى سبيل.

لقد مثَّل في هذه الصورة الجو النفسي الذي كان يعيشه؛ فتعتريه الوحشة والخوف والضياع؛ ذلك حاله في بُعْدِهِ عن الهداية للدين الحق. ثم يبصر بعد ذلك النور الذي يهتدي به سواء السبيل.

- وعندما يفد كُثَيِّر عَزَّة[390] على عمر بن عبد العزيز، وهو الخليفة الزاهد، الذي عزفت نفسه عن الدنيا وزخرفها، فيأتي بالصور الخيالية التي تناسب الجو النفسي للخليفة، فيصفه بالإعراض عن متع الدنيا، والتجافي عن ملذاتها.

أَلَا إِنَّمَا يَكْفِي الفَتَى بَعْدَ زَيْغِهِ مِنَ الأَوَدِ[391] البَاقِي ثِقَافُ المُقَوِّمِ

وَقَدْ لَبِسَتْ لَبْسَ الهَلُوكِ[392] ثِيابَهَا تَرَاءَى لَكَ الدّنْيَا بِكَفٍّ وَمِعْصَمِ

وَتُومِضُ أَحْيَانًا بِعَيْنٍ مَرِيضَةٍ وَتَبْسُمُ عَنْ مِثْلِ الجُمَانِ المُنَظَّمِ

فَأَعْرَضْتَ عَنْهَا مُشْمَئِزًا كَأَنّمَا سَقَتْكَ مَدُوفًا مِن سِمَامٍ وَعَلْقَمِ[393]

---

[389] انظر: ص 88 من هذه الرسالة.

[390] كثير بن عبد الرحمن الخزاعي الحجازي الشاعر المعروف بابن أبي جمعة وهو كثير عزة وفد على عبد الملك بن مروان وروى عنه خطبة له، ووفد على عمر بن عبد العزيز وغيره من خلفاء بني أمية وكان من فحول الشعراء. انظر: ابن عساكر، *تاريخ دمشق*، ج50، ص76، رقم 5804 .

[391] الأَوَدُ: الْعِوَجُ، وَالثِّقَافُ: هُوَ تَقْوِيمُ الْمُعْوَجِّ. انظر: ابن منظور، *لسان العرب*، (مادة: أود).

[392] الهلوك من النساء: الفاجرة الشبقة المتساقطة على الرجال. انظر: الزبيدي، *تاج العروس*، (مادة: هلك).

[393] ابن عبد ربه، *العقد الفريد*، ج1،ص335، وابن قتيبة الدينوري، *الشعر والشعراء*، ج1، ص497.

يفتتح خطابه لأمير المؤمنين ببراعة استهلال يبرز من خلالها أثر التربية السليمة للمرء إذا انحرف سلوكه، فيستعير قناة الرمح التي يثقفها المقوم، ليبرهن له: أن الأخلاق إذا انحرفت يمكن تقويمها وتعديلها، كما تقوم قناة الرمح المعوجة.

ثم يأتي بصورة ممتدة للدنيا، وهي تغوي أهلها، فيشخصها بصورة غانية حسناء فاتنة، ترتدي ثياب زينتها متبرجة، تتعرض للخليفة بشتى أساليب إغرائها، تلوح له بيدها اللدنة الناعمة، وترمقه بعينها الفاترة الساحرة، ويَفْتَرُّ ثغرها عن أسنان نضيدة، كحبات الدُّرّ المنظوم، تدعوه للإقبال عليها ومعاشرتها؛ ولكنه يعرض عنها، نافرًا كارهاً لها.

ورغم أنه مالكها بِبَرّهَا وبحرها، بيد أنه لا يلتفت إليها ولا يعبأ بها؛ وكأنها تبدو له كعدو لدود، يبغي إهلاكه، يقدم له كأسًا من السم الزعاف الممزوج بالعلقم.

لقد استطاع أن يقدم صورة رائعة، يقرأ المتأمل فيها ملامح طباع الخليفة، بزهده وإعراضه عن زخارف الدنيا ومتعها.

كما نلمس تسخير عناصر البيئة العربية لرسم خطوط الصورة؛ فاستعار قناة الرمح، ووظف المرأة بتفاصيل ملامح إغرائها وإغوائها، ومفاتن جمالها، من الكف، والمعصم، والمبسم، والثغر المفترّ عن الدرّ النضيد.

واختار لإعراض الخليفة عنها ونفوره منها، صورة المشمئز من احتساء كأس
السُمِّ الممزوج بمر العلقم.

لقد استطاع أن يقنع الممدوح بخطابه، الذي لم يتجاوز فيه توصيفه بما هو أهله، من غير مبالغة ولا تكلف. ولعل خطاب هذا الوفد يمثل السمة الغالبة لرسائل الوفود في العصور الإسلامية المتعاقبة.

وقد تبين لنا بعد استعراض سمات التعبير في الجاهلية والإسلام أن الأدب العربي اكتسب مفردات جديدة، وأساليب فريدة، وصور وأخيلة بديعة؛ بفضل الإسلام وتعاليمه، والقرآن وبلاغته.

ومع أن الأدب في الإسلام امتداد لما قبل الإسلام، يتفق معه في كثير من المفردات والتراكيب والأخيلة؛ فاللغة عربية، والقوم عرب، ولسانهم عربي مبين.

إلا أن البعثة النبوية استحدثت مفردات لم يسبق تداولها من قبل: كالقرآن، والصلاة، والزكاة، والهداية، والضلال، والإيمان، والكفر، والملائكة، والجنة، والنار....الخ.

كما هذب الإسلام كثيرًا من الكلمات الوعرة، والعبارات الحوشية التي اعتادتها وألفتها ألسنة الأدباء العرب في الجاهلية .

وأضحى الفخر بالدين بدل القوم والعشيرة، وغدا المدح لله والرسول، بدل مدح الملوك والأمراء؛ وتعززت المعاني الأخلاقية الحميدة، وعفت القيم الجاهلية التي لا تتفق مع قيم الإسلام، واندثر ما يلازمها من ألفاظ أو أساليب وأخيلة.

وأبدعت الوفود الإسلامية أساليب وصورًا، مقتبسة من البلاغة القرآنية والفصاحة النبوية. لتنقلنا نقلة واسعة في مجال أدب الوفود، ولتقدم لمكتبة الأدب العربي لونًا فريدًا هادفًا من الأدب النقي السامي.

الخاتمة:

بعد هذه التطوافة في أدب الوفود، من زمن الجاهلية إلى عصر الإسلام، وبعد وقوفنا على الخطاب الإعلامي لكل وفد، والرسالة التي يحملها كل وافد؛ وبعد تَأَمُلِنَا أثر هذا الخطاب في إنجاح الأغراض، التي رام كل منهم تحقيقها.

تبين لنا أن أغراض وفود الجاهلية تتمثل في خطب وُدِّ الملوك، تأمل رفدهم وعطاياهم، أو تداريهم خشية فتكهم وبطشهم؛ وأما الوفود الإسلامية فإنها تحمل رسالة الإسلام، بأغراضها الدعوية، غايتها نشر تعاليم الدين، وتبليغ دعوة التوحيد. وبعد تعرفنا إلى بعض فنون الوافدين من الشعر والنثر في الجاهلية والإسلام، تجلت مزايا وفود الشعر ووفود النثر، فتبدت لنا براعة بعضهم، وتوفيقهم في خطابهم الإعلامي، فنالوا مقاصدهم، بفضل قدرتهم على تبليغ رسالتهم؛ وأخفق آخرون لسوء حظهم، وعدم توفيقهم في استهلال خطاباتهم، وعجزهم عن تبليغ رسائلهم بصورة مناسبة.

وتدبرنا سمات التعبير لنماذج مختلفة من خطابات الوفود، فطالعتنا أهمية الألفاظ الموحية والمعبرة، وأثر الكلمة الفصيحة والبليغة في تبليغ الرسالة الإعلامية.

كما وقفنا على أساليب متنوعة لأدب الوفود، فتبين لنا أثر الخبر والإنشاء وأغراضهما البلاغية في تبليغ الرسالة، وقدرة كل وافد على إقناع من يفد عليه بخطابه.

وتأملنا نماذج متنوعة من خطابات الوفود، طالعنا خلالها أثر الصور الخيالية الماتعة من تشبيهات إلى استعارات وكنايات، إلى فنون شتى من ألوان المجاز، وأثرها في إنجاح الخطاب الإعلامي للوافد، وقدرته على إقناع الموفود عليه . وبدا لنا جليًا أن مجال أدب الوفود عمومًا، يمتاز عن سواه من مجالات الأدب المختلفة، بسمو الأغراض، ودقة التعبير في اختيار الألفاظ والأساليب، وروعة الإبداع في الخيال والتصوير.

فرب كلمة من وافد كانت سببًا في حقن دم صاحبها، ورب بيت شعر أغنى قائله وكفاه بعد العوز والفاقة، وكم من وافد حظي بالرضى والقبول، بعد القِلَى والهجران. بيد أن بعض الوافدين أخفق في إيصال رسالته الإعلامية، فرجع بالخيبة والخسران ولم يوفق لبلوغ مناه، وتحقيق مبتغاه. حيث خانه الحظ في تقديم الخطاب المناسب في الزمن المناسب؛ أو جانبته الحكمة في عرض رسالته.

1- ويبدو لي أن أدب الوفود لم يستوف حقه من عناية الباحثين والدارسين، فمازالت أخبار الوفود منثورة في فصول متفرقة تحت عنوانات شتى؛ مدفونة في بطون كتب التراث، وفي موسوعاتها، ومازال تناولُ هذا الجانب من الأدب خجولاً، يمسُّه الباحثون على استحياء. فهل يتسنى للباحثين الجدد جمع هذه المادة الرائعة التي هي من أسمى وأرقى فنون الأدب العربي، لتكون سفراً عظيمًا من أسفار هذا الأدب الخالد؟

2- وأخيرًا وفي هذا العصر الراهن، وبعد الانفجار المعرفي، وتنوع وسائل الاتصال وقنواتها، كثرت الوفود المختلفة والقادمة من كل حدب وصوب، من خلال نشرات الأخبار وتقاريرها؛ أو من خلال وسائل الاتصال الاجتماعية المعاصرة؛ وقد اقتحمت خصوصياتنا جيوش من الوفود لا تحصى، بأغراضها المختلفة، وشتى مقاصدها، تستهدف سائر شرائح مجتمعنا في عقر دارنا، باستئذان وبغير استئذان؛ وقد تنوعت أغراض الوافدين، ما بين غث وسمين، وهابط ورفيع؛ وطفقت لغة الضاد تشكو إلى بارئها جهل أهلها، وإسفافهم في تشويه وجهها السمح الوضيء، باللحن والتحريف.

فكم من وفود تغزونا كل يوم، على خيوط الشبكة العنكبوتية، اختلط فيها الحابل بالنابل، وتنوعت مادتها ما بين طيب وخبيث، وحَسَن وقبيح، وتعددت أساليبها ما بين العامي والفصيح.

حتى استمرأ اللحنَ عامةُ المتابعين لهذه الرسائل، واعتادوا اللغة الدارجة والألفاظ التافهة والبذيئة.

وفي هذا ما ينبئ بالخطر والضرر على هذه اللغة الكريمة.

- لذلك أرى لزامًا على أصحاب الغيرة من أهل الاختصاص بهذا اللسان العربي المبين، أن يسعوا جاهدين لوضع الضوابط العلمية، والمعايير الخُلُقية، لتنقية رسائل الوفود المختلفة، وتصفيتها من الشوائب المدمرة لهذه اللغة المقدسة، ولقواعدها الأصيلة، فلا يصل إلى هذه الوسائل من خطاب إعلامي مكتوب أو منطوق، إلا بعد مروره على نظام مبرمج يميز الخبيث من الطيب، والصالح من الفاسد، فينشر ما يكون مناسبًا من هذه الرسائل للمتلقين والمتابعين، ويقصي ما يكون عبثًا أو ملحقًا ضررًا بالقيم والأخلاق. أو هادمًا لقواعد اللغة الفصيحة.

هذا وبالله التوفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- ابن الأثير، المبارك بن محمد. *النهاية في غريب الحديث والأثر*. بيروت: المكتبة العلمية، 1979م.
- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد. *أسد الغابة في معرفة الصحابة*. بيروت: دار الكتب العلمية، 1994 م.
- ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق. *كتاب الألفاظ*. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 1998م.
- ابن العديم العقيلي، عمر بن أحمد. *بغية الطلب في تاريخ حلب*. بيروت: دار الفكر، د.ت.
- ابن حنبل الشيباني، أحمد بن محمد. *فضائل الصحابة*. بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت.
- ابن حنبل، أحمد بن محمد. *مسند أحمد*. القاهرة: دار الحديث، 1995م.
- ابن حنبل، أحمد بن محمد. *مسند الإمام أحمد*. بيروت: مؤسسة الرسالة، 2001م.
- ابن خلكان البرمكي أحمد بن محمد. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. بيروت: دار صادر، د.ت.
- ابن شاكر، صلاح الدين محمد. *فوات الوفيات*. بيروت: دار صادر، د.ت.
- ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد. *طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار*. القاهرة: مكتبة القرآن، د.ت.
- ابن عساكر، علي بن الحسن. *تاريخ دمشق*. دمشق: دار الفكر، 1995 م.
- ابن فارس، أحمد بن زكرياء. *معجم مقاييس اللغة*. دمشق: دار الفكر، 1979م.
- ابن قتيبة الدينوري عبد الله بن مسلم. *الشعر والشعراء*. القاهرة: دار الحديث، د.ت.
- ابن قزغلي، يوسف بن بن حسام الدين. *مرآة الزمان في تواريخ الأعيان*. دمشق: دار الرسالة العالمية، 2013 م.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر. *تفسير ابن كثير*. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، 1999م.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر. *البداية والنهاية*. بيروت: دار إحياء التراث العربي 1988م.
- ابن كثير، *السيرة النبوية لابن كثير*، نشر:دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت1976م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، *لسان العرب*، نشر: دار صادر - بيروت 1414هـ.
- ابن هبة الله، علي بن الحسن. *تاريخ مدينة دمشق*. بيروت: دار الفكر، 1995م.
- ابن هشام، عبد الملك بن هشام. *السيرة النبوية لابن هشام*. بيروت: دار الجيل، 1411هـ.

- أبو الفرج الأصبهاني، علي بن الحسين. *الأغاني*. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1415هـ.
- أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله. *دلائل النبوة*. بيروت: دار النفائس، 1986م.
- الأزدي، سليمان بن الأشعث. *سنن أبي داوود*. بيروت: دار الرسالة العالمية، 2009م.
- الأصبهاني، أحمد بن عبد الله. *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*. القاهرة: السعادة، 1974م.
- الآمدي، الحسن بن بشر. *المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء*. بيروت: دار الجيل، 1991م.
- الأندلسي، علي بن سعيد. *نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب*. عمّان: مكتبة الأقصى، د.ت.
- البركتي، محمد عميم. *الإحسان التعريفات الفقهية*. باكستان: دار الكتب العلمية، 2003م.
- البستي، محمد بن حبان. *صحيح ابن حبان*. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1988 م.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر. *خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب*. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1997م.
- البغدادي، محمد بن سعد. *الطبقات الكبرى*. بيروت: دار الكتب العلمية، 1990م .
- البَلَاذُري، أحمد بن يحيى. *فتوح البلدان*. بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1988م.
- البلاذري، أحمد بن يحيى. *أنساب الأشراف*. القاهرة: دار المعارف، 1959م.
- التبريزي، يحيى بن علي. *شرح القصائدِ العشر*. دمشق: إدارة الطباعة المنيرية، 1352 هـ.
- التنوخي، المحسن بن علي. *الفرج بعد الشدة*. بيروت: دار صادر، 1978م.
- الجاحظ، عمرو بن بحر. *البيان والتبيين*. بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1423هـ.
- الجريرى النهرواني، المعافى بن زكريا. *الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي*. بيروت: دار الكتب العلمية، 2005 م.
- الجمحي، محمد بن سلّام. *طبقات فحول الشعراء*. جدة: دار المدني، د.ت.
- الحارثي، محمد بن حسين. *الكشكول*. بيروت: دار الكتب العلمية، 1998.
- الحلبي، علي بن إبراهيم. *السيرة الحلبية*. بيروت: دار الكتب العلمية، 1427هـ.
- الحلي، محمد بن نما. *المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية*. عمان: مكتبة الرسالة الحديثة، 1984م.
- الحموي، ياقوت بن عبد الله. *معجم البلدان*. بيروت: دار صادر، 1995 م.

- الحميري المعافري، عبد الملك بن هشام. *السيرة النبوية*. مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1955 م.
- الدميري، محمد بن موسى. *حياة الحيوان الكبرى*. بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ.
- الدينوري، أحمد بن داود. *الأخبار الطوال*.القاهرة: دار إحياء الكتب العربي، 1960 م.
- الدينوري، عبد الله بن مسلم. *المعارف*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،1992م.
- الدينوري، عبدالله بن مسلم. *عيون الأخبار*. بيروت: دار الكتب العلمية، 1418هـ.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد. *سير أعلام النبلاء*. القاهرة: دار الحديث، 2006م.
- الرازي، منصور بن الحسين. *نثر الدر في المحاضرات*. بيروت: دار الكتب العلمية، 2004م.
- الراغب الأصفهانى، الحسين بن محمد. *محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء*. بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، 1420هـ.
- الزَّبيدي، محمّد بن محمد بن عبد الرزاق. *تاج العروس من جواهر القاموس*. الكويت: دار الهداية، 1965م .
- الزرقاني، محمد بن عبد الباقي. *شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية*. بيروت: دار الكتب العلمية 1996م.
- الزَّوْزَني، حسين بن أحمد بن حسين. *شرح المعلقات السبع*. بيروت: دار احياء التراث العربي، 2002 م.
- السِّجِسْتاني، سليمان بن الأشعث. *سنن أبي داود*. بيروت: دارالرسالة العالمية 2009 م.
- السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله. *الروض الأنف في شرح السيرة النبوية*. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1412 هـ.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. *تاريخ الخلفاء*. القاهرة: مكتبة نزار الباز، 2004م.
- الشافعي، محمد بن إدريس. *الرسالة*. مصر: مكتبه الحلبي، 1940م.
- الصالحي، محمد بن يوسف. *سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد*. بيروت: دار الكتب العلمية، 1993م.
- الصفدي، خليل بن أيبك. *الوافي بالوفيات*. بيروت: دار إحياء التراث، 2000م.

- الطبراني، سليمان بن أحمد. *الروض الداني (المعجم الصغير)*. بيروت، عمان: المكتب الإسلامي، دار عمار، 1985م.
- الطبراني، سليمان بن أحمد. *المعجم الأوسط*. القاهرة: دار الحرمين، د.ت.
- الطبراني، سليمان بن أحمد، *المعجم الكبير*، (ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي)، نشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د.ت.
- الطبري، محمد بن جرير. *تاريخ الطبري*. بيروت: دار التراث، 1387هـ.
- العسقلاني، أحمد بن علي. *الإصابة في تمييز الصحابة*. بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ.
- العسكري، الحسن بن عبد الله. *ديوان المعاني*. بيروت: دار الجيل، د.ت.
- العسكري، الحسن بن عبد الله. *الأوائل*. طنطا: دار البشير، د.ت.
- العسكري، الحسن بن عبد الله. *المصون في الأدب*. الكويت: مطبعة حكومة 1984 م.
- العسكري، الحسن بن عبد الله. *جمهرة الأمثال*. بيروت: دار الفكر، د.ت.
- القاري، ملا علي بن سلطان. *جمع الوسائل في شرح الشمائل*. القاهرة: المطبعة الشرفية، 1318هـ.
- القرطبي، يوسف بن عبد الله. *الاستيعاب في معرفة الأصحاب*. بيروت: دار الجيل، 1992 م.
- القلقشندي، أحمد بن علي. *صبح الأعشى في صناعة الإنشاء*. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.
- القيرواني، الحسن بن رشيق. *العمدة في محاسن الشعر وآدابه*. بيروت: دار الجيل، 1981م.
- الكاندهلوي، محمد يوسف بن محمد إلياس. *حياة الصحابة*. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشروالتوزيع، د.ت.
- الكرمى المقدسي، مرعي بن يوسف. *مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب*. الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، د.ت.
- المبرد، محمد بن يزيد. *الكامل في اللغة والأدب*. القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت.
- المرزباني، محمد بن عمران. *معجم الشعراء*. بيروت: مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، 1982م.
- المرزوقي، أحمد بن محمد. *الأزمنة والأمكنة*. بيروت: دار الكتب العلمية، 1996م.
- المفضل بن سلمة بن عاصم. *الفاخر*. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي، الحلبي، 1380 هـ.

- المقريزي، أحمد بن علي. *إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع*. بيروت: دار الكتب العلمية، 1999م.
- المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي. *مختصر صحيح مسلم*. بيروت: المكتب الإسلامي، 1987م.
- الميداني، أحمد بن محمد. *مجمع الأمثال*. بيروت: دار المعرفة، د.ت.
- النويري، أحمد بن عبد الوهاب. *نهاية الأرب في فنون الأدب*. القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، 1423 هـ.
- النيسابوري، محمد بن عبد الله. *المستدرك على الصحيحين*. بيروت: دار الكتب العلمية، 1990م.
- الهروي، محمد بن أحمد. *تهذيب اللغة*. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2001م.
- اليمني، نشوان بن سعيد. *شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم*. بيروت: دار الفكر المعاصر، 1999م.
- إمام، إبراهيم. *العلاقات العامة والمجتمع*. مكتبة الأنجلو، القاهرة، 1981م.
- شبكة مشكاة الإسلامية.
- شيخو، رزق الله بن يوسف. *مجاني الأدب في حدائق العرب*. بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، 1913 م.
- عبد السلام، ضيف شوقي. *الفن ومذاهبه في النثر العربي*. القاهرة: دار المعارف، 1974.
- عبد السلام، ضيف شوقي. *تاريخ الأدب العربي*. القاهرة: دار المعارف، 1960.
- عفيفي، جمال. *جريدة الصحافة*. القاهرة: 1971م.
- علي، جواد. *المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام*. بيروت: دارالساقي، 2001م.
- قاسم، محمد أحمد. *علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»*. بيروت: المؤسسة الحديثة للكتاب، 2003 م.
- إبراهيم مصطفى وآخرون. *المعجم الوسيط*. الكويت: دار الدعوة للنشر والتوزيع، 1989م.
- محمد، شومان. *تحليل الخطاب الإعلامي أطر نظرية ونماذج تطبيقية*. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2012م.
-ابن عبد ربه، أحمد بن محمد. *العقد الفريد*. بيروت: دارالكتب العلمية، 1404هـ.

- الوطواط، محمد بن إبراهيم. *غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائض الفاضحة*. بيروت: دار الكتب العلمية، 2008م.

الفهارس

فهرس الأعلام

م	العلم	الصفحة
1	أَبُو الطَّفَيْلِ عامر بن واثلة الليثي	155
1	ابن هرمة	162
2	أبو مسلم الخرساني	112
3	الأحنف	153
4	الأعشى ميمون	126
5	أمير المؤمنين هشام	101, 113
6	بيد بن ربيعة العامري	ج, 55, 73
7	التبع اليماني	15
8	كثَيِّر عَزَّة	164
9	جرير	37, 43, 49, 111, 112, 173
10	حاجب بن زرارة	11, 12, 13, 139
11	الحارث بن حِلِزَّة اليشكري	53
12	الحارث بن وعلة	126
13	الحَجَّاجُ بنُ يُوْسُفَ الثَّقَفِيُّ	142
14	الحر بن قيس	114, 142
15	الحطيئة	44, 48, 52
16	خطب قُسّ بن ساعدة	99
17	الخليفة المنصور	162
18	الخليفة عبد الملك	111
19	ذو الأصبع العدواني	100
20	ذو الاكتاف	39
21	ربعي بن عامر	ج, 40
22	رستم بن هرمز	39
23	رؤبة بن العجاج	112
24	سحبان وائل	48, 100
25	سويد بن الحارث	32
26	شَرِيك بن الْأَعْوَر الْحَارِثِيّ	140

م	العلم	الصفحة
27	ضمام بن ثعلبة	91
28	عامر بن شراحبيل	142
29	عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق	122
30	عَمْرو بْن معدي كرب الزبيدي	95
31	عيينة بن حصن سيد بني فزارة	114
32	المعتصم بن هارون	106
33	المعيدي	87
34	الملك النعمان	ج, 55, 87
35	الملك عمرو بن هند	53, 149
36	الموبذان	18, 19, 20
37	النابغة الذبياني	ج, 57
38	نابغة بني جعدة	ج, 64
39	النُّعْمَانُ بْنُ مُقَرِّنٍ	36
40	هشام بن عبد الملك	101, 113
41	هوذة بن علي	126
42	يحيى بن خالد البرمكي	147
43	ليلى الأخيليّة	133

فهرس الأماكن والبلدان

م	المكان	الصفحة
1	قديس	39
2	الرحبة	51

فهرس الكلمات الغريبة

م	الكلمة الغريبة	الصفحة
2		
3	أَبَيْتَ اللَّعْنَ	55, 58, 87, 145
4	أحرم	53
5	أرومة	14
6	الأُسْلُوبُ	134
7	أَضْرَع	98
8	افتات	39
9	الرَّافِدُ	161
10	والهةً	123, 124
11	أَوَدِي	123, 125
12	بسق	14
13	تَأَثَّفَ المكانَ	161
14	تحرزوني	21
15	التَّقْرِيع	142
16	تَنْهَلُ	69
17	الثَّوَاءُ	53
18	لجاجَةٌ	80, 82, 135, 136
19	جرثومة	14, 152
20	الجريض	119
21	حان الرجل	118
22	الحدب	70
23	الحدثان	18, 20, 131
24	الحزام الطّبيين	119
25	الذوائب	67
26	ربحلاً	15
27	الرقوب	156
28	الرُّكْنُ	161
29	الرَّئِيُّ	66
30	السَّبَائِبِ	67
31	السفيقة	75
32	السُّورَةُ	160
33	السَّوْمُ	158
34	الشَّامِخُ	14, 151
35	شَدِيدُ الْعَارِضَةِ	93
36	الصُّدُورِ	113
37	صَرَيَ	24

م	الكلمة الغريبة	الصفحة
38	صَعْلَكَةً	87
39	الصَّفاةُ	137 ,83
40	ضَحْضاح	82
41	العَثْمَثَمُ	130
42	العرانين	147 ,63
43	العِزين	86
44	الغربيين	122 ,118 ,55
45	الغطريف	18
46	غِوارًا	53
47	الفاقَةَ	154
48	الفتيل	72 ,67
49	الفَنَدُ	109
50	القَشْبُ	58
51	قَشْعَم	136 ,82
52	قطر الإبل	113
53	قماءة	52
54	اللَّمَمُ	109
55	الْمَحْتِدُ	145
56	المرزئة	14
57	المُشِيح	19
58	المعلقات	173 ,55 ,53
59	المِقْلات	156
60	الملقُ	138 ,84
61	المنافرة	74 ,17
62	المنايا على الحوايا	119
63	هاضَ	122
64	الهراس	58
65	الهراوة	19
66	فهَقَ	129
67	الْوِقْرُ	38
68	وَيَبَ	60

السيرة الذاتية

سعد الدين محمد نادر العلي ولد في دولة الإمارات العربية المتحدة سنة 1991، درس في مدارسها، وحصل على التعليم الأساسي في مدينة دبي عام 2011، ثم أكمل دراسته في جامعة اليرموك في الأردن في تخصص الصحافة والإعلام سنة 2015،

عمل في عدد من الوسائل الإعلامية العربية معداً ومقدما للبرامج والأخبار ومراسلا ميدانيا.

ÖZGEÇMİŞ

Sad Al-Din Muhammed Nadir Al-Ali 1991 yılında Birleşik Arap Emirlikleri'nde doğdu okullarında okudu, 2011 yılında Dubai'de temel eğitim aldı, ardından 2015 yılında Ürdün'deki Yarmuk Üniversitesi'nde gazetecilik ve medya alanında eğitimini tamamladı.

Çeşitli Arap medya kuruluşlarında çalıştı, programlar ve haberler hazırladı ve sundu ve saha muhabiri olarak çalıştı.